الحياة
العقليّة
ومحبة الله

فَكِّر

جون پايپر

تقديم مارك نول

الحَياةُ العَقْلِيَّةُ ومَحَبَّةُ اللهِ

فَكِّرْ

چون پايپر

تقديم مارك نُل

ترجمة ق. عاطف المرفوض

Think: The Life of the Mind and the Love of God
Copyright © 2010 by Desiring God Foundation
Published by Crossway
1300 Crescent Street
Wheaton, Illinois 60187
Library of Congress Cataloging-in-Publication Data
Piper, John, 1946–
Think: the life of the mind and the love of God / John Piper.

ISBN 978-1-4335-2071-6 (hc) — ISBN 978-1-4335-2072-3 (pdf)

Arabic Edition Copyright © 2024 by TGC Arabic

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, electronic, mechanical, photocopy, recording, or otherwise, without the prior permission of the publisher, except as provided for by USA copyright law.

فَكِّرْ: الحَياةُ العَقْلِيَّةُ ومَحَبَّةُ اللهِ

© 2024 ائتلاف الإنجيل (عربي TGC)

Email: arabic@thegospelcoalition.org

https://ar.thegospelcoalition.org/

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب، أو تصويره أو نسخه إلكترونيًا، أو نشره على أي موقع آخر دون إذن خطيّ مُسبق من ائتلاف الإنجيل.

جميع الاقتباسات الكتابيّة مأخوذة من ترجمة فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

قائمة المحتويات

تَقْدِيمُ مارك أ. نُل 1
مُقَدِّمَةٌ 6
تَوضِيحُ هَدَفِ الْكِتَابِ
1. رِحْلَتِي 18
2. عَوْنٌ كَبِيرٌ مِنْ صَدِيقٍ رَاحِلٍ 28
تَوضِيحُ مَعْنَى التَّفْكِيرِ
3. القِرَاءَةُ تَفْكِيرٌ 36
الِاهْتِدَاءُ إِلَى الإِيمَانِ بِالتَّفْكِيرِ
4. فِسْقٌ عَقْلِيٌّ لا مَفَرَّ مِنْهُ 59
5. إِنْجِيلٌ عَقْلانِيٌّ، نُورٌ رُوحِيٌّ 70
تَوضِيحُ مَعْنَى مَحَبَّةِ الله
6. مَحَبَّة اللهِ: اعْتِزَازٌ بالله مِنْ كُلِّ عَقْلِكَ 88
مُواجَهَةُ تَحَدِّي النِّسْبِيَّةِ
7. يَسُوعُ يَلْتَقِي النِّسْبِيِّين 102
8. انْحِطَاطُ النِّسْبِيَّةِ 113
مَواجَهَةُ التَّحَدِّي المُناوِئ للتَّفْكِيرِ العَقْلِيِّ
9. اتِّجَاهَاتٌ غَيْرُ مُجْدِيَةٍ مناوِئَةٌ للتَّفْكِيرِ العَقْلِيِّ فِي تَارِيخِنا 131
10. أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ 146
11. فِي حِكْمَةِ اللهِ لم يَعْرِف العَالَمُ اللهَ بالحِكْمَةِ 160
اكْتِشَافُ طَرِيقٍ مُتَواضِعٍ لِلمَعْرِفَةِ
12. المَعْرِفَةُ الَّتِي تُحِبُّ 177
13. كُلُّ دِرَاسَةٍ هِيَ لِمَحَبَّةِ اللهِ والإِنْسَانِ 189
تَشْجِيعُ المُفَكِّرِين وغَيرِ المُفَكِّرِين
خَاتِمَةٌ: الْتِمَاسٌ نِهَائِيٌّ 203
مُلْحَقٌ 1 211
لِلرَّبِّ الأَرْض: سُمُوُّ المسيحِ فِي التَّعْلِيمِ المَسِيحِيِّ
(الأُسُسُ الْكِتَابِيَّةُ لِكُلِّيَّةِ وَمَعْهَدِ لاهُوتِ بَيت لَحْم)
مُلْحَقٌ 2 235
الطَّالِبُ، وَالسَّمَكَةُ، وَأَجَاسِرْ
شُكْرٌ وتَقْدِيرٌ 242
هَيْئَةُ دِزَايَرِنْج جَدْ 244
ائتلاف الإنجيل 245

تَقْدِيمٌ

من بين الفوائدِ المُهِمَّةِ والعديدة لسماع أو قراءة العظات الجيِّدة هو الحافزُ للتفكيرِ بوضوحٍ أكبر عن الله وطرقه. وعندما تكونُ العظات عن التفكير ذاته، يكون الحافزُ أقوى.

إنَّ كتاب پايپر عن التفكير عظةٌ فعليَّةٌ بأكثر ما تكونُهُ العظةُ، بل يعمل كعظةٍ جيِّدةٍ، نظرًا لكيفيَّة توظيفه للأسفار المقدَّسة وسعيِهِ إلى تطبيقها على قضايا الحياة الواقعيَّة. نصوصُ الكتاب الرئيسة مأخوذةٌ من الفصل الثاني لسفر الأمثال، والفصل الثاني لرسالة الرسول بولس الثانية إلى تيموثاوس، النصُّ الأوَّل مقطعٌ من العهد القديم، والثاني مقطعٌ من العهد الجديد، ويناشدُ كلاهما المؤمنين بالله على التفكير بعناية. إنَّ هدف الفصل الثاني من سفر الأمثال هو البصيرة والفَهم؛ أمَّا التفكير بشأن ما قاله الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس فهو القصد الموضَّح في المقطع الثاني.

وكما هو الحال في العظات الجيِّدة، وَدَّ پايپر تقديمَ هذه النصوص في سياقاتها المناسبة، وبهذا العمل يتَّضِحُ المعنى الحاسم. يناشد الرسول بولس تيموثاوسَ أن يفكِّرَ مليًّا في ما يقوله، لأنَّ الرَّبَّ سَيَهَبُ له فَهْمًا في كلِّ شيءٍ (2 تيموثاوس 7:2). ويلتمسُ كاتبُ سفر الأمثال من القارئ التفكير الواعي بهدف العثور على الفضَّة أو الكنوز، التي يتمُّ تعريفها لاحقًا على أنَّها "مخافةُ الرَّبِّ" و"معرفة الله". مع تأمين هذه العلاقة -بين التفكير وإيجاد معرفة الله- يتمكَّن پايپر بعد ذلك من تطوير الحجج الخاصَّة به التي تنتقلُ من الكتاب المقدَّس إلى مشكلات الحياة الواقعيَّة.

إنَّ مشكلات الحياة الواقعيَّة هي بمثابة وَجْهَينِ لعملةٍ واحدةٍ. من ناحيةٍ، قد يستنتجُ الناسُ من أصحاب التوجُّه الروحيِّ أنَّه بما أنَّ الروح القدس هو مصدر كلِّ حياةٍ وحقٍّ، فليس من المُهِمِّ الانشغال بالتفكير،

والقراءة، والتَّعَلُّم. ومن الجانب الآخر، قد يستنتج آخرون من أصحاب التوجُّه الفكريِّ أنَّه بما أنَّ الله يريدنا أن نفكِّر، ونقرأ، ونتعلَّم، فإنَّ هذه الأنشطة لها الأهمِّيَّة القصوى في حدِّ ذاتها.

يُقاوِمُ پايپر بشدَّة هاتين النتيجتين. بالأحرى، يتمسَّك، بأنَّ نتائج التفسير الكتابيِّ المتأنِّي والمُمتَدِّ عبر الكتاب المقدَّس تؤكِّد حقيقتين بديلتين تخاطبان مباشرةً الوضعَ المُعاصرَ. أوَّلاً، ضدَّ النزعات المناوئة للتفكير العقليِّ، ينادي پايپر بأنَّ التفكير الواعي جزءٌ لا يتجزَّأ من الفَهم الكامل للإنجيل. ثانيًا، ضدَّ الاستخدام المتعجرف للتفكير العقليِّ، ينادي بأنَّ التفكير الواضح، والخاضع للنماذج الكتابيَّة سيقودُ المَرْءَ بعيدًا عن الذات إلى التلذُّذِ الكامل بنعمة الله بوصفها مفتاحًا لكلِّ جوانب الوجود.

يَجِدُ القرَّاءُ المختلفون دون شكٍّ جوانب مختلفة وأكثر إثارة في شرح پايپر، لكنِّي وجدتُه يثيرني بشكلٍ خاصٍّ للتفكير بعمقٍ بواسطة مجهوداته وهو يحاول فَهم مقطعين، قد تأمَّلْتُ فيهما أيضًا. أحدُهما في (لوقا 21:10)، حيث يقول الرَّبُّ يسوع: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ... لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ...". يُظْهِر التفسيرُ النصِّيُّ الواعي لپايپر بشكلٍ مقنعٍ أنَّ المقصود بكلمات الرَّبِّ هو تعزيز الاتِّضاع في استخدام كلِّ الهبات الإلهيَّة، بما في ذلك هِبَة الذكاء، وليس إنكار التفكير العقليِّ. أمَّا المقطع الثاني فهو (1 كورنثوس 20:1)، حيث يقول الرسول بولس: "... أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟" ولمرَّةٍ أخرى، يُظْهِر التفسير النصِّيُّ أنَّ القصدَ من المقطع هو التمييز بين الحكمة التي استخدمها البشر لتمجيد المخلوق والحكمة التي تعظِّم الخالق. وقد تَمَّ تلخيص هذه النتيجة لاحقًا في واحدةٍ من عبارات پايپر العديدة والمذهلة: إنَّ الصليب هو الفاصل الحاسم بين الحكمة البشريَّة والحكمة الإلهيَّة.

إنَّ الفائدة الواقعيَّة من الفحص الواعي لمثل هذين المقطعين مناسبةٌ تمامًا للزمن الحاضر. فاليوم، كثيرون في الحياة الأمريكيَّة المعاصرة

يشجِّعون التفكير المهترئ أو استخدام التفكير الواعي لتعزيز الذات البشريَّة. في المقابل، يشجِّع كثيرون في الكنائس المسيحيَّة المحافظة على الشَّكِّ في التَّعَلُّم الحديث أو استخدام مشاعر رجعيَّة لتحلَّ محلَّ التفكير. يقدِّم پايپر البديل الكتابيَّ: التفكير (بأوضح ما يمكن)، **ارتباطًا** بالعواطف (أي مشاعر الاعتزاز بالله بوصفه الإله صاحب الصلاح الأسمى)؛ والنظر إلى التفكيرِ العقليِّ بعين التقدير والاعتبار **مع** الحذر من الكبرياءِ الفكريِّ؛ والالتزام بالدراسة الجادَّة **مع** الاتِّكال التامِّ على نعمة الله. بالنسبة إلى المؤمنين، هذا هو الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه؛ بالنسبة إلى غير المؤمنين، هذا هو الطريق إلى الحياة.

عندما جاءَني الطَّلَبُ لإعداد كلمة قصيرة لتقديم هذا الكتاب، كان عَلَيَّ أن أَبْتَسِمَ لتوقيت الرَّبِّ المناسب. تساءلتُ، هل كان الأمر مصادفةً في أن يُطْلَبَ منِّي قراءة كتاب لچون پايپر عن ضرورةِ تفكيرٍ مركزُهُ المسيح في نفس الأيَّام التي كُنْتُ أقومُ فيها بكتابة مُسَوَّدَة الكلمات الأخيرة لتكملة كتابي: "**فَضِيحَةُ الفِكْرِ الإنجيليِّ**"، والذي نُشِرَ منذ عدَّة سنوات؟ جاءت ضحكتي خافتة لأنَّ كتابي، مثل كتاب چون، إلاَّ أنَّه يتأمَّل نصوصًا كتابيَّة من (يوحنَّا 1، العبرانيِّين 1، وكولوسِّي 1 بشكلٍ خاصٍّ) لما تقوله هذه المقاطع عن أنَّ "كلَّ الأشياء" مخلوقة في يسوعَ المسيحِ، وبواسطته، ومن أجله. أحاول أيضًا أن أُبَيِّنَ أنَّ الدراسة المتأنِّية هي ضرورة إلهيَّة، لكن لا ينبغي أبدًا أن تحلَّ محلَّ اتِّكال المؤمن المسيحيِّ التامِّ على نعمة الله. مثل چون، أناشد المؤمنين أن يكونوا جادِّين للغاية في دراسة العالم، دون أن يشكِّلوا خطورةً أبدًا على أنفسهم.

وقد تساءَلَتْ زوجتي ماجي إن كان كتابي، الذي سيكون بعنوان: "**يسوع المسيح والحياة العقليَّة**"، سيعاني من ألمِ المنافسةِ مع كتاب چون. أَجَبْتُ أنَّ هناك اختلافًا كافيًا للتمييز بينهما. إنَّ الشرح الكتابيَّ لچون أكثر شمولاً، كما يصوِّر تفسيرُهُ بشكلٍ دراميٍّ أكبر الدَّوْرَ المناسب للتفكير

البشريِّ الجادِّ في التلذُّذ بالمسيح. أمَّا كتابي فيقول أشياء قليلة عن العلم الطبيعيِّ (وخاصَّةً التطوُّر) التي ربَّما قد لا يصدِّق عليها چون نفسه، والكثير من القرَّاء الذين ينظرون إليه بعين الاعتبار. ومن أجل مجهودي في التشجيع على تفكير مركزه المسيح، استفَدْتُ كثيرًا من بعض المفكِّرين الكاثوليك وبيانات الخلاصات القديمة العظيمة المعبِّرة عن الإيمان المسيحيِّ الأرثوذكسيِّ (قانون إيمان الرسل، وقانون الإيمان النيقاوي، والتعريف الخلقيدوني لشخص المسيح).

ومع ذلك، بما أنَّ الرسالة الأساسيَّة لما أحاول قوله هي تمامًا نفس ما ستقرأه في كتاب چون پايپر "**فَكِّرْ: الحياة العقليَّة ومحبَّة الله**"، يسعِدُني أن أشيدَ بالكتاب الذي أمامك وأنا سعيدٌ تمامًا لو صار الكتاب الوحيد الذي يمكن لك أن تقرأَهُ بخصوص هذا الموضوع المُهِمِّ للغاية!

إنَّه امتياز لي أن أعرف چون پايپر لأنَّنا كنَّا في نفس التخصُّصات الأدبيَّة، كما عشنا في نفس المبنى السكنيِّ بكلِّيَّة ويتون فيما يبدو الآن وكأنَّه بالأمس القريب. بل إنَّه امتياز أعظم أن أشكرَ الله لأنَّه قادنا إلى نفس المكان، عبر مسارات مختلفة، وعقود زمنيَّة فاصلة، بشأن الاهتمامات الحيويَّة لهذا الكتاب.

إنَّ المغزى من التَّعَلُّم المسيحيِّ هو أن نفهمَ كَتَابَيِ الله، وبهذا الفهم نمجِّده، أي فهم الكتاب المقدَّس والعالم الطبيعيِّ. الصفحاتُ التي أمامك تعمل على توصيل تلك النقطة بشكلٍ جيِّدٍ للغايةِ. اِلتقطها، اِقرأها، واِفحصها بالأسفار المقدَّسة، تأمَّلْ الصورة التي تقدِّمُها عن الإله المحبِّ. بإيجازٍ، فَكِّرْ فيها.

مارك أ. نُل
أستاذ التاريخ، جامعة نوتردام

[3]إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ
وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ،
[4]إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ
وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ،
[5]فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ
وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ
(الأمثال 2:3-5)

مُقدِّمة

هذا الكتابُ هو التماسٌ لتبنِّي التفكير الجادِّ كوسيلة لمحبَّةِ الله والناس. هو التماسٌ لرفض فكرة **"إمَّا-وإمَّا"** وذلك عندما يرتبط الأمر بالعقل والقلب؛ بالفكر والشعور؛ بالمنطق والإيمان؛ باللاهوت والعبادة؛ بالعمل العقليِّ وخدمة المحبَّة. هو التماسٌ لرؤية التفكير كوسيلة ضروريَّة، رَسَمَها الله لمعرفته. إنَّ التفكيرَ هو أحدُ الطرائقِ المُهِمَّةِ لتزويد نار العبادة وخدمة العالم بوقود المعرفة.

معرفةٌ، اعتزازٌ، حياةٌ - لأجلِ مجدِ المسيحِ

الهدف النهائيُّ للحياة هو استعلان الله بكلِّ مجده من أجل طبيعته، وكلِّ ما صَنَعَهُ، وفَعَلَهُ، خاصَّةً النعمة التي أظهرها في عمل المسيح. إنَّ الطريقة التي نمجِّده بها هي أن نعرفَهُ معرفةً حقَّةً، وأن نَعْتَزَّ به أكثر من أيِّ شيءٍ، وأن نحيا بطريقةٍ تُظهر أنَّه كنزُنا الأسمى.

> [20]حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي... يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ [21]لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ. [23]... أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا... [8]بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ

فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي. (فِيلِبِّي 1:20-21، 23، 3:8)

ولذلك، فإنَّ السببَ الرئيسَ الذي من أجله مَنَحَ الله لنا عقولاً هو أن نبحثَ ونكتشفَ كلَّ المبرِّراتِ الموجودة للاعتزاز به في كلِّ شيءٍ وأكثر من أيِّ شيءٍ. لقد خَلَقَ الله العالم لكي نقدِّرَهُ **بواسطة** العالم **وأكثر** من العالم. كلَّما أدركنا عظمة الله الفائقة: عِلْمه، حكمته، قوَّته، عدله، غضبه، رحمته، صبره، صلاحه، نعمته، محبَّته، زاد اعتزازنا به أكثر، وكلَّما زاد اعتزازنا به أكثر، تَمَجَّدَ بوعيٍ وفرحٍ أكثر. إنَّ القصد من هذا الكتاب هو أنَّ **التفكيرَ** وسيلةٌ مَنَحَها الله لنا لهذه الغاية.

بأيِّ شَكلٍ هذا الكتابُ مختلفٌ؟

تُوجَد كتبٌ أخرى عن التفكيرِ. وهي رائعةٌ. إليك أمثلة قليلة عن كم يكون هذا الكتابُ مختلفًا عنها. هو أقلُّ تاريخيَّةً من كتاب: "**فَضِيحَةُ الفِكْرِ الإنجيليِّ**" لمارك نُل Mark Noll،[1] وأقلُّ توبيخًا من كتاب: "**أَجْسامٌ سَليمَةٌ، عُقولٌ بَدِينَةٌ**" لأُوز جينِس Os Guinness،[2] وأقلُّ فلسفةً من كتاب: "**تحبُّ إلهَكَ بِكلِّ فِكْرِكَ**" لمورلاند J. P. Moreland،[3] وأقلُّ مِهنيَّةً من الناحية التخصُّصيَّة من كتاب: "**عاداتُ الذِّهْنِ**" لچيمس ساير

---

[1] Mark Noll, *The Scandal of the Evangelical Mind* (Grand Rapids: Eerdmans, 1994).

[2] Os Guinness, *Fit Bodies Fat Minds: Why Evangelicals Don't Think and What to Do About It* (Grand Rapids: Baker, 1994).

[3] J. P. Moreland, *Love Your God with All Your Mind: The Role of Reason in the Life of the Soul* (Colorado Springs: NavPress, 1997).

James W. Sire،[4] وأقلُّ ثقافةً من كتاب: "**مَحَبَّةُ اللهِ بِكلِّ فِكْرِكَ**" لچين ڤيث Gene Veith.[5]

إذًا هذا الكتاب **أقلُّ** بطرقٍ شَتَّى. لكن هو أكثر منهم في الشرح الكتابيِّ. وهذا ليس انتقادًا للكتب الأخرى. إنَّهم أفضل من هذا العمل من نواحٍ كثيرةٍ. إنَّها مكتوبةٌ بحسب ما قَصَدَ كُتَّابُها أن تكونَ، فهي كتبٌ رائعةٌ. لكنِّي واعظٌ– شارحٌ للكتاب المقدَّس. أقضي جُلَّ وقتي محاولاً استجلاء ما تعنيه النصوص الكتابيَّة وكيف تنطبقُ على الحياة. وذلك ما سيبدو عليه مذاقُ هذا الكتاب.

لِمَنْ هذا الكتابُ؟

هل الكتابُ للدارسين؟ نعم! إن كنتَ تتَّفقُ معي أنَّه ينبغي لكلِّ واحدٍ منَّا أن يكون دارسًا. وَفْقًا لأحد قواميس اللغة فإنَّ المعنى الثاني للَّفظة الإنجليزيَّة "*student*" هو "أيُّ امْرِءٍ يَدْرُسُ، يتقصَّى، يفحَصُ بعنايةٍ". من الصعب للغاية أن يشقَّ المَرْءُ طريقه في الحياة دون فحصٍ **لأمرٍ** أو **شيءٍ ما** بكلِّ عنايةٍ. وينبغي أن تكون هذه هي السمة الغالبة بالنسبة إلى المؤمن المسيحيِّ، داخل المدرسة أو خارجها، بالنسبة إلى المؤمن الذي يريد معرفةَ الله بشكلٍ أفضل، ويتوق إلى محبَّته على نحوٍ أكبر، ويرغب في العناية بالناس أكثر.

---

[4] James W. Sire, *Habits of the Mind: Intellectual Life as a Christian Calling* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 2000).

[5] Gene Edward Veith Jr., Lo*ving God with All Your Mind: Thinking as a Christian* in the Postmodern World, rev. ed. (Wheaton, IL: Crossway, 2003). See also Richard Hughes, *How Christian Faith Can Sustain the Life of the Mind* (Grand Rapids: Eerdmans, 2001); Clifford Williams, *The Life of the Mind: A Christian Perspective* (Grand Rapids: Baker Academic, 2002).

نعم! لَدَيَّ آمالٌ أخرى. على سبيل المثال، آمُلُ أن يساعد هذا الكتاب في إنقاذ ضحايا البراجماتيَّة الإنجيليَّة، الشعارات الخمسينيَّة، التقوى المناوئة للتفكير العقليِّ، كراهية الحكم التعدُّديِّ، ألاعيب العمل الأكاديميِّ، الحِيَل العلاجيَّة بالكتاب، التهويل الصحفيِّ اللاذع، التنويم المغناطيسيِّ بالموسيقى، الولع باليوتيوب، وجيل شعوذة ما بعد الحداثة. بتعبيرٍ آخر، أومن أنَّ التفكير أمرٌ جيِّدٌ بالنسبة إلى الكنيسة من كلِّ النواحي.

لا مبالغةَ في الأمرِ

لستُ أحبُّ أن أبدو متشامخًا، الأمرُ الذي تفعلُهُ غالبيَّةُ الكتب عن التفكير. لذلك، انظرْ إن كان الاقتباس التالي مجديًا. اقتباسٌ يأتي من الفيلسوف نيكولاس ولترستورف Nicholas Wolterstorff، الذي يجعل دنيويَّته قهريَّة بشكلٍ كبيرٍ. مع أنَّه يعترف بأنَّ التفكير العقليَّ **المُفرِط** وبأٌ مميتٌ، شأنه في ذلك شأن المذهب المناوئ للتفكير العقليِّ. على كلٍّ يبدو أصحاب التفكير العقليِّ **المُفرِط** على هذا النحو:

> إن كنت تستعمل يديك أو تعلّم مَن يستخدمون أياديهم... فأنت أدنى ممَّن يستخدمون فقط رؤوسهم: عازفو الآلات الموسيقيَّة أدنى من علماء الموسيقى، الرسَّامون أدنى من مؤرِّخي الفنون، مُعَلِّمو إدارة الأعمال أدنى من علماء الاقتصاد، مُعَلِّمو الوعظ أدنى من علماء اللاهوت. إنَّ التوجُّهَ الأساسيَّ يقرِّره أرسطو بوضوحٍ... "نحن نعتبر سادة العمل بكلِّ حرفةٍ أكثر كرامةً من العاملين بأيديهم".[6] يواصل

[6] Nicholas Wolterstorff, "*Thinking with Your Hands*" in Books and Culture (March/April 2009): 30.

> والترستورف: الأمر ليس كذلك. ثمَّ يضيف: هذا توجُّهٌ غريبٌ حتَّى يتمسَّك به المسيحيُّون، لأنَّ يسوعَ كان ابنًا لنجارٍ، كما أنَّ الله مُقَدَّمٌ في الصفحات الافتتاحيَّة للأسفار المقدَّسة كصانعٍ لا كمفكِّرٍ.[7]

من أجل ذلك، لا أريد أن أبالغ في تقدير الأمر. فهو لا يرتبط بالذهاب إلى المدرسة أو الحصول على درجاتٍ علميَّةٍ، أو التمتُّع بالوجاهة الأكاديميَّة. كما أنَّه ليس مَعْنِيًّا بالمنزلة السامية للعقلاء. إنَّه يرتبط باستخدام الوسائل التي مَنَّ بها الله علينا لنعرفَهُ ونحبَّهُ، ونخدُمَ بها خلائقه. **والتفكير** إحدى هذه الوسائل. وهنا، أَوَدُّ أن أشجِّعك على التفكير، لكن دون أن تغترَّ بذاتك حال قيامك بذلك.

يقول الكتاب: إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ، وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ، **إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ**... فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ، وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللهِ... (الأمثال 2:3-6). إنَّني في احتياجٍ إلى كلِّ عونٍ في قدرتي الحصول عليه لأحبَّ معرفة الله أكثر من ربح الفضَّة. وأفترض أنَّك كذلك أيضًا. من أجل ذلك، كتبتُ هذا الكتاب لأذكِّرَ نفسي **بمكانة التفكير في السعي وراء الله**. كصدًى ضعيفٍ لكالڤن وأغسطينوس، أردِّد معهم: أَعُدُّ نفسي واحدًا من بين عددٍ هائلٍ من الذين يكتبون عندما يتعلَّمون ويتعلَّمون عندما يكتبون.[8] إن انْضَمَمْتَ إليَّ، آمل أن تجد هذا الكتاب مُجديًا.

---

[7] نفس المرجع السابق. يقينًا، عندما ينطق الله لتأتي الأشياء إلى الوجود، فإنَّ كلامه يطابق بالفعل فكره، المؤلِّف.

[8] This is the way Calvin closed his "*John Calvin to the Reader*" at the beginning of his Institutes. The quote is also found in Augustine's Letters cxliii.2 (MPL 33. 585; tr. NPNF I. 490). John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, trans. Ford Lewis Battles, ed. John T. McNeill (Philadelphia: Westminster, 1960), 5.

خريطةُ الكتابِ

إن كنت من النوع الذي يَجِدَ العونَ في خريطةٍ للطريق قبل السفر، إذًا عليك بقراءة بقيَّة المقدِّمة. أمَّا إن كنت تفضِّل أكثر رؤيةَ المفاجآت عبر الطريق، يمكنك تجاوز تلك البقيَّة. على كلٍّ، إليك بيانٌ توضيحيٌّ يشرحُ إلى أين نمضي.

في الفصل الأوَّل، أحكي قصَّتي. وأحدُ المبرِّرات لذلك أنَّ من الأمانة، على ما يبدو، أن أستعرض لك خلفيَّتي، والمؤثِّرات، والصراعات التي اجتزتُها. وهذا الأمر يمنحُك فرصةً لوضع أفكاري في سياقٍ محدَّدٍ، وتتفهَّم بعضَ الشيء عن المحدوديَّة الخاصَّة بي. مبرِّرٌ آخر وهو أنَّ خبرتي على ما أظنُّ نمطيَّة في ما يخصُّ كثيرًا من الإنجيليِّين من جهة التوتُّرات التي اختبرتُها في صحوةِ الحياة العقليَّة. ربَّما تَجِدُ نفسك متشجِّعًا لتَتَبُّع حياة مصارعٍ يكون رفيقًا لك. ثالثًا، معظم القضايا التي يثيرها هذا الكتاب تنبع من تفاعلي مع العالم الطبيعيِّ لله (الخليقة)، وكلمة الله. ولذلك، تعمل رحلتي كبوَّابة مناسبة نعبُر منها إلى البانوراما التي سنقوم بدراستها.

يخبرنا الفصل الثاني بقصَّة الكيفيَّة التي أثَّرَ بها چوناثان إدواردز Jonathan Edwards تأثيرًا كبيرًا على خبرتي في الحياة العقليَّة. مع أنَّه قد انتقل منذ أكثر من 250 سنة، لكن لا يزال تأثيره هائلاً على كثيرٍ من المفكِّرين اليوم. تشكِّل قصَّة التقائي به الأساسَ لبقيَّة الكتاب. ما زوَّدَني به إدواردز كان بمثابة الأساس الأعمق لكيفيَّة ارتباط التفكير والمشاعر مع بعضهما البعض. وقد حقَّقَ ذلك عبر رؤيته لطبيعة الله الثالوثيَّة.

في الفصل الثالث ننتقل من تركيزٍ يتَّسِمُ إلى حدٍّ ما بطابع السِّيَر الذاتيَّة، بغرض توضيح الهدف من الكتاب (في الفصلين الأوَّل والثاني)، إلى ما أعنيه حقًّا بِمَهَمَّةِ **التفكير**. ما يدور في ذهني بشكلٍ غالبٍ هو العمل المذهل **للقراءة**. إنَّ أفضل قراءة لأكثر الكتب الأدبيَّة إنارةً للذهن (خاصَّةً

أسفار الكتاب المقدَّس) تنطوي على عمليَّات تفكيرٍ جِدِّيٍّ. هذا هو القصد من الفصل الثالث.

يحاول الفصلان الرابع والخامس شرح وظائف التفكير (الفصل الرابع)، **وكيف** يعملُ التفكير (في الفصل الخامس) وقت اختبار الإيمان بالربِّ يسوع. ربَّما يستنتجُ المَرْءُ، بناءً على التأثيرات الكونيَّة للخطيَّة في تقييد أذهاننا، أنَّ التفكير ليس له أيُّ دورٍ ملموسٍ في الكيفيَّة التي بها يخلق الله الإيمان المؤهِّل للخلاص. لكنَّنا، سنرى في الحقيقة الدور الحيويَّ للتفكير في اختبار الإيمان ودعمه.

بعد توضيح دور التفكير في كيفيَّة اختبارنا للإيمان بالمسيح في (الفصلين الرابع والخامس)، ننتقلُ إلى الفصل السادس، إلى دورِ التفكير في الطريقة التي نُتَمِّمُ بها الوصيَّة العظمى المرتبطة بمحبَّة الله. قال الربُّ يسوع إنَّنا ينبغي أن نُحِبَّ الله بكلِّ **فكرنا [عقلنا]** (مَتَّى 37:22). تعامَلَ البعضُ مع هذه الوصيَّة كما لو أنَّها تعني: "فَكِّرْ بجِدِّيَّة، فَكِّرْ بِدَقَّةٍ، لأنَّ القيام بالتفكير على هذا النحو هو محبَّة الله". إلاَّ أنَّني أَشُكُّ في ذلك.

أَقْتَرِحُ أنَّ محبَّة الله بالعقل **تعني أن يكونَ تفكيرُنا منشغلاً تمامًا بالقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر**. الاعتزار بالله هو جوهر محبَّته، ويخدِم العقل هذه المحبَّة بإدارك حقٍّ، وجمالٍ، وقَدْر الكنز موضوع الاعتزاز، حتَّى وإن كان هذا الإدارك جزئيًّا، لكنَّه صادق. ما هو الأساس الكتابيُّ لهذا الفهم عن محبَّة الله بعقلنا؟ هذا ما يدور حوله الفصل السادس.

إلا أنَّ كلَّ شيءٍ في الفصول من الأوَّل إلى السادس سيكون بلا معنى لو كانت المعرفة الحقَّة مستحيلة، أو ليس من شيءٍ هناك لنعرفه. لأنَّ الفكرَ الشائعَ اليوم هو أنَّ معرفة أيَّة أشياء خارج أفكارنا الخاصَّة مستحيلة. وأحد أسماء هذا التوجُّه الفكريِّ هو "النسبيَّة *relativism*". ومن هنا، سأحاول في الفصلين السابع والثامن أن أوضِّح ما هي النسبيَّة وكيف فكَّر

فيها الربُّ يسوع. أنادي في الفصل السابع بأنَّ النسبيَّةَ ليستْ ضرورةً عقليَّةً، وليستْ صحيحةً أخلاقيًّا. بعد ذلك، في الفصل الثامن، سأحاول بناءَ جهازك المناعيِّ ضدَّ الفيروسات العقليَّة التي تنشرها النسبيَّة بتحصينك، إن كنتَ ترغَبُ في ذلك، من سبعة أعراض مَرَضِيَّة ضارَّة وغير أخلاقيَّة لهذا المرض. غايتي هي أن تَنْعَمَ بالحرِّيَّة والثقة المملوءة بالسلام على نحوٍ عميقٍ لترى وتتذوَّق وتنطق بكنوزِ الحقِّ المخبَّأة في الربِّ يسوع المسيح.

إلاَّ أنَّ هذا التوجُّه المليء بالرجاء نحو السعي وراء حقٍّ يعظِّم شخصَ المسيح عن طريق إعمال العقل لم يكن بالسِّمة الغالبة في التاريخ المسيحيِّ القريب، وعلى الأقلِّ في أمريكا. إنَّ المذهب الكاسح والمناوئ للتفكير العقليِّ مُعْلَنٌ بجلاء في كلِّ الأجواء. في الفصل التاسع، أحاول أن أقدِّم لك إحساسًا بهذه الأجواء. إحدى الطرائق لفهم الفصول من التاسع إلى الحادي عشر هي أنَّها محاولتي لإظهار أنَّ الأعمدة الكتابيَّة المفترضة لمناوئة التفكير العقليِّ هزيلة للغاية. في المقابل، الأسس الكتابيَّة لإعمال العقل بشكلٍ هائلٍ بغرض محبَّة الله والإنسان عميقة وقويَّة.

إلاَّ أنَّه من باب التحدِّي، يبدو أنَّه يوجد نصَّان كتابيَّان يدعمان الفكر المناوئ للتفكير العقليِّ. الأوَّل يقول فيه الربُّ يسوع: ... أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ (لوقا 21:10). سوف نقوم بمعالجة هذا النصِّ في الفصل العاشر. أمَّا النصُّ الثاني فهو للرسول بولس عندما يقول: أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هَذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟ (1 كورنثوس 20:1)، الأمر الذي سيكون موضوع تركيزنا في الفصل الحادي عشر. لقد أمسى هذان النَّصَّان بمثابة الركائز التي يقوم عليها بيت المذهب المناوئ للتفكير العقليِّ. ومن اللافت الكيفيَّة التي يكون بها هذان النصَّان متماثلَينِ في ما يعلّمان. إلاَّ أنَّهما يبرهنان حقًّا على أنَّهما أسس هزيلة.

إنَّ خلاصة دراستنا لهذه "الركائز" أنَّها ليست تحذيرات ضدَّ التفكير الدقيق، الأمين، الصارم، المتماسك في السعي وراء الله. في الحقيقة، إنَّ الطريقة التي تكلَّم بها الربُّ يسوع ورسولُه بولس بهذه التحذيرات تجبرُنا على الانشغال بالتفكير الجادِّ لفهمها أيضًا. وما سنكتشفه هو أنَّ الكبرياء لدى البعض لا تحترم الأشخاص، لأنَّ المفكِّرين الجادِّين في الغالب متواضعون. في حين أنَّ كثرة من المتصوِّفين المفتقرين للعناية في التفكير متعجرفون.

إنَّ الهدف من وراء هذا الكتاب هو التشجيع على التفكير المتواضع، الأمين، والجادِّ الذي من شأنه أن يقود إلى معرفةٍ حقَّةٍ عن الله، معرفة تقودُ بدورها إلى محبَّة الله، ثمَّ تفيضُ محبَّةً للآخرين.

وهناك مثال لطريقةٍ في التفكير بها يتجنَّبُ العامَّةُ أو المثقَّفون من الناس السقوط في الكبرياء. في الفصل الثاني عشر نرى لمحةً عنها في تحذير الرسول بولس المذهل من المعرفة التي تنفخ. والتركيز هنا سيكون على نصَّي (1 كورنثوس 8:1-3؛ رومية 8:1-3). والدرس المستفاد من الفصل الثاني عشر هو أنَّ التفكير أمرٌ خطيرٌ، ومع ذلك لا غنى عنه. من دون عمل النعمة العميق في قلب الإنسان، فإنَّ التفكير ينفخُ. لكن بهذه النعمة ينفتح باب التفكير على المعرفة المتواضعة. وتلك المعرفة هي الوقود لنيران محبَّة الله والإنسان. لكن إن ابتعدنا عن التفكير الجادِّ في سعينا وراء الله، ستنطفئ تلك النيران في النهاية.

أخيرًا، في الفصل الثالث عشر، نتوسَّع في شرح مضمون الفصل الثاني عشر، بأنَّ كلَّ تفكيرٍ، كلَّ تعلُّمٍ، كلَّ تعليمٍ تربويٍّ، كلَّ دراسةٍ رسميَّةٍ أو غير رسميَّةٍ، بسيطة أو معقَّدة، الكلُّ موجود لأجل محبَّة الله ومحبَّة الإنسان. سوف نتناول الحقَّ المرتبط بنصِّ (1 كورنثوس 8:1-3) ونطبِّقه على معرفة الله عن طريق "الكتاب" الآخر لله: عالم الطبيعة المخلوق والحياة البشريَّة.

النتيجة هي أنَّ مَهَمَّةَ كلِّ الدراسات المسيحيَّة، وليس الدراسات الكتابيَّة فقط، هي دراسة واقع الوجود باعتباره استعلانًا لمجد الله،[9] وأن نعلنَه ونكتبَ عنه بِدِقَّةٍ، أن نتذوَّقَ الجمال الإلهيَّ فيه، وأن نسخِّرَهُ ليخدم خير الإنسان. يُعَدُّ الأمر تنازلاً عن الدراسة المسيحيَّة عندما يقوم المؤمنون بدراسة أكاديميَّة تحتلُّ فيها الإشارة إلى الله حيِّزًا ضئيلاً. إن كان الكون كلُّه بكلِّ ما فيه موجودًا بتصميمِ إلهٍ شخصيٍّ لانهائيٍّ، قَصَدَ أن يجعل مجدَه بأطيافه المتنوِّعة معروفًا ومحبوبًا، فالتعامل مع أيِّ موضوعٍ دون الإشارة إلى مجد الله ليس دراسةً بل تمرُّدٌ.

بإيجازٍ، كلُّ فروع التعلُّم -بما فيها هذا الكتاب عن التفكير- موجودة بشكلٍ نهائيٍّ بغرض معرفة الله، ومحبَّته، ومحبَّة الإنسان باسم يسوع المسيح. وبما أنَّ محبَّة الإنسان تعني في نهاية المطاف مساعدته على رؤية الله وتذوُّقه في المسيح إلى الأبد، فمن الصائب تمامًا أن نقول إنَّ كلَّ تفكيرٍ، وكلَّ تعلُّمٍ، وكلَّ تعليمٍ تربويٍّ، وكلَّ بحثٍ هو من أجل معرفة الله، ومحبَّة الله، وإظهار الله. لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ (رومية 36:11).

[9] تذكَّر أنَّ لفظة الواقع لفظة فلسفيَّة تشير إلى الوجود بشقَّيه المنظور وغير المنظور، المُترجِم.

تَوضِيحُ
هدفِ الْكِتابِ

في الحقيقة، الأفكار والمشاعر عِلَلٌ متبادلة مع بعضها البعض. يقول المرنِّم: ... عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ... (المزمور 3:39)؛ إذًا تلك الأفكار هي كِيرُ الحدَّاد الذي يُضْرِم المشاعر ويُلْهِبها؛ وَمَتَى الْتَهَبَتْ تجعلُ الأفكارَ تغلِي؛ ولهذا، فإنَّ المهتدين الجدد للإيمان بالله، بما لهم من مشاعر جديدةٍ وقويَّةٍ، بإمكانهم التفكير في الله بِلَذَّةٍ أكثر من أيِّ شخصٍ آخر.

توماس جُودوِن

الفصل الأوَّل

رِحْلَتِي

لقد عِشْتُ طوال حياتي في توتُّرٍ بين التفكيرِ والشعور والفعل.

نَقْلَةُ 1979م

بعد عشرين سنة من التعليم الرسميِّ من دون توقُّفٍ، وستِّ سنوات من التدريس بالكلِّيَّة، تركتُ العملَ الأكاديميَّ من أجل العمل الرعويِّ في سنِّ الرابعة والثلاثين. كان هذا منذ ثلاثين سنةً تقريبًا. وأتذكَّر ليلة الرابع عشر من أكتوبر سنة 1979م، عندما كتبتُ سبع ورقات في مذكِّراتي عن الأَزَمَةِ المحتدمة داخل نفسي بشأن التدريس في الكلِّيَّة مقابل الخدمة الرعويَّة. كان ذلك اليوم من أكثر الأيَّام المُهِمَّة في حياتي، بإمكاني أن أدرك ذلك الآن.

حينئذٍ بَدَتْ لي هذه الأمور، أي التفكير، والشعور، والفعل تجدُ توازنًا أفضل ربَّما في الكنيسة لا في الكلِّيَّة. وأعني بلفظة "أفضل" التوازن الذي يناسب مواهبي، ودعوة الله، واحتياجات الناس، ومقاصد الله من أجل هذا العالم. أعتقد أنَّني قد قُمْتُ بالشيءِ الصائب. لكن لا أعني بأنَّ ما قُمْتُ به هو الصائبُ بالنسبة إلى الجميع.

في الحقيقة، أحد مقاصد هذا الكتاب هو الاحتفاء بأهمِّيَّة التعليم التي لا غنى عنها في خدمة المسيح. لكن لو قام كلُّ عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة أو المعهد اللاهوتيِّ بما قُمْتُ به، سيكون الأمر مأساةً. أنا أحبُّ ما فعله الله من أجلي في العمل الأكاديميِّ لمدَّة ثماني وعشرين سنة، من سنِّ السادسة حتَّى الرابعة والثلاثين من عمري.

لست بين الفئة التي تنظر إلى الوراء بِحَيرةٍ عمَّا تعلَّمتُه، أو لم أتعلَّمه. ولو أُتيحَتْ لي الدراسة مرَّة أخرى، سأدرسُ تقريبًا نفس الموادِّ الدراسيَّة كلِّها مع نفس المعلِّمين، وسأعلِّم تقريبًا نفس الموادِّ الدراسيَّة التي قُمْتُ بتعلميها. لم أتوقَّع من الكلِّيَّة والمعهد اللاهوتيِّ ومدرسة التخرُّج أن تعلِّمني الأمور التي من الضروريِّ تعلُّمها عن الوظيفة. وإن كنتُ قد تعثَّرتُ، فلم يكن بسبب خطأ منهم.

فرح الأكاديميا المؤلِم

أيضًا لم أترك العمل الأكاديميَّ لأنَّه خانقٌ روحيًّا. على النقيض، طوال الوقت في الكلِّيَّة، وعلى الأكثر كذلك في معهد اللاهوت، وأكثر فأكثر في سنواتي الستِّ في أثناء التدريس بالكلِّيَّة، فإنَّ قرائتي وتفكيري وكتابتي أَلْهَبَتْ قلبي بالغَيْرَةِ من أجل الله. لم أكن قط واحدًا ممَّن يجدون قلبَهم قد تَصَلَّب من جرَّاء معرفةٍ أفضل عن الله وكلمته. حشوُ رأسي بالمعرفة أكثر عن الله وعن طرقه كان أشبه برمي الحطب في أتون عبادتي. بالنسبة إليَّ، الرؤية تعني التذوُّق. وكلَّما كانت الرؤيةُ أوضح، كان التذوُّقُ أحلى.

لا يعني هذا أنِّي جُزْتُ الأمر بلا دموعٍ. بعض أفكاري عن الله احترقت بنار الحقِّ الكتابيِّ. كان الأمر مؤلمًا. في بعض فترات ما بعد الظهيرة، كنت أضع وجهي بين يدي وأبكي بوجعٍ بسبب الحيرة. لكن، كما يقول المَثَل الأمريكيُّ الأصيل: لن تَنْعَمَ النفسُ بقوس قُزَح إن لم تذرف العين الدموع.

على الجانب الآخر من الحزن، كانت بعض الأفراح ممكنة. إنَّ قول الجامعة حقيقيٌّ: لأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ الْغَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْمًا يَزِيدُ حُزْنًا (الجامعة 18:1). إلاَّ أنَّ الأمرَ جديرٌ بذلك.

ولا أعني أنَّ الرؤية المؤدِّية إلى التذوُّق كانت سهلةً. فالعمل اللازم لاستجلاء ما يعنيه الكتاب عندما يتحدَّث عن الله غالبًا ما يكون صعبًا على نحوٍ موجِعٍ. أدركُ شيئًا عن بيان لوثر المؤلم: أَقْرَعُ بَابَ بولس بإلحاحٍ في هذا الموضع، راغبًا وبأشدِّ حماسةٍ أن أعرف ما الذي كان يريد أن يقوله القدِّيس بولس هنا.[10] أعني ببساطةٍ أنَّه عندما يُقالُ ويُعمَل الكلُّ، يقودني عملُ التفكير مرَّةً بعد الأخرى إلى العبادة. لقد كانت الأكاديميا بالنسبة إليَّ مانحةً للحياة.

مُلْتَهِبٌ للوعظِ برومية 9

لقد غادرتُ بحثًا عن حياةٍ جديدةٍ في الابتهاج بالحقِّ. في الحقيقة، هناك مفارقة إذ إنَّ ما أدَّى إلى رحيلي هو راحةٌ سبتيَّةٌ كتبتُ فيها كتابًا عن الفصل التاسع من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية.[11] إنَّ كتابَ **"تبرير الله"** هو أكثرُ كتابٍ مُعقَّدٍ ومُرهقٍ للعقل كتبتُه على الإطلاق. يتعامل هذا الكتاب مع أكثر القضايا اللاهوتيَّة صعوبةً في نصٍّ من أصعب نصوص الكتاب المقدَّس. إلاَّ أنَّ المفارقة هي أنَّ البحثَ والكتابة في هذا الكتاب استخدمهما الله لِيُلْهِبَ قلبي بالوعظ والخدمة الرعويَّة. إنَّ كتابة هذا الكتاب الأكثر صعوبة عن سيادة الله لم يكن مطفِئًا للروح؛ بل كان مُلْهِبًا

[10] John Dillenberger, ed. *Martin Luther: Selections from His Writings* (Garden City, NY: Doubleday, 1961), 12.

[11] John Piper, *The Justification of God: A Theological and Exegetical Study of Romans 9:1–23* (1983; repr. Grand Rapids: Baker, 1993).

لها. هذا هو الإله الذي أردتُ أن أعلنَه أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، لا أن أشرح عنه فقط.

ومع ذلك، الشرحُ هو ما أضرم نارَ المجاهرة. لا أنسى ذلك. هذا هو القصد الرئيسُ لهذا الكتاب. ولم أنسَ لأنَّ الأمرَ لا يزال حقيقيًّا. يقول المرنِّم: عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ؛ تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي (المزمور 3:39). التأمُّل باستغراقٍ. إطالة التفكير. التَّفَكُّر بِرَوِيَّةٍ. التفكير عمومًا. كلُّها بالنسبة إليَّ سبيلٌ للرؤية والتذوُّق والتَّرنُّم، والتكلُّم، والمداومة. سنةً بعد سنةٍ، صار هذا عملي: تشبُّع بالصلاة، وتفكير يتَّكِل على الروح القدس؛ تفكير عن الله الذي أعْلَنَ عن نفسِهِ ليزوِّدَني بوقودِ الولعِ به والوعظ عنه.

التفكير لا غنى عنه في سبيل الوَلَعِ بالله. التفكير ليس غايةً في حدِّ ذاته. ما من شيءٍ غايةٌ في حدِّ ذاته سوى الله. التفكيرُ ليس هدف الحياة. التفكيرُ، وبالمثل انعدامه، قد يكون الأساسَ للتباهي. التفكير، دون صلاة، دون الروح القدس، دون طاعةٍ، ينفخُ المَرْءَ ويدمِّرُه (1 كورنثوس 1:8). إلاَّ أنَّ التفكيرَ في ظلِّ يد الله القديرة، التفكير المصبوغ بروح الصلاة، التفكير المسوق بالروح القدس، التفكير الموصول بأقوال الكتاب، التفكير في السعي وراء مبرِّراتٍ أكثر للتسبيح والمجاهرة بأمجاد الله، التفكير في الخدمة بمحبَّةٍ، هذا التفكير لا غنى عنه في حياة ممتلئة بتسبيح الله.

التَّوَتُّرُ

ومع ذلك، استمرَّ التَّوتُّر. يتزاحم في حياتي التفكيرُ والشعورُ والفعلُ معًا، بل يناور أحدهم الآخر للفوزِ بمساحةٍ أكبر. ولا يبدو أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم نسبة مُشبعة على الإطلاق. هل ينبغي أن أكون فاعلاً أكثر، أم مفكِّرًا أكثر، أم شاعرًا أكثر، ومُعْرِبًا عن مزيدٍ من المشاعر؟ لا شَكَّ أنَّ هذا الانزعاج

يرجع جزئيًا إلى غرابة بعض الأمور المرتبطة بشخصيَّتي، وعوامل خاصَّة بخلفيَّتي، والفساد القابع في قلبي.

إلاَّ أنَّ هذا التَّوتُّر ناجمٌ أيضًا عن تاريخٍ لمذهب العقلانيَّة المفرِطة والمذهب المناوئ له داخل الكنيسة؛ وجزئيًّا نتيجة للصعوبة الكامنة في الكتاب المقدَّس. في الغالب نجد أنَّ الكنيسة متردِّدة بشأن "حياة الفكر". أمريكا، على وجه التحديد، لديها تاريخ طويل من الشكِّ الإنجيليِّ المرتبط بالتعليم والعمل العقليِّ. إنَّ أكثر وصفٍ جديرٍ بالملاحظة عن قصَّةِ الإنجيليِّين في هذا الصدد هي ما كَتَبَه مارك نُل Mark Noll بعنوان: "**فَضِيحَةُ الفِكْرِ الإنجيليِّ**"، والذي تقولُ أوَّلُ جملةٍ فيه: فضيحة الفكر الإنجيليِّ هي أنَّه لا يوجد الكثيرُ من الفِكْرِ الإنجيليِّ.[12]

رِثاءُ المفَكِّرِين

قبل اتِّهام نُل Mark Noll بنحو ثلاثين سنة كَتَبَ بليمِرز Blamires: "في تباينٍ صارخٍ مع الفكر الدنيويِّ لم يؤثِّر أيُّ فكرٍ مسيحيٍّ قويٍّ على نحوٍ مثمرٍ، بأيِّ تأثيرٍ متماسكٍ، وقابلٍ للإدراك على الحياة الثقافيَّة، والسياسيَّة، والاجتماعيَّة... لا يوجد فكرٌ مسيحيٌّ".[13] ومن بعد نُل، انضمَّ كثيرون إلى الرثاء. هناك فصلٌ لمورلاند Moreland بعنوان: "**كَيفَ فَقَدنَا الفِكْرَ المسيحيَّ ولماذَا يجبُ أن نَسْتَرِدَّهُ**".[14] كما كتب أوز

---

[12] Mark Noll, *The Scandal of the Evangelical Mind* (Grand Rapids: Eerdmans, 1994), 3.

[13] Harry Blamires, *The Christian Mind: How Should a Christian Think?* (London: SPCK, 1963), 6

[14] J. P. Moreland, *Love Your God with All Your Mind: The Role of Reason in the Life of the Soul* (Colorado Springs: NavPress, 1997), 19–40.

جينِس Os Guinness كتابًا بعنوان: **أَجْسامٌ سَلِيمَةٌ، عُقولٌ بَدِينَةٌ: لماذا لا يفكّر الإنجيليُّون وماذا سنفعل حيال ذلك.**[15]

لا يصفُ هؤلاء الأصدقاء العالم فقط، بل الوطن الذي تربَّيْتُ فيه. وبقدر ما يمضي العالم، كَتَبَ سبرول R. C. Sproul: "إنَّنا نحيا ربَّما في الفترة الأكثر مناوئةً للفكر في تاريخ الحضارة الغربيَّة".[16] وبقدر ما سارت عليه نشأتي الأصوليَّة، يقول نُل Mark Noll إنَّه بالنسبة إلى نوع التفكير الذي يرحِّب بالمجتمع والفنون والشخصيَّة الإنسانيَّة والطبيعة، "بالنسبة إلى هذا النوع من التفكير، فإنَّ العادات الفكريَّة التي شجَّعت عليها الأصوليَّة يمكن وصفها فقط بالكارثة".[17] إذًا، ليس من المُستغرَب أن أجد نفسي مشدودًا في اتِّجاهاتٍ مختلفةٍ، بل يعترف مارك نُل Mark Noll بأنَّ هناك إنجازات مذهلة لخير العالم قد تحقَّقَت بفضل الدوافع التي قوَّضَتْ جزئيًّا من الحياة الأعمق للفكر.[18]

---

[15] Os Guinness, *Fit Bodies Fat Minds: Why Evangelicals Don't Think and What to Do About It* (Grand Rapids: Baker, 1994).

"في الأساس، يُعدُّ المذهب الإنجيليُّ المناوئ للتفكير العقليّ فضيحةً وخطيَّةً. فضيحة لكونه إهانةً وحجرَ عثرةٍ في أن يمنع الناس الجادّين بلا داعٍ من التفكير في الإيمان المسيحيّ والتعرُّف على المسيح. وخطيَّة لأنَّه يميِّل رفضًا، ومقاومةً للوصيَّة العظمى والأولى من وصيَّتي الربِّ، في أن نحبَّ الربَّ إلهنا بكلِّ فكرنا" (10–11).

[16] R. C. Sproul, "*Burning Hearts Are Not Nourished by Empty Heads*," Christianity Today (September 3, 1982), 100.

[17] Noll, *Scandal of the Evangelical Mind*, 132.

[18] Ibid., 3.

"توجد مجموعة غير عاديَّة من الفضائل بين الحشود الممتدَّة للبروتستانت الإنجيليّين في أمريكا الشماليَّة، بما في ذلك التضحية الكبيرة من أجل نشر رسالة الخلاص بيسوع المسيح، وسخاء القلب المفتوح للمحتاجين، والجهد الشخصيُّ البطوليُّ من أجل المضطربين، وإعالات غير مُعلنة لعددٍ لا يُحصى من مجتمعات كنسيَّة وغير كنسيَّة".

المَعْرِفَةُ: خَطِيرَةٌ وَمُحَرِّرَةٌ

لكن مهما كان ما ورثتُهُ في أجواء عالمي ووطني، فإنَّ التَّوتُّر الأكثر نضجًا الذي أختبرُه بين التفكير والشعور والفعل يرجِعُ إلى حدٍّ كبيرٍ إلى الكتاب المقدَّس نفسه. هناك بعض العبارات في كلمة الله تؤكِّد أنَّ المعرفة تبدو خطيرةً، وأخرى تكشف أنَّها مجيدةٌ. على سبيل المثال، يقول الكتاب من ناحيةٍ: الْعِلْمُ يَنْفُخُ وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي (1 كورنثوس 1:8)؛ ومن ناحيةٍ أخرى يقول الربُّ: وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (يوحنَّا 32:8). المعرفة خطيرة. المعرفة محرِّرة. ليستْ هذه المفارقة الكتابيَّة الوحيدة.

وهكذا، فإنَّ ما أريد القيام به في هذا الكتاب هو أن آخذك معي إلى الكتاب المقدَّس نفسه لترى: كيف رتَّب الله العمل الفكريَّ بما يرتبط بالأعمال الحاسمة الأخرى في الحياة؟ كيف يرتبط التفكير بإيماننا وعبادتنا وحياتنا في هذا العالم؟ لماذا توجد بالكتاب تحذيرات كثيرة من: "المعرفة" (١ تيموثاوس 20:6)، "حِكْمَة هذا العَالَم" (١ كُورِنثُوس 19:3)، "الفَلْسَفَة" (كُولُوسِّي 8:2)، الـ "ذِهْن مَرْفُوض [أي: الفكر الوضيع]" (رومية 28:1)، "الحُكَمَاء والفُهَمَاء" العاجزون عن الرؤية (لوقا 21:10)، أصحاب القلوب المظلمة (أَفَسُس 18:4)؟

فَكِّرْ فِي مَا أَقُولُ

على الرغم من كلِّ هذه التحذيرات، فإنَّ الرسالة الغامرة للكتاب المقدَّس هي أنَّ معرفة الحقِّ أمرٌ في غايةٌ الأهمِّيَّة. **والتفكير** -بكلِّ شغفٍ واتِّضاعٍ باستخدام العقل الذي وَهَبَنا اللهُ إيَّاه بشكلٍ جيِّدٍ- هو أمرٌ جوهريٌّ لمعرفة الحقِّ.

ثَمَّة مقطعان من الكتاب المقدَّس يقدِّمان لنا الهدف الرئيس لهذا الكتاب. الأوَّل للرسول بولس وهو يقول لتلميذه تيموثاوس: افْهَمْ [أي: فَكِّرْ في] مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ (2 تيموثاوس 2:7). وتعني الوصيَّة: أن يفَكِّرَ تيموثاوس، أن يعيدَ النظرَ في، أن يستخدمَ عقلَه أو ذهنَه محاولةً منه لِفَهْمِ ما يعنيه الرسول. والمبرِّر الذي يقدِّمه الرسول لهذا التفكير هو: أنَّ الربَّ سيَهَبُ لتيموثاوس فَهْمًا. ولا يضع الرسول هذين الأمرين في حالة تناقضٍ أو تعارضٍ: التفكير من جانب تيموثاوس، ونوالُ هِبَة الفَهْم الإلهيِّ من جانب آخر. فالاثنان يسيران معًا. التفكير جوهريٌّ في سبيل الفَهْمِ. إلاَّ أنَّ الفَهْمَ هِبَةٌ إلهيَّة من الله. ذلك هو الهدف من هذا الكتاب.

اطْلُبْهَا كَالفِضَّةِ

المقطع الكتابيُّ الثاني مأخوذ من سفر الأمثال. وألخِّصه في نصَّين لتسهيل رؤية مدى التَّشابُه بينه وبين نصِّ (2 تيموثاوس 2:7)، يقول الحكيم: إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ، وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ، إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ، وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ، فَحِينَئِذٍ... تَجِدُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ (الأمثال 2:1-6). المغزى أنَّنا ينبغي أن نطلبَ الفهمَ كما يبحث البخيل عن الفضَّة. علينا أن نستخدمَ عقولنا بمهارةٍ وحماسةٍ. وما المبرِّر لذلك؟ هو نفس ما يقدِّمه الرسول بولس: الربُّ يَهَبُ حِكْمَةً وفَهْمًا. الأمران يسيران معًا: سعيُنا وراء الفهم وعطاء الله لنا. إنَّ طلبَ الفهمِ مثل الفضَّة أمرٌ جوهريٌّ لبلوغة. لكن يبقى بلوغُه هِبَةً إلهيَّةً. ذلك هو الهدف من هذا الكتاب.

هناك قصَّة عن بنچامِن وُرفيلد Benjamin Warfield ربَّما توضِّح لنا هذه النقطة. قام وُرفيلد بالتدريس في معهد برِنستون اللاهوتيِّ *Princeton Seminary* لمدَّة أربع وثلاثين سنةً حتَّى انتقاله سنة 1921م.

تجاوبَ بفزعٍ تجاه مَن كانوا يرون تعارضًا بين الصلاة من أجل الاستنارة الإلهيَّة والتفكير الصارم في كلمة الله المكتوبة. في سنة 1911م، ألقى خطابًا للطلاَّب بهذه التحريض: "أحيانًا نسمع أنَّ عشر دقائق على ركبتيك تمنحُك معرفةً أكثر صِدْقًا وعمْقًا وفعَّاليَّةً عن الله من عشر ساعاتٍ على كتبك. "ماذا!" كانت الردُّ المناسب، "ماذا أكثر من عشر ساعات على كتبك، هل عشر دقائق على ركبتيك؟"[19] **الاثنان معًا**. ليس **"إمَّا-وإمَّا"**. هذه هي الرؤية التي أحاول التشجيع عليها في هذا الكتاب.

الآن، تقديمُ صديقٍ وَوَضْعُ الأَساسِ

بمعنًى ما يأتي الفصل التالي امتدادًا لهذا الفصل لأنَّه يحكي قصَّة كيف كان لرجلٍ واحد تأثيرٌ كبيرٌ على خبرتي الحياتيَّة لاختبار **الاثنين معًا**. يمكنك القول إنَّه تكريمٌ لصديقٍ لم أعرفه شخصيًّا من قبل. في الحقيقة، لقد انتقل من عالمنا منذ أكثر من 250 سنةً. لكن أمسى بالنسبة إليَّ مصدرَ إلهامٍ لأكونَ رجل **الاثنين معًا**.

لكن بمعنًى آخر، الفصل التالي هو الأساس لبقيَّة الكتاب. ما أمدَّني به هذا الصديقُ كان الأساسَ الأعمقَ لفهمِ طريقة ارتباط التفكير والشعور مع بعضهما البعض. لقد فعل ذلك عبر رؤيته لطبيعة الله الثالوثيَّة. أرجو أنَّك تستفيد من رؤيته بقدر ما استفدتُ أنا.

[19] Benjamin Warfield, "*The Religious Life of Theological Students*," in The Princeton Theology, ed. Mark Noll (Grand Rapids: Baker, 1983), 263.

استمَرَّتْ تَقْوَى إدواردز في التقلِيدِ النَّهْضَويِّ، واستمرَّ لاهوتُهُ في الكالفينيَّة الأكاديميَّة، لكن ما من خلفاءَ له في نَظْرَتِهِ عَنْ اللهِ بصفتِهِ مَرْكزًا للواقع[20] أو في فَلْسَفَتِهِ اللاَّهوتيَّة العميقَةِ. إنَّ اختِفَاءَ المنظور الفكريِّ لإدواردز في التاريخِ المسيحيِّ الأمريكيِّ مأساةٌ.

مارك نُلْ

[20] "الواقع" لفظة فلسفيَّة تشير إلى العالم بشقَّيه المنظور وغير المنظور، والنظرة عن الواقع ترجمة للَّفظة الإنجليزيَّة worldview، المُترجِم.

الفصل الثاني

عَونٌ كبيرٌ من صَديقٍ راحلٍ

في الارتباط المتداخل بين التفكير والشعور، قلَّة من الناس ساعدتني أكثر من چوناثان إدواردز Jonathan Edwards، اللاهوتيّ والراعي لكنيسة نيوإنجلاند *New England* الذي عاش في القرن 18م. لقد سَرَدْتُ قصَّتي بخصوص تأثيره على حياتي في كتاب: **هَيامُ الله بِمَجْدِهِ: الحياةُ بِرُؤيةِ چوناثان إدواردز** *God's Passion for His Glory: Living the Vision of Jonathan Edwards*. هنا سأوفي دينًا آخر.

إدواردز بِلا خَلِيفَةٍ

تبعًا لما يذكره أغلب المؤرِّخين تقريبًا، كان إدواردز واحدًا من بين أعظم المفكِّرين الذين أنتجتهم أمريكا، إن لم يكن الأعظم.[21] هو من جَسَّدَ **"الاثنين معًا"**، الأمر الذي يدور حوله هذا الكتاب. في الحقيقة، كما ينادي المؤرِّخ مارك نُلْ Mark Noll: ما من أحدٍ منذ إدواردز جَسَّد الوحدة بين العقل والقلب [أي: بين الفِكْرِ والمشاعر] على غرار ما فعله إدواردز.

---

[21] Mark Noll, *The Scandal of the Evangelical Mind* (Grand Rapids: Eerdmans, 1994), 24.

"... العقليّة الإنجيليّة الأعظم في التاريخ الأمريكيّ وأحد المفكِّرين المبدعين بحقٍّ في التاريخ المسيحيّ".

> استمرَّتْ تقوى إدواردز في التقليد النهضويِّ، واستمرَّ لاهوته في الكالفينيَّة الأكاديميَّة، لكن ما من خلفاء له في نظرته عن الله بصفته مركزًا للواقع، أو في فلسفته اللاهوتيَّة العميقة. إنَّ اختفاءَ المنظور الفكريِّ لإدواردز في التاريخ المسيحيِّ الأمريكيِّ مأساةٌ.[22]

بتعبيرٍ آخر، وَجَدَ اللاهوت والتقوى معًا وحدةً في حياة إدواردز، إلاَّ أنَّ هذه الوحدة قد اختفت اليوم أو ربَّما نادرة جدًّا. آمُل أن يشجِّع هذا الكتاب البعضَ على اقتفاء تلك الوحدة.

تَفْكِيرٌ وشُعورٌ ثالوثيَّان

أحدُ الهباتِ التي قدَّمَها لي إدواردز، والتي لم أجدها في أيِّ مكانٍ آخر، هي أساسٌ للتفكير والشعور الإنسانيِّ في الطبيعة الثالوثيَّة لله. ولا أعني أنَّ الآخرين لم يدركوا بأنَّ الطبيعة الإنسانيَّة متأصِّلة في طبيعة الله. إلاَّ أنَّني أعني ببساطة أنَّ الطريقةَ التي أَدْرَكَ بها إدواردز ذلك كانت فائقةً. لقد بَيَّنَ لي أنَّ التفكير والشعور الإنسانيَّ لا يوجدان اعتباطًا؛ هما موجودان لأنَّنا على صورة الله، و"تفكيرُ" الله و"شعوره" هما جزءٌ من كيانه الثالوثيِّ بشكلٍ عميقٍ أكثر ممَّا كنتُ أدركُ.

ليستَعْدِدْ القارئ للروعة. إليك وصف إدواردز اللافت عن الطريقة التي ترتبط بها أقانيم الثالوث معًا. لاحظ أنَّ الله الابن قائمٌ أزلاً بوصفه الأقنوم المُمَثِّل لفكر الله. والله الروح ينبثق من الآب عن طريق الابن بوصفه الأقنوم الفاعل في التعبير عن فرحِهما.

---

[22] Mark Noll, "*Jonathan Edwards's Moral Philosophy, and the Secularization of American Christian Thought*," Reformed Journal (February 1983): 26.

هذا ما أفترض أنَّه الثالوث المبارك الذي نقرأ عنه في الأسفار المقدَّسة. **الآب** هو الأقنوم الإلهيُّ القائم رأسًا، غيرُ المولود، كلِّيُّ الصلاح، إلوهيَّة بوجودها المطلق، بوجودها الذاتيِّ المباشر. **الابن** هو الأقنوم الإلهيُّ المولود بفكر الله، أو الذي له فكر الله نفسه والقائم بذلك الفكر. **الروح القدس** هو الإقنوم الإلهيُّ القائم بالفعل، أو الجوهر الإلهيُّ المتدفِّق أو النابع من محبَّة الله غير المحدودة لنفسه ومسرَّته بذاته. أومن بأنَّ الجوهر الإلهيَّ بكامله قائمٌ بالحقِّ وبشكلٍ متميِّزٍ بالفكر الإلهيِّ والمحبَّة الإلهيَّة، حتَّى أنَّ كُلاًّ منهم أقانيم متميِّزون بشكلٍ لائقٍ.[23]

بتعبيرٍ آخر، لله الآب صورةٌ أو فكرٌ أزليٌّ، هو بالكامل أقنومٌ قائمٌ ومتميِّزٌ بوصفه فكرَ الآب، إلاَّ أنَّه واحد في الجوهر الإلهيِّ. ولله الآب، والابن فرحٌ أبديٌّ بسموٍّ بعضهما البعض، هذا الفرح يحمله بالكامل أقنومٌ متميِّزٌ، أقنوم الروح القدس؛ متميِّز بقدر مسرَّة الآب والابن ببعضهما البعض، إلاَّ أنَّه واحد في الجوهر الإلهيِّ. لم يكن هناك وقت أبدًا لم يختبر فيه الله ذاته بهذه الطريقة. أقانيم الثالوث الثلاثة شركاء في الأزليَّة، ولكلٍّ منهم نفس الجوهر الإلهيِّ على نحوٍ متساوٍ.

مُمَجَّدٌ بِمَعْرِفَتِهِ والتَّمتُّع به

الحقيقة المذهلة لما نقصده هنا هي أنَّ وجود الله بوصفه ثلاثة أقانيم هو الأساس للطبيعة الإنسانيَّة بوصفها رأسًا وقلبًا، تفكيرًا وشعورًا، معرفةً ومحبَّةً. في قدرتنا أن ندرك ذلك أيضًا بوضوحٍ لافتٍ أكثر عندما نراقب إدواردز وهو يرسم ارتباطًا بين طبيعة الله وكيف صمَّمنا لنمجِّده.

[23] "*An Essay on the Trinity*," in Treatise on Grace and Other Posthumously Published Writings, ed. Paul Helm (Cambridge, UK: Clarke, 1971), 118.

لاحظ كيف ينتقل من المجد الداخليِّ للثالوث إلى المجد الذي يهدف الله لنواله في الخليقة.

> الله ممجَّدٌ في ذاته بهاتين الطريقتين: (1) باستعلانه... لذاته بفكره الذاتيِّ التامِّ [عن نفسه]، أي بابنه، الذي هو بهاءُ مجده. (2) بالتَّمتُّع والمسرَّة بذاته، بالتدفُّق غير المحدود... للمسرَّة بذاته، بالروح القدس.
>
> ... وهكذا، يمجِّد الله ذاته من جهة المخلوقات بطريقتين أيضًا: (1) باستعلان ذاته لهم... حسب إدراكهم. (2) في الوصول بنفسه إلى قلوبهم، في ابتهاجهم، ومسرَّتهم وتمتُّعهم بإظهاراته التي يكشف بها عن نفسه... الله ممجَّدٌ ليس فقط عندما يُرى مجده، بل عندما يتمُّ التَّلذُّذُ بهذا المجد. مَتَى سُرَّ بالمجد مَن يعاينونه، يتمجَّد الله على نحوٍ أكبر في مسرَّتِهِم بالمجد لا برؤيتهم له فقط. وقتها يتمُّ قبول المجد بواسطة النفس بكاملها، بالفهم وبالقلب.
>
> خَلَقَ الله العالم حتَّى يعلِنَ عن مجده، ليَنْعَمَ به المخلوق أيضًا؛ وأن يقبله بالعقل والقلب. فمن يشهد بِفِكْرِهِ عن مجد الله لا يمجِّد الله بنفس القدر لمن يشهد أيضًا عن قبوله لهذا المجد ومسرَّته به.[24]

إنَّ ما ينطوي عليه هذا الحقُّ بالنسبة إلى هذا الكتاب هائلٌ، على سبيل المثال، إن كان ينبغي أن نحيا بحسب طبيعتنا بوصفنا كائنات بشريَّة مخلوقة على صورة الله، إن كان علينا أن نمجِّد الله بشكلٍ كاملٍ، لا بُدَّ أن نستخدِمَ عقولَنا في معرفته بالحقِّ، وقلوبَنا في محبَّتِهِ بالشكل اللائق. إنَّ التماسَ هذا الكتاب في التَّمَسُّك **بالاثنين معًا** ليس مجرَّد تفضيلٍ شخصيٍّ

[24] "*Miscellanies*" in *The Works of Jonathan Edwards*, vol. 13, ed. Thomas Schafer (New Haven, CT: YaleUniversity Press, 1994), 495 (Miscellany 448).

خاصٍّ بي. إنَّه التماسٌ من أجل أمرٍ متأصِّلٍ في طبيعة الوجود الثالوثيِّ لله، وفي الطريقة التي خَلَقَنا بها الله لنمجِّده بالعقل والقلب.

حَقٌّ وَاضِحٌ من أَجْلِ مَشاعرَ قَويَّةٍ

رسَّخ إدواردز نموذجًا من أجلنا في سعينا لإيقاظ المشاعر، ليس بالتسلية أو الضجيج ولكن بآراء واضحة عن الحقِّ. بتعبيرٍ آخر، جعل من عمل التفكير خادمًا لخبرة العبادة والمحبَّة.

> ينبغي أن أُفكِّرَ بذاتي في طريقةِ أداء واجبي لرفع مشاعر من يستمعون إليَّ عاليًا بقدر ما أستطيع بشرط أن تتأثَّر مشاعرهم بالحقِّ فقط، وبمشاعر متناغمة مع طبيعة ما يتأثَّرون به.[25]

يا له من مثالٍ مذهلٍ كان عليه إدواردز فيما يرتبط **بالاثنين معًا: عواطف قويَّة** لمجد الله بناءً على **آراء كتابيَّة واضحة عن الحقِّ الإلهيِّ**. إذًا، تدرك أنَّ الأمر ليس من أجل أيِّ تلاعبٍ أكاديميٍّ من أيِّ نوعٍ عندما قال: "اقتنِ تلك المعرفة عن الأمور الإلهيَّة التي في حدود طاقتك، حتَّى المعرفة العقائديَّة المرتبطة بمبادئ الدين المسيحيِّ".[26] فهذا ليس للتباهي. بل هذا عمل العقل من أجل الإعجاب باندهاشٍ بالله والخدمة [له وللناس] بكلِّ محبَّةٍ.

---

[25] Jonathan Edwards, "*Some Thoughts Concerning the Revival*," in *The Works of Jonathan Edwards*, vol. 4, *The Great Awakening*, ed. C. C. Goen (New Haven, CT: Yale University Press, 1972), 387.

[26] Jonathan Edwards, "*A Spiritual Understanding of Divine Things Denied to the Unregenerate*," in *The Works of Jonathan Edwards, Sermons and Discourse* 1723–1729, ed. Kenneth P. Minkema (New Haven: Yale University Press, 1997),92.

آمُل أن يكون الأمر جليًّا الآن في أنَّ تشديد هذا الكتاب على التفكير لا يأتي على حساب المشاعر أو الإحساس بالمسرَّة أو المحبَّة. الاثنان معًا أساسيَّان للكيان البشريِّ، بل إنَّ كليهما أساسيَّان لتمجيد الله. صحيحٌ أنَّ العقل والقلب يحيي أحدهما الآخر بشكلٍ متبادلٍ،[27] من الواضح أيضًا أنَّ العقلَ خادمٌ للقلب بشكلٍ أساسيٍّ. أي أنَّ العقل يعمل على معرفة الحقِّ الذي يضرم نيران [محبَّة] القلب.

ذروة تمجيد الله هي التمتُّع به قلبيًّا. إلاَّ أنَّ هذه العاطفة فارغة إن لم يُوقِظ هذا الفرح ويدعمه آفكارٌ حقيقيَّةٌ عن الله كما هو عليه بالحقِّ. وهذا ما يعملُ ويهدِفُ لأجله العقلُ بشكلٍ رئيسٍ.

الانْتِقالُ من سيرةٍ ذاتِيَّةٍ إلى المَعْنَى

في الفصل التالي، ننتقل من تركيز يسوده إلى حدٍّ ما طابعُ السيرة الذاتيَّة في توضيح هدف الكتاب (كما في الفصلين الأوَّل والثاني) إلى ما أعنيه بالفعل بِمَهَمَّةِ التفكير. ربَّما، وعلى نحوٍ مدهشٍ بالنسبة إلى البعض، ما في ذهني غالبًا، وليس على وجه الحصر، هو الامتياز المذهل للقراءة. إنَّ أفضلَ قراءةٍ لأعظمِ الكتبِ الأدبيَّةِ المانحةِ للبصيرةِ (خاصَّةً أسفار الكتاب المقدَّس) تستلزمُ تفكيرًا جادًّا. هذا ما أريد إيضاحه في الفصل التالي.

[27] See Thomas Goodwin's explanation of this mutuality in chap. 6

تَوضِيحُ
مَعْنَى التَّفْكيرِ

عندما تَدْخُل العقلَ البشريَّ أيَّةُ حقيقةٍ جديدةٍ لا بُدَّ أن تواصلَ التقدُّمَ لِتَصْنَعَ لنفسها بيتًا؛ لا مناصَ أن تُقَدِّمَ نفسها لقاطني المنزلِ السابقين. وعمليَّةُ استقدام حقيقة جديدة تُسمَّى التفكير. وبخلافِ ما يبدو مُفترَضًا في العموم، لا يمكن تجنُّب التفكير بواسطة الإنسان المسيحيِّ.[28]

چ. جرسام ميشن

[28] Gresham Machen, *What Is Faith?* (1937; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1991), 242.

الفصل الثالث

القِرَاءَةُ تَفْكِيرٌ

التفكير هو ذلك المفهوم الواسع الذي يمكِنُ أن يعني أيَّ شيءٍ نقومُ به أو نمارسه بعقلنا. واِسمح لي أن أقدِّم لك تركيزًا على الطريقة التي أستخدم بها تلك اللفظة. بشكلٍ غالبٍ، أعنى بالتفكير نشاطَ العقل في قراءة وفهم ما كَتَبَه آخرون، وخاصَّةً الكتاب المقدَّس. بكلِّ يقينٍ، هناك آلاف من الأشياء التي نفكِّر فيها. بالفعل ينبغي لنا بل لا مناصَ من أن نفكِّر في أشياء أخرى كثيرة حولنا. في الفصلين الثاني عشر، والثالث عشر، سأنتقل لما هو أبعد من تركيزي الرئيس إلى حياة العقل في فروع التَّعَلُّم الكثيرة. إلاَّ أنَّ اهتمامي الغالب الآن هو طريقة ارتباط التفكير بسعينا وراء معرفة الله ومحبَّته.

أَعْلَنَ اللهُ عَنْ نفسِهِ بواسِطَةِ كِتَابٍ

بينما تعمل كلُّ الخليقة بطريقةٍ ما في الإعلان عن الله، فإنَّه قد شَاءَ أن تأتينا المعرفة الأكثر وضوحًا ومصداقيَّةً عنه، أي عن هذا الجانب السمائيِّ، بواسطة كلمته المكتوبة، أي بالكتاب المقدَّس. لهذا السبب ينحصر تركيزنا هناك. الكتاب هو المكان الرئيس الذي به نعرف الله، والكتاب المقدَّس هو كتابٌ، ومن ثَمَّ، يستلزم تفكيرًا. من منطلق أساس

معرفة الله عن طريق هذا الكتاب، من الممكن إذًا أن نتحرَّك ونفكّر بشكلٍ مثمرٍ في كلِّ جوانب الحياة.

إذًا ما الذي ينطوي عليه التفكير عندما يرتبط الأمر بفهمِ نصوصِ الكتاب المقدَّس؟

التَّفْكِيرُ فِي مَا تَقْرأُهُ

أوَّلاً، يقوم المرءُ باختيارٍ عقليٍّ بتركيز ذهنك على نصٍّ كتابيٍّ ما. ينطوي هذا الاختيار على تفكيرٍ. سواء فكَّرت في الاحتمالات الكثيرة عمَّا تريد أن تقرأ، أو ربَّما وَازَنْتَ بين الامتيازات والعيوب، أو كنت محمولاً بدافعٍ مباشرٍ على الأكثر، في كلِّ الأحوالِ عقلُك عاملٌ وفاعلٌ في أثناء قيامك باختيار التركيز على نصٍّ ما. لِنَقُلْ أنَّكَ اخْتَرْتَ التركيز على نصٍّ في (مَتَّى 7:7-12):

> 7اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. 8لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. 9أَمْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ خُبْزًا، يُعْطِيهِ حَجَرًا؟ 10وَإِنْ سَأَلَهُ سَمَكَةً، يُعْطِيهِ حَيَّةً؟ 11فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ! 12[لذلك] فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ.

بعد أن وَجدتَه في الكتاب (الأمر الذي حتَّم عليك استخدام عقلك)، تقومُ بعدها بقرائته.

يا له من عملٍ مُذْهِلٍ! القراءةُ بوصفها تفكيرًا. مقدِّمتي الأكثر تأثيرًا للعالم المثير، أي عَالَم القراءةِ الجادَّةِ، تأتي من العمل الكلاسيكيِّ للكاتب

مورتيمَرْ أَدْلر Mortimer Adler بعنوان: "**كيف تقرأ كتابًا** *How to Read a Book*"، والذي لا يزال قيد الطبع (ويحقِّق ربحًا جيِّدًا على أمازون) لمدَّة سبعين سنةً منذ أن نُشِرَ للمرَّة الأولى سنة 1939م.

من الصعب ألاَّ نبالغ في تقدير الاتِّساع العالميِّ الذي سينفتح لك إن استحوذتْ عليك رؤيةُ أَدْلر عن القراءة. اسْمَحْ لي بمحاولة إغرائك لاقتناء كتابه وقرائته وذلك بتقديم بعض الجمل التي استوقفتني منذ أربعين سنة.

> أفضلُ المعلّمين هم من يقومون بتقديم الأقلِّ وقت العرض... فإن كنَّا نحن المعلّمين أكثر أمانةً بشأن ضعفنا في القراءة، إن كنَّا أقلَّ نفورًا في الكشفِ عن مدى الصعوبة التي نواجهها في القراءة، وكم من المرَّات نتلعثم، ربَّما من الأفضلِ أن ندفعَ بالطلاَّب للاهتمام بمهارة التعلُّم عوضًا عن مهارة نقل المعلومات إليهم.[29]
>
> عندما لا يعرف المعلّمون بعد طريقة القيام بدورهم في قراءة الكتب مع طلاَّبهم، سوف يكونون في المقابل مُجبَرين على تلقينهم. (ص 57)
>
> القراءة أفضل أو أسوأ تبعًا لفعَّاليَّتها إن كانت أكثر فعَّاليَّة أو أقلَّ فعَّاليَّة. (ص 22)
>
> ما يستلزمُ القليل أو ما لا يحتاج أيَّ جَهْدٍ بالنسبة إلى إنسانٍ ما قد يستلزمُ جَهْدًا خالصًا بالنسبة إلى إنسانٍ آخر. (ص 29)
>
> أغلبنا لا يَعْلَمُ ما هي حدود إدراكنا. لم نجرِّبْ قط توظيف قدراتنا بكاملها. اعتقادي الصادق أنَّ كلَّ الكتبِ العظيمة تقريبًا في كلِّ مجالٍ في متناول إدراك الناس الأذكياء بشكلٍ عاديٍّ. (ص 30)

---

[29] Mortimer Adler, *How to Read a Book* (1939; repr. New York: Simon & Schuster, 1967), 13.

الأرقام الواردة بعد الاقتباسات التالية هي أرقام الصفحات من هذه الطبعة.

قال هوبز Hobbes: "إن كنت أقرأ كتبًا كثيرة بقدر ما يقرأ الناس"، وقصده: بقدر ما يسيء الناس القراءة، "لا بُدَّ أن أكون غبيًّا مثلهم". (ص 40)

يقينًا، جمعُ القليل من الفتات الساقط من المائدة أفضل من الموت جوعًا في هيامِنا بوليمةٍ نعجَزُ عن بلوغها. (ص 61)

لا تَقُلْ إنَّك تقبل بـ، أو تختلف مع، أو تؤخِّر الحكم على، حتَّى يمكنك القول: "أنا أُدْرِك". (ص 267)

لا فائدة من الفوز في جدلٍ إن كنت تعلَم أو تشكُّ أنَّك مخطئ. (ص 245)

أَدْلَر مُلْهِمٌ وحكيمٌ في الرؤية التي يرسمها من أجل طريقة القراءة. أشجِّعُكَ، مهما يكن عمرُك، إن لم تكن قد قرأتَ ذلك الكتاب، أن تقتنيه وتقرأه. نقطته الرئيسة هي أنَّ القراءةَ فعَّالةٌ. القراءةُ تفكيرٌ. القراءةُ جبلُ كنوزٍ لمن ينقِّبُ عنها. كَمٌّ لا بأس به ممَّا تَعَيَّنَ عليَّ أن أقوله متأثِّرًا به.

القِرَاءَةُ بِوصْفِها تَفْكِيرًا

عندما تقرأ، يرى ذهنك أشكالاً على الصفحة. ندعوها حروفًا. بعد سنوات من التعليم، وارتباطًا بما تَعَلَّمتَه (بعقلك) تدرك أنَّ هذه الأشكال ترمز إلى أصواتٍ (بعضها متحرِّك وبعضها ساكن). لقد تعلَّمتَ أيضًا أنَّه عندما تجتمع أشكال هذه الحروف بطرائق معيَّنة (بعشرات الآلاف من الطرائق)، فإنَّها تكوِّن المفردات التي تشير إلى الأشياء والأشخاص والأفعال والأوصاف والأفكار والمشاعر.

كما تَعَلَّمْتَ (باستخدام عقلك) أنَّ آلافًا من هذه المفردات لها ما يناظرها في الواقع (لبن، ظلمة، فرح، محبَّة، والدة). وقد تَعَلَّمْتَ أنَّه بما أنَّ آخرين يعرفون ما يناظر هذه المفردات، إذًا بإمكانك التواصل معهم.

الأفكار الكامنة داخل عقل أيِّ شخصٍ آخر يمكِنُ نقلُها عبر المفردات إلى عقلك.

وهذا أحدُ الأهداف الرئيسة للقراءةِ. فأنا أَكْتُبُ رسالةً نصِّيَّةً لك: أقابلكَ في الكوخ *the Hut*، في الخامسة". هدف قراءة هذه الرسالة ليس اختبارًا باطنيًّا صوفيًّا أو إعادة بناء خلاَّقة. الهدف بالنسبة إلى فكرتي -أو نيَّتي- هو أن تنتقل فكرتي من عقلي إلى عقلك. وهذا يستلزم تفكيرًا. نقوم بهذا التفكير مرَّات كثيرة حتَّى أنَّه ما من جهدٍ تقريبًا في القيام بفعله. أنت تفسِّرُ المعنى على النحو التالي:

- "أقابلُ": الذهاب إلى نفس المكان ليجد أحدُنا الآخر.
- "كَ": أي أنتَ، ليس هو، أو هي، أو هُم، لكن أنتَ.
- "في": أي في المكان المعيَّن بذاته، وليس في مبنًى بعيدٍ.
- "الـ": للتحديد، إذ يوجد أكثر من مكان، لكن أنت وأنا نتقاسم خبرة كافية لنعرف المكان المقصود.
- "كوخ": تعبيرنا الخاصُّ عن مطعم البيتسا في دِنْكِي تاون Dinky Town.
- "في": حرف جرٍّ زمنيٌّ بمعنى "وَقْتَ" أي الوقت المعيَّن بذاته، ليس متأخِّرًا ساعة أو مبكِّرًا ساعة.
- "الخامسة": ليس خطوة خامسة، ولا سنة، ولا عنوانًا، لكنَّها ساعة، والخامسة مساءً، ونَعْلَمُ هذا من استعمالنا المعتاد والمشترك.

إذًا مُخُّكَ يعملُ بالفعل في أثناء قرائتك وتفسيرك لمعنى هذه الرسالة. أنتَ بارعٌ في القراءة للغاية ولا يوجد في تفسيرها أيُّ عناء. ذهنك مدرَّبٌ بشكلٍ رائعٍ على القيام بهذا. لم يكن بإمكانك القيام بهذا التفسير عندما كنت تبلغ من العمر سنتين. لقد تدرَّب ذهنُك على هذا عبر الزمن الطويل. فإلى أيِّ مدًى أبعد من ذلك يمكنه أن يذهب؟!

التَّفْكِيرُ بجِدِّيَّةٍ للفَهْمِ

وهكذا، تنطوي القراءة على التفكير، أي على العمل المذهل لإدراك الرموز والقيام بالربط بينها بما يمكِّنُك من تفسير المعنى. وندرك فقط ماذا يكون هذا التَّحَدِّي عندما نبدأ في قراءةِ نصوصٍ أكثر تعقيدًا. نصوص بها مفردات غير مألوفة، أو تَضُمُّ تركيبًا لغويًّا لجملةٍ، أو ارتباطات منطقيَّة ليستْ واضحةً بشكلٍ مباشرٍ. عندما يكون الحال هكذا، إمَّا أن نتوقَّف بسرعةٍ وإمَّا نفكِّر بجِدِّيَّةٍ أكبر.

هذا غالبًا ما أعنيه في ذهني بالتفكير: العمل بجِدِّيَّة على استخدام عقولنا أو أذهاننا لاستجلاء المعنى من النصوص التي نقرأها. ثمَّ ننطلق بكلِّ يقينٍ من هناك لنفكِّر كيف يرتبط هذا المعنى بمعانٍ أخرى في نصوصٍ أخرى، أو بمعانٍ أخرى لخبرات حياتيَّة أخرى. وهكذا تستمرُّ عمليَّاتُ التفكير، حتَّى نبني رؤيةً متماسِكَةً عن العالم حتَّى يمكِنُ لنا أن نحيا حياةً متأصِّلةً في فهمٍ حقيقيٍّ عن كلمة الله وتطبيقها في العالم.

افْعَل بالكُتَّابِ كَمَا تُحِبُّ أن يَفْعَلُوه بِكَ

في أساس هذه النظرة المتماسكة عن الواقع بشقَّيه، المنظور وغير المنظور، وفي عمليَّة تأصيلنا في الكتاب المقدَّس يَكْمُن العملُ الشاقُّ لفهم ما قصد الكاتب توصيله للقارئ. يمكننا التعبير عن هذا بالقول: "التفكيرُ بحسبِ أفكارِ كاتبٍ آخر". هذه هي القاعدة الذهبيَّة للقراءة: "افْعَل بالكُتَّابِ كَمَا تُحِبُّ أن يَفْعَلُوه بِكَ". يحبُّ المؤلِّفون من الكَتَبَةِ أن يفهمهم الآخرون، لا أن يسيئوا فَهْمَهُم. وهكذا، بالنسبة إلى القارئ، القاعدة الذهبيَّة تفترض ضمنًا: أن تفكِّر بعقلك بكلِّ جِدِّيَّةٍ لتفهم ما قَصَدَ الكاتب إيصاله.

عندما أكتبُ شيئًا، تكون لديَّ في العموم فكرةٌ أودُّ أن يدركَها الآخرون. فإن فسَّروا عباراتي بطريقةٍ مختلفةٍ عمَّا أقصده، إذًا، إمَّا أنِّي كتبتُ بأسلوبٍ ضعيفٍ، وإمَّا أنَّهم قرؤوا ما كتبته قراءةً ضعيفةً، أو الاثنين معًا. لكن على أيَّة حالٍ، سأكون مُحبطًا، لأنَّ هدف الكتابة أن تكون مفهومة (بخلاف كتابات الكَذَبَة والجواسيس). ومن ثَمَّ ينبغي أن يكون هدف القراءة بحسب المعتاد فهم ما أراد الكاتب أن يكون مفهومًا. تجاهُل ذلك الهدف كسرٌ للقاعدة الذهبيَّة للقراءة.

أنا أريد لمذكِّراتي، وعهودي، ورسائل محبَّتي أن تكون مفهومةً كما قصدتُ في كلٍّ منها على حدة. وعلى نفس القياس، تلك أيضًا الطريقة التي **ينبغي أن أقرأ بها**. فإن كتبتُ: "لديَّ حساسيَّة من قشر التفاح"، إذًا، لا تقل للطاهي: "چون لا يأكل التفاح". فأنا لم أقلْ ذلك، ولا قصدتُه. ولكن أَخْبِرْ الطاهي أن يقشِّر التفاح. وعندما أقرأ ملاحظةً منك: "أعاني حساسيَّةً من قشر البرتقال"، سأخبر الطاهي ألاَّ يطحن القشر في أيَّة مشروبٍ لك. تلك هي القاعدة الذهبيَّة للقراءة: أن تعمل بجدٍّ من أجل فَهْمِ المفردات والعبارات التي قصدَ الكاتب إيصالها.

الهِبَةُ الثَّمينَةُ لقَواعِدِ اللُّغَةِ

الآن عودةً إلى موضعِ تركيز انتباهنا في (مَتَّى 7:7-12). نصطدمُ على الفور بحقيقة أنَّ التفكير لا بُدَّ وأن يتعامل ليس مع المفردات فقط، ولكن مع المفردات وَفْقًا لترتيبٍ محدَّدٍ. على سبيل المثال، عقلنا لا بُدَّ وأن يقوم بشيءٍ ما تجاه حقيقة أنَّ الفعل "اسألوا" هو اللفظة الأولى في جملة القول: "**اِسْأَلُوا** ask، تُعْطَوْا". وسواء كنَّا ندرك ذلك المصطلح أو لا، تعلَّمنا أنَّ هذا فعل *verb*، وعندما يأتي الفعل أوَّلاً بحسب قواعد اللغة الإنجليزيَّة فإنَّنا نتعامل في العادة مع **صيغة الأَمْرِ** *imperative* الذي يعني وصيَّةً ما، أو

طلب القيام بشيءٍ ما. إن قلتَ لي: "أنا أسأل I ask ..." أي عندما تكون لفظة الفعل هي اللفظة الثانية لا الأولى، فإنَّك تخبرني بما تفعله أنتَ. لكن إن قلت لي: "اِسأل ask ..."، ولفظة الفعل هي اللفظة الأولى، فإنَّك تأمرني بشكلٍ نمطيٍّ للقيام بشيء ما.

وسواء درسنا أو لم ندرس هذه القاعدة النحويَّة أو سمعنا قط المصطلحات: **قواعد اللغة** *grammar*، **فعل** *verb*، **صيغة أمر** *imperative*، فإنَّ أذهاننا قد وَعَتْ مثل هذه القواعد والاستخدامات اللغويَّة، ونعرف كيف نفهمها. إن لم نعِ القواعد اللغويَّة، سيتَعيَّن علينا التفكير بعناء أكبر. يا لها من هبة ثمينة عندما يتعلَّم الطفل الصغير هذه الأمور بالممارسة والتدريب منذ نعومة أظافره.

عَلاقَاتٌ وَاضِحَةٌ

الآن يبدأُ الأمرُ في أن يكون بالفعلِ مثيرًا. وذلك ما يكون عليه التفكير. وبشأن ترتيب اللفظة مع توصيفها استعمال مصطلحات محدَّدة، فإنَّ القواعد اللغويَّة، في حدِّ ذاتها، لا تخبرنا دائمًا بالكيفيَّة التي نفهم بها جملةً أو عبارةً ما. بشكلٍ نمطيٍّ، المفردات والعلاقات في ما بينها والمحتوى، كلُّ هذا معًا هو ما يوضِّح معنى الجملة. على سبيل المثال، لفظة حرف الربط اليونانيِّ [and، الواو **και**] قبل "تُعْطَوْا"، **لا** يعني فقط بحسب العادة: "والنتيجة ستكون هي". لكنَّ هذا ما يريدنا الربُّ يسوع أن نفهمه عندما قال: "اِسْأَلُوا [وَ **και**] تُعْطَوْا". يعني الربُّ: "**اِسْأَلُوا**"، **والنتيجة**: "**تُعْطَوْا**". إنَّ عقولنا تعي ذلك لأسبابٍ كثيرة منها محتوى ما يقوله الربُّ، وترتيب المفردات في الجملة، وأيضًا الطريقة التي يتمُّ بها استخدام أداة الربط [and أي الواو **και**] بين الفعلين. إنَّ فعل الأمر

"اِسْأَلُوا" متبوعًا بالقول: "تُعْطَوْا" هو مرشدٌ لعقولنا (بحسب هذا النظام اللغويِّ) في أنَّ العطيَّة نتيجة للسؤال.

مرَّةً أخرى، من المحتمل أنَّك تكون متعلِّمًا جيِّدَ التعلُّم للغاية حتَّى أنَّ فَهْمَكَ بعد رؤية هذه الجملة لا يكلِّفُك تقريبًا أيَّ عناء على الإطلاق. لم تتوقَّف في أثناء قرائتك لتقول: "لقد لاحظت أنَّ الفعل: اِسْأَلُوا هو اللفظة الأولى، ولذلك، فإنَّ المحتمل أنَّه صيغة أمر، وهو متبوع بوعدٍ في أنَّ الله سيَهَبُ ما نسأله، وهكذا، فإنَّ الوعد نتيجة للسؤال". إنَّ عقلَك يقومُ بكلِّ هذا دون وعيٍ. وهذا رائع. في العادة، هذا المستوى من التفكير سهلٌ. وأنت قد تدرَّبْتَ عليه جَيِّدًا.

فَوائِدُ الشِّبَعِ المُؤَجَّلِ

في الحقيقة، ينبغي لنا التوقُّف هنا لنذكِّر أنفسنا أنَّ كلَّ تدريبٍ نقوم به مؤلِمٌ ومُحْبِطٌ وذلك في سبيل تَعَلُّم مهارات من شأنها أن تصبحَ لاحقًا طبيعة ثانويَّة، تقود إلى فرحٍ أعظم. من لا يقبل بالألمِ والإحباطِ، يبقَى في المستويات الأدنى من جهة الإنجاز والشِّبع. على سبيل المثال، تَعَلُّم قيادة سيَّارةٍ أمرٌ باعثٌ على التَّوَتُّر والقلق. في أثناء القيادة عليك أن تتذكَّر أمورًا كثيرةً في نفس الوقت، وخاصَّةً إن كان تغيير السرعة يدويًّا: عليك النظر في كلا الاتِّجاهين، رَفْعُ القدم من على دوَّاسة السرعة (البنزين)، الضغط على دوَّاسة الفرامل، دفع دوَّاسة التعشيق (الدبرياش)، تغيير الفتيس، رفع القدم من على الدبرياش، إضاءة فوانيس الإشارة الوامضة، إدارة عجلة القيادة، الضغط على دوَّاسة السرعة، وهكذا. كلُّها أمورٌ تُشعِرك بالفزع وانعدام الثقة. لكن إن خارتْ عزيمتُك، سوف تخسر أفراح القيادة والشعور بالرضى، خاصَّةً عندما تكون قادرًا على مواصلةِ حوارٍ في أثناء القيادة، وأنت

تقوم بفعل كلِّ هذه الأمور معًا، وهو الشيء الذي يتحقَّق فقط عندما تُمْسِي القيادة طبيعة ثانويَّة.

ونفسُ الشيءِ مع عزف البيانو، رمي شَعْر بوصة الصيد، رمي الكرة، الحياكة، تعلُّم لغة جديدة، وقراءة الكتب العظيمة. في مرحلةٍ ما كلُّ هذه المهامِّ تكون صعبة وغريبة. تَعَلُّم مهارةٍ ما ثمَّ التدريب عليها ليس متعةً. الفرحُ والشِّبَعُ على الجانب الآخر من العمل الشاقِّ. هذا أساسيٌّ لكلِّ نموٍّ. جزءٌ من النضوج يكمن في مبدأ الشِّبع المؤجَّل. إن لم تقوَ على القبول بألم التَّعَلُّم، بإصرارك على متعةٍ سريعةٍ، سوف تخسر أعظم المكافآت في الحياة.

نفسُ الشيءِ مع قراءة الكتاب المقدَّس. الغِنَى الأعظم محفوظ لمن يدرسون بجِدِّيَّةٍ ليفهموا ما يحتويه الكتاب بالفعل. هناك مئات العلاقات والمعاني والمضامين في الكتاب المقدَّس، التي لا تقفز من الصفحات مع أوَّل قراءة له، وعلى الأقلِّ هكذا الحال بالنسبة إليَّ. أنا مجبرٌ على القراءةِ ببطءٍ، ثمَّ أبدأ في طرح الأسئلة بشأن المفردات والعلاقات في ما بينها. بتعبيرٍ آخر، يَتَعَيَّنُ عليَّ أن يكون التفكير مقصودًا.

حتَّى الآن معظمُ تفكيرِنا بشأن النصِّ الوارد في (مَتَّى 7:7-12) تلقائيٌّ قائمٌ على البديهة. عملنا لفترةٍ طويلةٍ بَلَغَتْ العشر السنوات الأولى من حياتنا لنتعلَّم كيف نتكلَّمُ، ونسمعُ، ونقرأُ حتَّى أصبح بإمكاننا القيام بهذه المهارات دون أيِّ عناء. هذا أحد أفراح التعليم التربويِّ العظيم. وعندما أقولُ **التعليم التربويَّ** أعني التَّعلُّم تربويًّا، سواء في مدرسةٍ أو خارجها. التعليمُ لمجرَّد التحصيل المعرفيِّ الدراسيِّ في مدرسةٍ ليس نفسَ الشيءِ كالتعليمِ التربويِّ.

والآن، ندركُ أنَّ قدرتَنا على القراءة، أي قدرتنا على التفكير، التي تخدمنا جيِّدًا بنسبة 90٪ من الوقت، لا تدركُ كلَّ ما يتعيَّن على الكتاب المقدَّس أن يقوله. في مجال الكتاب، يأتي وقت نختار فيه بأن يكون تفكيرنا

مقصودًا، حتَّى ننمو في ما رأيناه وفهمناه. لكن إن كنَّا لا نختار التفكير بجِدِّيَّةٍ أكبر نستقرُّ عند مستوى المراهق من جهة الفهم بقيَّة أيَّام حياتنا.

طَرْحُ الأسئلةِ مِفْتَاحُ الفَهْمِ

أحدُ أفضلِ التكريمات التي تلقَّيتها في الكلِّيَّة من طلبة أحد الموادِّ الكتابيَّة في أثناء سنوات تدريسي الستِّ "تي شيرت". قام بعملِهِ مساعدِي في التدريس. في خلفه جملةٌ تقولُ: "طَرْحُ الأسئلةِ مفتاحُ الفهمِ".

عندما أقولُ إنَّ على المَرْءِ أن يصبحَ متعَمِّدًا بشأن التفكير بجِدِّيَّةٍ أكبر، فهذا في الغالب ما أعنيه: طَرْح الأسئلةِ والتفكير فيها بعقولنا على نحوٍ جِدِّيٍّ من أجل الوصول إلى إجاباتها. من أجل ذلك، يعني تَعَلُّم التفكير بشكلٍ مثمرٍ بشأن النصوص الكتابيَّة ترسيخ عادة طرح الأسئلة.[30] بكلِّ يقينٍ، أنواعُ الأسئلة التي يمكنك طرحُها بشأن أيِّ نصٍّ لا نهائيَّة تقريبًا:

- لماذا استخدمَ كاتبُ النصِّ تلك اللفظة؟
- لماذا وضعها هنا وليس هناك؟
- كيف يستخدم تلك اللفظة في مواضعَ أخرى؟
- كيف تختلف هذه اللفظة عن لفظةٍ أخرى كان بإمكانه أن يستخدمها؟
- كيف يؤثِّر مجموع هذه الكلمات على معنى تلك اللفظة؟
- لماذا يأتي ذلك البيان النصِّيُّ بعد هذا؟
- لماذا يربطُ الكاتبُ هذه البيانات النصِّيَّة (الجمل) بالمفردات: **لأن، من أجل ذلك، على الرغم من، لكي**؟ هل هذا الربط منطقيٌّ؟
- كيف يكون النصُّ متوافقًا مع كاتبٍ آخر بحسب أقوال الكتاب؟

[30] For more examples of what I mean by this habit, see "*Brothers, Query the Text*" in John Piper, *Brothers, We Are Not Professionals* (Nashville: Broadman, 2002), 73–80.

- كيف يتوافق النصُّ مع خبرتي الروحيَّة؟

هلْ عادةُ طرحِ الأسئلةِ جَديرَةٌ بالتَّقْديرِ؟

ربَّما يتساءل البعض إن كان طرحُ الأسئلة عن النصِّ الكتابيِّ طريقةً جديرةً بالتقدير والاحترام لقراءة الكتاب المقدَّس. يمكن أن تكون كذلك، أو ربَّما لا تكون. ربَّما يشرحُ لنا هذا الأمرَ مثالٌ توضيحيٌّ، حدث قُرْبَ زمن ميلاد الربِّ يسوع، جاء ملاكٌ لمريم ولزكريَّا أبي يوحنَّا المعمدان برسائل نبويَّة عمَّا هو عتيدٌ أن يتحقَّق. طَرحَ كلٌّ من مريم وزكريَّا سؤالاً بشأن ما قاله الملاك. إلاَّ أنَّ الملاكَ استاءَ من سؤال زكريَّا لكنَّه لم يُبدِ أيَّ استياء إزاء سؤال مريم، لماذا؟

كان للأمر علاقةٌ باتِّجاه قلبيهما في طرح السؤال. قال الملاك لزكريَّا: لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا (لوقا 13:1). إلاَّ أنَّ زكريَّا كان طاعنًا في السنِّ كما كانتْ امرأتُه عاقرًا. لقد ساوره الشكُّ. في الحقيقة لم يكن مؤمنًا. وقد عَبَّرَ عن هذا بالسؤال: كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟ (لوقا 18:1).

لم يَرُقْ للملاك ردَّ فِعْلِهِ. لم يسأل زكريَّا باتِّضاعٍ كيف سيحقِّق الله هذا الأمر. في سؤاله لم يكن زكريَّا خاضعًا ولا حتَّى واثقًا. بناءً عليه، أجابه الملاك: أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا لأَنَّكَ **لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي** الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ (لوقا 19:1-20).

في المقابل، كان قلب العذراء مريم مختلفًا عندما طرحتْ سؤالها. قال لها الملاك: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ (لوقا 30:1-31). بكلِّ يقينٍ، كانت

العذراء مريم متحيِّرة ولم يكن بإمكانها أن تدرك كيف يمكن أن يحدث هذا. لهذا تساءلت: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟ (لوقا 34:1). بدلاً من أن يستاء الملاك منها، أجاب سؤالها بأسرع ما يمكن: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ (لوقا 35:1).

بلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟

لَيستْ كلُّ الأسئلة أسئلةً جيِّدةً أو رائعةً. لأنَّ الأمر يعتمد فيها على اتِّجاه القلب. هل فيها خضوع لكلمة الله واستعداد لطاعته عندما نفهم ما يريده منَّا؟ هل في السؤال استعدادٌ لقبول أسرار الله إن كان هناك أمرٌ واضحٌ، ولكن يتجاوز أفهامنا؟

مثالٌ آخر لنوعٍ من السؤال الخاطئ يأتي كردِّ فعلٍ بعد كتابة الرسول بولس لشيءٍ محيِّرٍ جدًّا. يقول الرسول: فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ (رومية 18:9). إزاء هذه المقولة: يجيب أحدهم: لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟ شعر الرسول في هذا السؤال تشكيكًا ساخرًا في الله، فردَّ عليه بالقول: بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ ... (رومية 19:1-20).[31]

هناك نوع من الأسئلة يَنُمُّ عن الاتِّضاع والخضوع، أسئلة لا يتوقُ سائلُها إلى فهم الحقِّ فقط، بل إلى الإيمان به وطاعته. في المقابل، توجد

---

[31] يأتي الفعل "تُجاوب" في اليونانيَّة [اسم فاعل مفرد مذكَّر مضارع متوسِّط في حالة الرفع] على النحو: آندابوكرِنومينوس **ἀνταποκρινόμενος**، [من فعل آندابوكرِنوميه **ἀνταποκρίνομαι**] وله على ما يبدو دلالة تفيد الاعتراض على ما قيل، ويوضِّح ذلك المعنى الاستعمال الآخر والوحيد للفعل في كتابات العهد الجديد في نصِّ (لوقا 6:14)، المؤلِّف، ملاحظة مهمَّة: ما بين الأقواس المعقوفة من المُترجِم.

أسئلة تكشف عن ألاعيب أكاديميَّة، وسُخرية غير مؤمنة، وانصرافٍ عن الحقِّ دون مبالاة. إذًا، عندما أناشدك بترسيخ عادة طرح الأسئلة، أعني التساؤلات المتَّضِعَة التي تعبِّر عن اشتياقاتك للنموِّ ورغبتك في إماطة اللثام عن الحقِّ. أعني بها العادة التي كانت بالفعل لدى الربِّ يسوع لمَّا بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة. يقول عنه البشير لوقا: وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ (لوقا 46:2).

عُكَّازٌ مُثْمِرٌ

ربَّما تتساءل إن كانت هذه طريقة مثمرة لقراءة الكتاب المقدَّس بعادة طرح الأسئلة. بإمكاني أن أتصوَّر شخصًا ما يقول: أَلَيستْ هذه الأمور واضحةً؟ هل يَتَعَيَّن علينا أن نكونَ مفكِّرين بوعيٍ ذاتيٍّ عندما نقرأ الكتاب المقدَّس؟ لا، ليس عليك ذلك. ربَّما أنت شخصٌ صاحب بصيرة نافذة، ولا تحتاجُ إلى عادة طرح الأسئلة أو ممارستها. أعني ذلك. هناك أناس بالفعل بإمكانهم في لمحةٍ فهم ما يستغرق منِّي ساعات في التفكُّر أو التفكير.

وعن الخطوات التي أستخدمها لكي تساعدني على التفكير سألني أستاذٌ ذات مرَّةٍ: أليس جميعها عكَّازًا؟ أجبت ببساطة: "نعم. لأنَّه عندما يتعلَّق الأمر بالتفكير على نحوٍ مثمرٍ في كلمة الله التي يصعب سبر أغوارها، أشعر بأنِّي عاجز. أحتاج إلى أيِّ عونٍ يمكن لي أن أتحصَّل عليه". أنا في العادة غبيٌّ، وأفتقر للبصيرة عندما أقرأ الكتاب المقدَّس. لذلك، أصلِّي بحرارة ليوجِّه الله قلبي إلى كلمته (المزمور 36:119)، ليفتحَ عينيَّ لأرى عجائب في كلمته (المزمور 18:119). عندما أفعل ذلك، المحفِّز الذي يَهَبُه لي الله عبر كلمته هو: افْهَمْ مَا أَقُولُ (2 تيموثاوس 7:2). أنا أنقبُ بحثًا عن الفهم، أطلبُ المعرفة كالفضَّة (انظر الأمثال 4:2). ولا يقول الربُّ لي أبدًا: اُكْفُفْ عن التفكير بشأن كلمتي؛ سأخبرك ماذا تعني.

المُضِيُّ إلَى مستوًى أَعْمَق بِأَسْئِلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ

دعني أقدِّم لك اختبارًا صغيرًا لنرى أنَّ كلَّ ما هو ثمين وقويٌّ في (مَتَّى 7:7-12) واضحٌ لك بديهيًّا. هل لاحظت أنَّه بعد القول بأنَّ الله سوف يستجيب عندما نسأل، ونطلب، ونقرع، شَبَّه الربُّ يسوع اللهَ بالأب البشريِّ الذي لا يعطي لابنه حجرًا أو حيَّةً إن طَلَبَ منه خبزًا أو سمكة؟ أنا واثقٌ أنَّك لاحظت ذلك. رائع.

وهل لاحظتَ أنَّ الله قيل عنه: "كَمْ بِالْحَرِيِّ" هو مستعدٌّ لأن يَهَبَ خَيْرَاتٍ لأبنائه عندما يسألونه؟ يقينًا لاحظت ذلك، حسنًا. هذه أخبارٌ سارَّةٌ. ومن شأنها أن تغيِّر حياتنا إن كنَّا نؤمن بها.

ولكن ماذا لو طرحنا السؤال: هل يَعِدُ الربُّ يسوع أنَّ أبانا السماويَّ سوف يَهَبُ لنا دائمًا فقط ما نطلبه؟ امممممم. هنا يَتَعَيَّنُ عليَّ القراءة لأتأكَّدَ. حَسَنًا، لا يقول ذلك بكلماتٍ واضحة أو حتَّى كثيرة. اسألْ، تنَلْ. اُطْلُبْ، تَجِدْ. اِقْرَعْ يُنْفَتِحْ لك الباب. لكن لم يقل على وجه الدقَّة ماذا الذي سأناله أو أجده. هل يقول إنَّ الله الآب سوف يَهَبُ بالتحديد ما يطلبه ابنه؟ افحص النصَّ. في الحقيقة، لا! إنَّه يقول **ما لن** يَجُودَ به: حجرًا أو حيَّةً.

الآن، يصبحُ الأمرُ جديرًا بالتفكير. يبدو أنَّ القصد من هذا النصِّ هو أنَّ الله بالفعل يحبُّ أن يعطي عندما نسأل. الله ليس بخيلاً. ولا ينزعج عندما نأتي إليه. يتوق الله إلى العطاء. ولا يتلاعب بنا. لا يضعُ أحجارًا في أوعية غذائنا، أو ثعابين في وجباتنا السعيدة. إنَّ الله يَهَبُ لنا كلَّ ما هو صالحٌ لخيرنا. هذا ما يبدو عليه القصد من النصِّ.

لكن ماذا لو طلبنا لأنفسنا شيئًا رديئًا؟ ذاتَ مرَّة طَلَبَ ابني الصغير علبةً من رقائق البسكويت، وعندما فتحتُ العلبةَ كانتْ الرقائقُ متعفِّنةً. فأخبرته بأنَّ زَغَبَ عفن الخبز يعلوها. لم يصدِّقْ ما أتكلَّم به وقال: سآكل

الزَغَبَ. لكنِّي لم أعطه من هذه الرقائق. لكنَّه حَظِيَ بهديَّةٍ صغيرةٍ أخرى ذلك اليوم. ربَّما كانتْ ما لم يكن يفضِّله. لكنَّها الشيء الصالح بالنسبة إليه. لقد طَلَبَ. وأنا استجبت. لكن ليس ما طلبه تحديدًا. أنا أحبُّه للغاية.

بكلِّ يقينٍ، يثيرُ هذا النصُّ كلَّ أنواع الأسئلة المرتبطة بالصلاة وما تعلِّمه النصوص الأخرى عنها. هذا هو المغزى. ننطلِقُ ونعدو بأسئلتنا. وكلَّما زادت الأسئلة التي نفكِّر فيها بِجِدِّيَّةٍ لنعرف إجاباتها، عرفنا الربَّ يسوع مع الآب السماويِّ بشكلٍ أعمق، وعرفنا أكثر كيف يعملان في العالم.

"لِذَلِكَ" مِفْتَاحٌ لِكُنوزٍ كَثِيرَةٍ

إلى الآن، الأمور رائعة. ربَّما تدركُ كلَّ ذلك في لمحةٍ، فأنت لست مضطرًّا للتفكير ما دمتُ أقوم أنا بطرح الأسئلة. على كلٍّ، إليك الجزء الأخير من الاختبار الصغير: هل لاحظتَ اللفظة الرابطة "**لذلك so**"، والمنقولة بحرف "الفاء" في بداية (مَتَّى 12:7)؟ هل توحي إليك هذه اللفظة برسالة ملزمة واضحة عن العلاقة بين تعليم الربِّ يسوع عن الصلاة من ناحيةٍ، والوصيَّة الذهبيَّة *the Golden Rule* من ناحيةٍ أخرى؟ يبدو الأمر على هذا النحو: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ! [12][لذلك] فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ...".

اللفظة "**so**" هنا ليست لفظة زائدة لا لزوم لها. تقوم اللفظة بوظيفة غاية في الخطورة. يمكن ترجمتها بطريقة أخرى على النحو "لذلك، إذًا، من أجل ذلك، إذًا، ومن ثَمَّ". إنَّ "الله سوف يستجيب صلواتك ويَهَبُ لك ما هو صالح بالفعل؛ **لذلك** تعاملْ مع الآخرين بنفس الطريقة التي تحبُّ أن يتعاملوا بها معك". لقد قرأت هذا النصَّ لسنواتٍ ولم أدرك ذلك الارتباط. أدركته فقط لأنَّ مُعَلِّمًا ما أرشدني إلى القيام بطرحِ الأسئلة.

ما سبب وجود أداة الربط "**لذلك**" في بداية نصِّ (مَتَّى 12:7)؟ ما الذي تنقله لي عن العلاقة بين استجابة الله لصلواتي ومحبَّة الناس الآخرين؟ إنَّ رؤية هذه اللفظة التي تعمل كأداة ربط دفعتني إلى التفكير. دون التفكير لما أدركت ما كنت عتيدًا أن أدركه. دون التفكير لما نضجتُ في إدراكي لما يريد الربُّ يسوع أن يقوله لي.

لعلَّك تريد التوقُّف قبل مواصلة القراءة لتفكِّر بنفسك كيف تعمل هنا أداة الربط "**لذلك**". كيف يؤدِّي ما قاله الربُّ يسوع قبل أداة الربط إلى ما قاله بعد الأداة؟ كيف يجعل الوعد الوارد في (مَتَّى 11:7) وصيَّة العدد (12) ممكنةً؟

إليك هنا محاولتي في التفكير والصلاة لشقِّ طريقي إلى داخل النصِّ (والذي لا يعني بالتأكيد أنَّني معصومٌ من السقوط). معاملة الناس بالطريقة التي أحبُّ أن يعاملوني بها أمرٌ صعبٌ. هذه المعاملة تستلزم قدرًا جيِّدًا من إنكار الذات. كما أنَّها تعني تقديم كلِّ ما هو صالح للآخرين ولو على حساب لذَّتي أو راحتي. افترض أنَّ شخصًا ما آخر يُنهَبُ، ويصرخ طالبًا العون. إذًا أتساءل: ماذا لو كنت مكانه؟ هل سأرغب في أن يحاول شخصٌ ما إغاثتي؟ نعم! لكن أليس من الخطورة محاولة إغاثة الآخرين؟ نعم! هذا أمرٌ صعبٌ! الربُّ يسوع يعلم أنَّه صعب. ولذلك يعيننا على القيام بالشيء الصعب عندما يخبرنا بشيء بعد هذه اللفظة الرابطة "**لذلك**".

ما يقوله الربُّ: "لديكم أبٌ سماويٌّ. يَهَبُ لكم ما تحتاجون إليه. يعينكم. يتوقُ أن يستجيبَ لكم عندما تدعونه. لا يَهَبُ لكم حجرًا أو حيَّةً. أبٌ قويٌّ وحكيمٌ، يقفُ بجانبكم عندما تحبُّون الآخرين. لذلك، ثقوا به، وخاطروا. افعلوا ما تريدون أن يفعل الناس بكم في هذا الموقف أو ذاك".

بتعبيرٍ آخر، أداة الربط "**لذلك**" قصدَ بها الربُّ أن تمكِّننا من القيام بأيَّة مخاطرة مدفوعة بالمحبَّة.[32]

مَنْطِقٌ من أجل المَحَبَّةِ

هذا الأمر في غاية الأهمِّيَّة من أجل حياةٍ مسيحيَّةٍ عمليَّةٍ حقيقيَّةٍ. ويعتمد بعمقٍ على التفكير بشكلٍ صائبٍ. هذا الكتاب ليس كتابًا عن المنطق، لكن لستُ قادرًا على أن أمنع نفسي من التوقُّف لحظةً لأوضِّح أنَّه في كلِّ مرَّة ترى لفظة الربط "**لذلك**" أو "**لأن**" في الكتاب المقدَّس، فإنَّ الله يستدعي مَنْطِقًا ما لخدمته.

وأعني بالمنطق، أو بإمكانك استخدام **المبرِّر المنطقيّ**، أسلوب التفكير الذي يتيح لك إدراك الكيفيَّة التي تعمل بها لفظة الربط "**لذلك**"، والذي يحفظك أيضًا من استخدامها بشكلٍ خاطئٍ. على سبيل المثال، عندما يعمل المنطق أو المبرِّر المنطقيُّ جيِّدًا، لا تقرِّر أشياءَ على هذا النحو: "كلُّ الكلاب لها أربعة أرجل. هذا الحصان له أربعة أرجل. **لذلك** هذا الحصان كلب". لو سمعت هذا الكلام ستقول إنَّه غير صحيح. والمبرِّر المنطقيُّ في عدم صحَّته هو أنَّ النتيجة ليست نابعة من مقدِّمة الكلام. "كلُّ الكلاب لها أربعة أرجل" لكن، لا يعني هذا أنَّ الكلاب **فقط** لها أربعة

---

[32] النتائج العمليَّة المترتِّبة على هذا النوع من التفكير نجدها في كلِّ مكانٍ عبر الكتاب المقدَّس. تأمَّل فقط أمثلة هذه الاستخدامات لأداة الربط "لذلك" في أقوال الربِّ: فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ... (مَتَّى 34:6)، فَلاَ تَخَافُوا... (مَتَّى 31:10). وفي أقوال الرسول بولس: فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ... (رومية 1:5)، إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ... (رومية 12:6)، إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (رومية 1:8)، ... فَإِن عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ (رومية 8:14)، فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا (رومية 13:14)، لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ... (1 كورنثوس 20:6)، إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ (1 كورنثوس 58:15). مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، إِذْ لَنَا هَذِهِ الْخِدْمَةُ كَمَا رُحِمْنَا، لاَ نَفْشَلُ (2 كورنثوس 1:4).

أرجل. ومن ثمَّ لا تقودك مثل هذ المقدِّمة إلى الاعتقاد بأنَّ الحصانَ كلبٌ. وإنَّما إلى القول بأنَّ: حيوانات أخرى بخلاف الكلاب لها أربعة أرجل.

أحد المبرِّرات لأهمِّيَّة ذلك عند قراءة الكتاب المقدَّس هو أنَّ وحي الكتاب يفترض ضمنيًّا بأنَّه في كلِّ مرَّةٍ تقرأ لفظة الربط **"لذلك"**، سوف تعلَم بكلِّ يقينٍ أنَّ هناك مقدِّمة للكلام ستقودك بالفعل إلى نتيجةٍ. ويعني ذلك أنَّ بإمكانك الرجوع في القراءة إلى الوراء لتعرف الأشياء العميقة التي بسببها أتت مثل هذه النتائج. إنَّ النتيجة في أنَّه ينبغي لنا أن نعامل الآخرين كما نحبُّ أن يعاملونا مبنيَّةٌ على مقدِّمات سابقة. ما يعنيه الربُّ يسوع لنا أن نفهم المقدِّمات الهائلة، الراسخة.

أن تكون منطقيًّا في (مَتَّى 12:7) يعني بالتمام الخدمة بكونك مُحبًّا. وهذا المنطق ليس باردًا. إنَّه الأتون الدافع لمحرِّك المحبَّة. لم يقُل الربُّ يسوع لفظة **"لذلك"** هباءً. بل يقصد لنا أن نراها، ونفكِّر فيها، ونرجع إلى مقدِّمات الكلام عن عناية الله الأبويَّة، ونؤمن بها، ونتقوَّى بواسطتها في عمل المحبَّة للآخرين، حتَّى وإن كان ذلك العملُ محفوفًا بالمخاطر.

ينتظر الربُّ يسوع أنَّ منطق هذا النصِّ، مع استخدامنا لعقولنا، واتِّكالاً على قوَّة ومعونة الروح القدس، يغيِّر بالفعل حياتنا ويجعلنا محبِّين للناس بشكلٍ تامٍّ. هذا هو الغرض من التفكير.

إِنْ لمْ تَكُنْ عَبْقَرِيًّا بِالفِطْرَةِ

من الممكن أنَّك تدرك هذه الأمور دون تفكير، أي أنَّك تراها مباشرةً وبشكلٍ بديهيٍّ دون أيِّ عملٍ ذاتيٍّ واعٍ لطرح الأسئلة والتفكير في إجاباتها. إن كان الأمر كذلك، فأنت واحد في الألف. ومن ثمَّ ينبغي لك أن تركع كلَّ يومٍ شاكرًا من أجل هبةٍ قد مَنَّ بها الله عليك بمثلِ هذا القَدْرِ. كما ينبغي لك أن

ترتعد من قَدْرِ هذا العبء المفرح لأنَّ: ... كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ (لوقا 48:12).

بالنسبة إلينا نحن، أي الباقين من الألف، فإنَّ المقتضيات تَتَّضِحُ لنا أكثر فأكثر: نحتاج إلى التفكير لكي نَنْعَمَ بفهم ما تَعَيَّنَ على الله أن يقدِّمه لنا من الكتاب المقدَّس. بالنظر إلى غالبيَّة الناس، ما قاله الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس لا يزال حقيقيًّا: **اِفْهَمْ [أي: فكِّر في]** مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ (2 تيموثاوس 7:2). إنَّ حكمة الأمثال بالنسبة إلى معظمنا لا تزال أمرًا جوهريًّا: إِنْ طَلَبْتَهَا [البصيرة] كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ... لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً... (الأمثال 2:4-6). هذه النصوص تعني حقًّا أنَّ الله يَجُودُ بكنوزِ حكمتِهِ لنا عن طريق المَهَمَّة الثابتة لتفكيرنا.

التَّفْكِيرُ أَكْثَرُ وَلَيْسَ أَقَلَّ

ما قُمْتُ به في هذا الفصل هو توضيح ما أعنيه بالتفكير. هناك المزيد، لكن ما أرجوه أنَّك تدركُ الفكرةَ. أن نلاحظَ النصَّ الكتابيَّ بعنايةٍ. أن نطرحَ الأسئلة. وبعد ذلك، نفكِّرُ بعقولِنا بكلِّ جِدِّيَّةٍ محاولين الوصول إلى إجابات هذه الأسئلة. ثمَّ نقوم بجمع الإجابات في نسيجٍ شاملٍ ودائمٍ من الفهم يساعدنا على أن نحيا حياة المحبَّة لمجد الربِّ يسوع المسيح.[33]

---

[33] في هذا الفصل، لم أخصِّص قِسْمًا عن القواعد الرسميَّة للمنطق لأنَّ الأمر على ما يبدو بالنسبة إليَّ هو أنَّ معظمَ الناس لا يتعلَّمون في الحقيقة أن يكونوا منطقيِّين أو عقلانيِّين بقرائتهم لكتبٍ عن المنطق، لكن يتعلَّمونه على الأكثر بطرحهم للأسئلة والتفكير بجِدِّيَّةٍ، وذلك عبر مراحل نموِّهم في أثناء تفاعلهم مع الناس المنطقيِّين (بصفةٍ خاصَّةٍ الآباء)، وبقرائتهم أيضًا للكتب التي تجسِّد أصدق أسلوبٍ للتفكير. أنا أومن أنَّك لو تأمَّلتَ لمدَّةٍ طويلةٍ وبجِدِّيَّةٍ في الطريقة المكتوب بها كلُّ مقطعٍ من مقاطعِ الكتاب المقدَّس، لو تساءلتَ بلا هوادة لماذا ترتبط المفردات والعبارات معًا بهذه الطريقة كما هي عليه في ذلك المقطع، عندها تستوعب منطقَ السماء، وتنمو في الحقِّ الذي يقودُكَ إلى المحبَّة.

دَوْرُ التَّفْكِيرِ فِي أَنْ يَصِيرَ المَرءُ مَسِيحِيًّا

يحاول الفصلان التاليان إظهار وظائف التفكير في (الفصل الرابع)، وكيف تعمل تلك الوظائف وقت اختبار الإيمان بالربِّ يسوع المسيح في (الفصل الخامس). كلا الفصلين مصمَّمَيْن في ضوء الخلفيَّة الكئيبة لتأثيرات الخطيَّة المميتة، التأثيرات المظلمة، والمدمِّرة لعقولنا. سيكون من السهل علينا أن نستدلَّ على تأثيرات الخطيَّة المتغلغلة في إصابة عقولنا بالشلل حتَّى أن التفكيرَ ليس له أيُّ دَوْرٍ ملموسٍ في الطريقة التي يَخْلُقُ بها الله الإيمان الخلاصيَّ [داخلنا]. إلاَّ أنَّ ما سنراه هو أنَّ التفكير أساسيٌّ ليس بعد الإيمان فقط، عندما نقبل الكتاب المقدَّس بوصفه كلمة الله، لكن أيضًا قبل الإيمان في العمليَّة التي يصيرُ بها المَرْءُ مَسيحِيًّا.

الاهْتِدَاءُ إِلَى الإِيمَانِ بِالتَّفْكِيرِ

[1]وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ فَسَأَلُوهُ أَنْ
يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. [2]فَأَجَابَ: إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ
لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. [3]وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ
مُحْمَرَّةٌ بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ
وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! [4]جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ
يَلْتَمِسُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ
وَمَضَى.

(مَتَّى 16:1-4)

الفصل الرابع

فِسْقٌ عقليٌّ لا مَفَرَّ مِنْهُ

حيث إنَّ هذا الكتاب في الغالب عن كيفيَّة استخدام المسيحيِّين لعقولهم في السعي وراء الله، إذًا من المُهِمِّ الحديث عن دور العقل حين يصير المرء مسيحيًّا. كيف يرتبط عمل التفكير بظهور الإيمان؟ هل يَتَعَيَّنُ عليك إيقاف المنطق العقليِّ الذي لديك لتؤمنَ بالمسيح؟ إن كان التفكير هو السبيل إلى الإيمان، كيف يتوافق دوره مع عمل الروح القدس؟

التَّفْكِيرُ العِبْرِيُّ مُقَابِلَ اليُونَانِيِّ؟

حين كنتُ في المعهد اللاهوتيِّ، كانت هناك مناقشات كثيرة عن التفكير الهلِّينِسْتيِّ (اليونانيِّ) إزاء التفكير العبريِّ. وكمثالٍ عن التفكير اليونانيِّ نتحدَّث عن المنطق الأرسطيِّ، الذي يتبنَّى القياس المنطقيَّ أساسًا له: "كلُّ الرجال فانون؛ أفلاطون رجل؛ إذًا، أفلاطون فانٍ".[34] والقصد من هذا

[34] في تحليلاته السابقة، يعرِّف أرسطو القياس المنطقيَّ على أنَّه "حوار يتمُّ فيه افتراض وجود بعض الأشياء، فينتج من باب الضرورة شيءٌ مختلفٌ عن الأشياء المفترضة بسبب ما تكون عليه هذه الأشياء" (24ب، 18–20). متاح على الموقع التالي:
http://classics.mit.edu/Aristotle/prior.1.i.html (accessed February 9, 2010)

التمييز بين التفكير العبريِّ والهلّينِسْتيِّ هو تأكيد أنَّ الكتاب المقدَّس يميل إلى أن يكون عبريًّا [من جهة التفكير]، إلاَّ أنَّ المعاصرين الغربيِّين يميلون إلى أن يكونوا ورثةً للتفكير الهلّينِسْتيِّ. وهكذا، فإن استعملنا المنطق الأرسطيَّ في فهم الأسفار المقدَّسة، فلا بُدَّ أنَّ السبب في ذلك أنَّنا متبلِّدو المشاعر من نحو القرينة الأصليَّة، وجهلاء من الجهة التاريخيَّة. قالوا: إنَّ الكتاب المقدَّس لا يعتمد في أصوله على المنطق الخطِّيِّ الأرسطيِّ (الذي يُدعى أحيانًا بالمنطق الغربيِّ)، إنَّما على المعرفة الاختباريَّة العلاقاتيَّة.

كنت أعتقد دائمًا أنَّ تلك التعميمات والفروقات مضلِّلة وغير مجدية. وبشكلٍ غالبٍ لم تبدُ صائبةً. يا لها من هبةٍ فلسفيَّةٍ عظيمةٍ أن ينمو المرءُ في بيتٍ مُشبَّعٍ بالكتاب المقدَّس حيث تخترق أجواءُ الأسفار المقدَّسة عظامَك. في مئة موضعٍ يمكن للمرء أن يستشعر شيئًا فاسدًا قبل أن يتَّضح الخطأ غير العقلانيِّ. لقد نجا المرءُ من سنوات ضائعة كثيرة في منعطفات ذات نهايات مسدودة.

تكمن المشكلة في أنَّ الكتاب المقدَّس نفسهُ يؤكِّد أنَّ هذه الفوارق بين التفكير الهلّينِسْتيِّ والتفكير العبريِّ ليست مجدية من الناحية العمليَّة، على الأقلِّ في الطريقة التي تُعْلَنُ بها في تلك الأيَّام. خذ على سبيل المثال (مَتَّى 16:1-4). هذا النصُّ يمثِّل واحدًا من المبرِّرات التي جعلتني لا أتأثَّر بتلك الفوارق.

> [1]وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. [2]فَأَجَابَ: إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. [3]وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! [4]جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى.

فَرِّيسِيُّون بِمَنْطِقٍ أَرِسْطِيٍّ

ماذا يقول الربُّ يسوع لهؤلاء الفرِّيسيِّين والصدُّوقيِّين؟ يقول في العدد الثاني: إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ (مَتَّى 2:16). ماذا يعني ذلك؟ يعني ذلك أنَّ هؤلاء اليهود العبرانيِّين من الفرِّيسيِّين والصدُّوقيِّين يفكِّرون بما يُدعى بالقياس المنطقيِّ لأرسطو.

مقدِّمة 1: سماء حمراء في المساء تُنبِئ عن طقسٍ معتدلٍ.
مقدِّمة 2: في هذا المساء السماء حمراء.
النتيجة: إذًا، سيكون الطقس معتدلاً.

بعدها في الجزء الأوَّل من (مَتَّى 3:16) يُظْهِرُون أنَّهم يفكِّرون بهذه الطريقة مرَّةً أخرى. مَتَى كانت السماء مُلبَّدة بغيومٍ حمراء، يقولون: الصَّبَاح سيكون شِتَاءً عاصفًا. وهكذا، يفكِّرون بطريقة تُسمَّى بالطريقة الخطِّيَّة الغربيَّة:

مقدِّمة 1: سماء مُلبَّدة بغيومٍ حمراء تُنبِئ بطقسٍ عاصفٍ في الصباح.
مقدِّمة 2: السماء مُلبَّدة بغيومٍ حمراء في هذا الصباح.
النتيجة: إذًا، سيكون الطقس عاصفًا.

إزاء هذا الاستخدام الخاصِّ بهم في الملاحظة والتعليل، ردَّ الربُّ يسوع: تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ. بتعبيرٍ آخر، تعرفون كيف تستخدمون عيونكم وعقولكم للخروج بنتائج صحيحة عندما يرتبط الأمر بالعالم الطبيعيِّ. إذًا يصدِّق الربُّ على استخدامهم للملاحظة التجريبيَّة والتعليل العقليِّ. في الحقيقة، وبكلِّ دقَّةٍ، هذا التصديق عينُهُ هو الذي يجعل عدم الاستحسان التالي صحيحًا ومعتمدًا.

في نهاية (مَتَّى 3:16)، يقول الربُّ: ... وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! وعندما يقول الربُّ لهم: "**لاَ تَسْتَطِيعُونَ**"، لا يعني أنَّهم كانوا يفتقرون إلى القدرات العقليَّة والحسِّيَّة لعمل ما ينبغي عمله. لكنَّه أظهر أنَّ لديهم **بالفعل** قدرات عقليَّة وحسِّيَّة لعمل ما ينبغي عمله. إلاَّ أنَّهم مَهَرَةٌ فقط في الملاحظة والتعليل المنطقيِّ عندما يرتبط الأمر بالنجاح في هذا العالم.

تَفْكِيرٌ غَيْرُ عَقْلِيٍّ فَاسِقٌ

لماذا إذًا **عَجَزَ** الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ عن استخدام تلك القدرات نفسها لتفسير علامات الأزمنة؟ إجابة هذا السؤال تفتح نافذة على الآليَّة التي يرتبط بها الإيمان والمنطق معًا؟ هنا نجد أناسًا يبدو أنَّ لديهم قدراتٍ منطقيَّة قويَّة لكنَّهم غير قادرين على استخدامها في الاهتداء إلى الإيمان بالربِّ يسوع. ما الخطأ في هذا الأمر؟ لماذا يعمل تفكيرهم بشكلٍ جيِّدٍ للغاية على المستوى الطبيعيِّ، في حين يبدو رديئًا عندما يرتبط الأمر بإدراك حضور الله في المسيح.

يقدِّم لنا الربُّ الإجابة في (مَتَّى 4:16) بقوله: **جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ** *adulterous* يَلْتَمِسُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ...". ما علاقة كونهم **فاسقين** [أي: زناة، وخونة] بعدم قدرتهم على استخدام عيونهم وعقولهم لتفسير العلامات، أي على إدراك هُويَّة الربِّ يسوع؟

ها هو القصد من نَعْتِهم بأنَّهم "فاسقون، زناة، خونة". لقد وَصَفَ الربُّ يسوع نفسَهُ في موضعٍ آخر بأنَّه العريس (مَتَّى 15:9؛ 1:25-13) الذي أتى إلى العالم ليأخذ عروسه، أي شعبه المختار. يفكِّر بشكلٍ جمعيٍّ، وليس بشكلٍ فرديٍّ. فالكنيسة ككلٍّ هي عروس المسيح. أمَّا المسيح فهو ال "عريس" العهديُّ للكلِّ.

لكنَّ الناس الذين اعتقدوا بأنَّهم شعب الله، لم يرغبوا في العموم أن يقبلوا المسيح بصفته عريسًا لهم. لم يكن المسيح يسوع هو ما توقَّعوه أو انتظروه، ومن ثمَّ لم يرغبوا أن يكونوا شعبَه أو عروسَه (انظر لوقا 18:14-20). بهذا المعنى كانوا **جيلاً فاسقًا**. مضت قلوبهم وراء أزواج آخرين: آلهة أخرى، كنوز أخرى (انظر لوقا 14:16؛ مَتَّى 5:6). يكشف الربُّ يسوع أنَّ قادةَ الشعب اليهوديِّ -الذين كانوا من المفترض أن يكونوا عروسه- هم قادةٌ زناةٌ لديهم عشقٌ دائمٌ بمديح الناس (مَتَّى 5:6)، والمال (لوقا 14:16)، والذات (لوقا 9:18). كانوا بالفعل زناةً فاسقين روحيًّا.

لهذا السبب كان الْفَرِّيسِيُّونَ يطلبون آيةً. أرادوا فقط أن يقدِّموا انطباعًا بأنَّ ما لديهم من أدلَّة ليس كافيًا ليؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيَّا، ومن ثَمَّ لديهم العُذْرُ في عدم قبوله عريسًا لهم. إلاَّ أنَّ المشكلة كانت تكمن حقًّا في أنَّهم **لم يرغبوا** الربَّ يسوع عريسًا لهم. لقد سيطر عليهم روح الزنى، فراحوا يفضِّلون مصادر أخرى للشبع.

جُذُورُ التَّفْكِيرِ غَيْرِ العَقْلِيِّ

يكشف لنا ردُّ الربِّ يسوع عليهم بأنَّ لديهم كلَّ العلامات التي يحتاجونها، وأنَّهم قادرون تمامًا على استخدام حواسِّهم وعقولهم لإصدار أحكامٍ مقبولة شرعًا مَتَى حاولوا استقاء الدلائل **بشأن ما يرغبونه**. إنَّهم يريدون حقًّا رؤية علامات صحيحة عن أمان البحور لأنَّهم يحبُّون حياتهم. وهكذا، فإنَّ عقولهم في كامل قوَّتها على التفكير بوضوحٍ في ما يختصُّ بالشروق والغروب.

لكنَّها بكلِّ وضوحٍ ليست هكذا عندما يرتبط الأمر بالتفكير بشأن الربِّ يسوع. تفسير ريبتهم بشأن الربِّ ليس بسبب الافتقار إلى الدليل أو القدرات العقليَّة. لكن في أنَّهم زناةٌ فاسقون. يقول الربُّ يسوع: قلوبهم

شرّيرة (مَتَّى 4:16). هذه القلوب الشرّيرة هي ما يصيب قدراتهم العقليَّة بالاضطراب والخلل، كما تجعلهم عاجزين أخلاقيًّا عن التفكير بشأن الربِّ يسوع منطقيًّا وبشكلٍ صائبٍ.

لم يدرك الربُّ يسوع وحده الطريقة التي تصيب بها الخطيَّة تفكيرنا بالخلل. فهذا الإدراك تحدَّث عنه الرسول بولس بشأن البشريَّة الساقطة عمومًا في رسالته إلى أهل أفسس بالقول: إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ **بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ** (أَفَسُس 18:4). بتعبيرٍ آخر، أساس التفكير غير العقليِّ لدى البشر (أنَّهم مُظْلمو الفكر)، أساس الجهل الروحيِّ (الجهل الكامن فيهم) هو **غِلاَظَة القلب**. أي أنَّ قلوبنا المتمركزة حول ذواتنا تشوِّه تفكيرنا إلى درجةٍ لا نقوى معها على استخدام التفكير للوصول إلى الدلائل الحقَّة ممَّا هو موجودٌ هناك بالفعل. إن كان عدم قبولنا لوجود الله قويًّا بما فيه الكفاية، فإنَّ قدراتنا الحسِّيَّة والعقليَّة لن تقوى على الاستدلال بأنَّه موجود.

يقول الرسول بولس إنَّ الذهن إبوروثيه **ἐπωρώθη** أي يَتَقَسَّى (2 كورنثوس 14:3)، كما يصفه بأنَّه ديافثيرو **διαφθείρω** أي **فاسدٌ** (1 تيموثاوس 5:6)، وفي رسالته إلى أهل رومية ينعته الرسول بأنَّه عقيمٌ، ومظلمٌ، وغبيٌّ لأنَّ الناسَ بفجورهم يقمعون الحقَّ (رومية 21:1؛ 18:1). بتعبيرٍ آخر، يصيب الفجور قدرتنا على التفكير بالخلل (انظر 2 تيموثاوس 8:3؛ 2:4-4). فساد قلوبنا هو الجذر الأعمق لانعدام تفكيرنا المنطقيِّ.

نحن جيلٌ فاسقٌ. نعشقُ أيَّ خطأٍ مركزه الإنسان، ونفضِّله عن أيِّ حقٍّ يعظِّم شخص المسيح. وقدراتنا العقليَّة أسيرة لخدمة محبَّتنا الزانية الفاسقة. هذا ما كشفه الربُّ يسوع بقوله: تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! بتعبيرٍ آخر، إنَّ عقْلَكم يعملُ فقط على نحوٍ رائعٍ في السعي بالفسق وراء شركاء آخرين مثل الراحة، والأمان في

البحر على اعتبار أنَّها أكثر قيمة من المسيح، لكنَّه عاجز عن رؤية علامات الحقِّ الذي يعظِّم من شأن المسيح.

وَمَعَ ذَلِك، "فَكِّرْ فِي مَا أَقُولُ"

حقيقة أنَّ عقولنا عاجزة عن رؤية علامات الحقِّ الذي يُجِلُّ شخصَ المسيح تقود على ما يبدو إلى نتيجةٍ فحواها أنَّ المنطق والتفكير بلا جدوى في الاهتداء إلى الإيمان بالمسيح. إلاَّ أنَّ هذه النتيجة ليستْ ما ينتهي إليه الكتاب المقدَّس.

يتحدَّث العهد الجديد عبر صفحاته عن استخدام العقول [الأذهان] في عمليَّة التوبة إلى المسيحيَّة والنموِّ والطاعة. على سبيل المثال، هناك 10 مرَّات على الأقلِّ في سفر أعمال الرسل يذكر فيها البشير لوقا أنَّ استراتيجيَّة الرسول بولس كانت تقديم الحجج للناس بالمنطق والعقل وذلك محاولةً منه هدايتهم إلى المسيح وبنائهم (أعمال الرسل 2:17، 4، 17؛ 4:18، 19؛ 8:19، 9؛ 7:20، 9؛ 25:24). كما يقول الرسول لأهل كورنثوس إنَّه يفضِّل أن يتكلَّم خمس كلمات بذهنه ليعلِّم آخرين أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان (1 كورنثوس 19:14). أيضًا يقول لأهل أفسس: كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ **تَفْهَمُوا** دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ (أَفَسُس 4:3). بتعبيرٍ آخر، إعمال العقل أو الذهن في مَهَمَّةٍ عقليَّةٍ للقراءة هي السبيل إلى الأسرار الإلهيَّة.

نُصادِفُ هنا مرَّةً أخرى الفكرة الرئيسة لهذا الكتاب بشأن العلاقة بين تفكيرنا والإنارة الإلهيَّة. تَذَكَّر أنَّ الرسول بولس يقول لتلميذه تيموثاوس: **اِفْهَمْ** [فَكِّرْ فِي] مَا أَقُولُ. **فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا** فِي كُلِّ شَيْءٍ (2 تيموثاوس 7:2). وهكذا، ينحرف كثيرون عن الطريق بالانحياز إلى هذا الجانب من هذا النصِّ أو إلى ذاك. يشدِّد البعض على القسم الأوَّل من

النصّ بالقول: **اِفْهَمْ** [فكّرْ في] مَا أَقُولُ. وهكذا، يؤكّدون أنَّ دَوْرَ المنطق والتفكير لا غنى عنه. وفي الغالب يقلّلون من الدور الإلهيِّ الفائق للطبيعة في تمكين الذهن من إدراك الحقِّ وقبوله. في المقابل، يشدِّد آخرون على النصف الثاني من النصّ: **فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا** فِي كُلِّ شَيْءٍ. وهكذا، يؤكّدون عدم جدوى المنطق دون عمل الإنارة الإلهيَّة.

إلاَّ أنَّ فكر الرسول بولس لن ينقسم بالانحياز إلى جانبٍ واحدٍ فقط. وأنا أَكْتُبُ هذا الكتاب ملتمسًا اتِّباع الرسول بولس في هذا الصدد بألاَّ ننحرف إلى اليمين أو اليسار، لكن نقبل بالتفكير البشريِّ والإنارة الإلهيَّة معًا. بالنسبة إلى الرسول بولس لم يكن الأمر **"إمَّا-وإمَّا"** بل كان **"الاثنين معًا"**. **اِفْهَمْ** [فكّر في] مَا أَقُولُ. **فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا** فِي كُلِّ شَيْءٍ. لاحظ حرف الفاء **[لأن]**. في الأصل هو أحد أدوات الربط السببيَّة الحيويَّة، التي تدفعنا للتساؤل: ما سبب وجود الأداة هنا؟ فالأداة تدعونا إلى التفكير.

تعني **الفاء السببيَّة** أنَّ رغبة الله في أن يهب لنا فهمًا هي **الأساس** لتفكيرنا، وليست بديلة عنه. لم يقُلْ الرسول: "إنَّ الله يَهَبُ لك فهمًا، ولذلك لا تضيِّع وقتك في التفكير في ما أقول". ولا قال: "فكّر بجدِّيَّة في ما أقوله لأنَّ الأمر يعتمد عليك برمَّته، فالله لا ينير الذهن". لا! لكن بشكلٍ لافتٍ يجعل الرسول هِبَةَ الله هي الأساس لجهدنا الذهنيِّ. يجعل إعطاء الله للنور مبرِّرًا لسعينا وراء النور.

فَكّرْ فِي مَا أَقُولُ.
فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

ما من مبرِّرٍ للإيمان بأنَّ المَرْءَ الذي يفكّر دون أن يصلّي واثقًا بعطيَّة الفهم الإلهيِّ سينعم بهذه العطيَّة. وما من مبرِّرٍ للإيمان بأنَّ المَرْءَ الذي

ينتظر عطيَّة الفهم الإلهيِّ دون تفكير في كلمة الله سينعم أيضًا بتلك العطيَّة. "**الاثنان معًا**"، وليس "**إمَّا-وإمَّا**".

التُّرْبَةُ الجَيِّدَةُ تَفْهَمُ

يأمرنا الرسول بولس بالتفكير في ما يقوله. اسْتَخْدِمْ عقلَك. استعمل قدراتك على التفكير المنطقيِّ عندما تسمع كلمة الله. في موضعٍ آخر يحذِّرُنا الربُّ يسوع ممَّا يمكن أن يحدثَ إن لم نقُمْ بذلك، كما يعلن لنا عن البركة التي يمكن أن ننالها إن قمنا بذلك. حكى مثلاً عن أربعة أنواعٍ من التربة (مَتَّى 13:3-9). عندما زُرِعَتْ بذارُ الكلمة، لم تأتِ بثمرٍ. فقط التربة الرابعة هي التي أَتَتْ بثمرٍ. ما الفرق؟

نحظى بلمحةٍ عن المشكلة عندما نعقد مقارنةً بين التربة الأولى والرابعة. قال الربُّ يسوع عن البذار المزروعة على التربة الأولى، الطريق: كُلُّ **مَنْ يَسْمَعُ** كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ **وَلاَ يَفْهَمُ** فَيَأْتِي الشِّرِّيرُ وَيَخْطَفُ مَا قَدْ زُرِعَ فِي قَلْبِهِ... (مَتَّى 13:19). يركِّز الربُّ يسوع على الإخفاق في الفهم. إنَّ **عدم فهم** الكلمة يؤدِّي إلى اختطاف الكلمة. لذلك، الفهمُ بالعقل ليس أمرًا اختياريًّا. الفهم أمرٌ حيويٌّ للتوبة والإثمار. حياتنا متوقِّفة عليه. أمَّا من جهة البذار المزروعة على التربة الرابعة، التربة الجيِّدة، يقول الربُّ: وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي **يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ**. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ فَيَصْنَعُ بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ (مَتَّى 13:23). الفرق بين التربة عديمة الحياة والتربة المثمرة يكمن في الفهم.

هذا صحيح، كما يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية: إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ (رومية 10:17)، أي بخبرٍ مسموعٍ، ومن هنا يكون السمع مُهِمًّا. إلاَّ أنَّ الربَّ يسوع يؤكِّد أنَّ سماع الخبر **دون فهم** لا يثمِرُ شيئًا. عندما نسمع كلمة الله، يؤكِّد الرسول بولس بأنَّه لا بُدَّ أن نفكِّر

في ما سمعناه. وإلاَّ سنقع تحت اتِّهام الربِّ: ... سَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ **وَلاَ يَفْهَمُونَ** (مَتَّى 13:13).

لا إِيمَانَ مِن دُونِ تَفْكِيرٍ

إذًا، على الرغم من أنَّ أذهاننا الطبيعيَّة فاسدة، ومظلمة، وغبيَّة، تطالبنا نصوص العهد الجديد بأن نستخدمها وقت الاهتداء إلى الإيمان أو قيادة الناس إلى الإيمان، وفي مسيرة النموِّ المسيحيِّ والطاعة. ما من سبيلٍ بإمكانه إيقاظ الإيمان أو تقويته وفي نفس الوقت يتحاشى التفكير.

لكن كيف يمكن أن يكون هذا، في ضوء الكيفيَّة التي تشوِّه بها الخطيَّة تفكيرنا؟ كيف يعمل هذا الأمر؟ كيف يرتبط التفكير والإنارة الإلهيَّة مع بعضهما البعض في إيقاظ الإيمان؟ قبل أن نحاول الإجابة عن ذلك، نحتاج أن نوضِّح ما هو الإيمان. هذا ما سنفعله في الفصل التالي: وَصْفُ الإيمانِ المخَلّص، وكيف ينشأ من استخدام التفكير الإنسانيِّ والإنارة الإلهيَّة.

4الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ
الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ،
الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ. 5فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ
بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلَكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ
يَسُوعَ. 6لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ
الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

(2 كورنثوس 2:4-6)

الفصل الخامس

إِنْجِيلٌ عَقْلاَنِيٌّ، نُورٌ رُوحِيٌّ

سؤال الفصل السابق الذي نحاول أن نجاوبه هو كيفيَّة ارتباط التفكير بنشأة الإيمان الخلاصيّ. وهذا أمرٌ إشكاليٌّ بعد أن رأينا أنَّ تفكيرنا قد تشوَّه لما أصابنا من عمًى روحيٍّ. نحن نستخدمُ عقولنا بشكلٍ عامٍّ لتبرير رغباتنا. وإن كنَّا جزءًا من الجيل الشرِّير الفاسق بسبب طبيعتنا الخاطئة، كيف يمكن لتفكيرنا أن يكون فاعلاً بشكلٍ مُجْدٍ في الاهتداء إلى الإيمان بالمسيح؟ للإجابة عن هذا السؤال وغيره سنحاول أوَّلاً استجلاءَ طبيعة الإيمان.

الإِيمَانُ، نِعْمَةُ قُبُولٍ بِشَكْلٍ فَرِيدٍ

النوع الوحيد من الإيمان الذي له أهمِّيَّة كبيرة في النهاية هو الإيمان الخلاصيُّ، أي الإيمان الذي يوحِّدنا مع المسيح لاحتساب بِرِّه بِرًّا لنا في **التبرير**،[35] ولكي تتدفَّق قوَّته داخلنا من أجل **التقديس**.[36] بتعبيرٍ آخر، في

[35] التبرير تعليمٌ كتابيٌّ فحواه أنَّ الله بالنعمة وحدها، وبالإيمان وحده يحتسبُ المؤمنين بيسوع المسيح أبرارًا بالتمام، وبشكلٍ نهائيٍّ مقبولين في حضرته إلى الأبد. أي أنَّ الله يحتسبُ كمالَ المسيح كمالاً

هذه النقطة لست مُهْتَمًّا بالإيمان على وجه العموم: إيمان الديانات الأخرى، أو إيمان العلوم الطبيعيَّة بمصداقيَّة مبادئها الأوَّليَّة، أو إيمان الأطفال بآبائهم وأمَّهاتهم، أو أيِّ نوعٍ آخر من الإيمان ليس موضوعه المسيح. أنا مهتمٌّ فقط بالإيمان الذي يتيح للمرء أن يقتني الحياة الأبديَّة. الإيمان الذي يُخَلِّص (أعمال الرسل 31:16؛ رومية 9:10). الإيمان الذي يُبَرِّرُ (رومية 28:3؛ غلاطِيَّة 16:2)، الإيمان الذي يُقَدِّسُ (أعمال الرسل 18:26؛ 1 بطرس 11:4).

لاستيعاب طبيعة الإيمان، من المفيد التفكير في السبب في أنَّ الإيمان وحده هو ما يبرِّرُنا. لما لا تكون المحبَّةُ أو أيُّ وجهٍ آخر من أوجه الفضيلة؟ إليك الطريقة التي يجيب بها عن هذا التساؤل جرشام ميتشن J. Gresham Machen في كتابة الصادر سنة 1925م، بعنوان "**ما هو الإيمان؟**":

> المُبَرِّر الحقيقيُّ وراء إعطاء نصوص العهد الجديد مثل هذه المكانة الحصريَّة للإيمان، بقدر ما يرتبط الأمر الآن بالحصول على الخلاص، مكانة تفوق المحبَّة، تفوق أيَّ شيءٍ آخر في الإنسان... هو أنَّ الإيمان يعني **القبول أو الترحيب** بشيءٍ ما، لا **القيام** بشيءٍ ما، أو أن يكون المَرْءُ شيئًا ما. لذلك، يعني القول بأنَّ إيماننا

لكلِّ مَن يتَّحدُون به بالإيمان (رومية 28:3؛ 4:4–6؛ 1:5؛ 18:5–19؛ 1:8؛ 1 كورنثوس 30:1؛ فيلبِّي 8:3).

[36] التقديس تعليم كتابيٌّ فحواه أنَّنا نتغيَّر تدريجيًّا إلى صورة المسيح في توجُّهاتنا وكلماتنا وأفعالنا بقوَّة الروح القدس العامل فينا بالإيمان ليصيِّرنا في كلِّ سلوكٍ يوميٍّ إلى ما أصبحنا عليه بالفعل في المسيح (رومية 22:6؛ 1 كورنثوس 7:5؛ فيلبِّي 12:2–13؛ 12:3؛ أفسس 24:4).

يخلّصنا أنَّنا لا نُخَلّص أنفسنا ولو بأدنى درجة، إنَّما الله هو من يخلّصُنا.[37]

بتعبيرٍ آخر، نحن نتبرَّر بالإيمان وحده، لا بالمحبَّة، إذ قَصَدَ الله أن يوضِّح بقوَّةٍ أنَّه يتمِّم الخلاص الحاسم خارجنا، وأنَّ شخصَ المسيح وعمله هما الأساس الوحيد لقبولنا أمام الله.

منذ مئةِ عامٍ، قام أندرو فولر Andrew Fuller المسؤول الرئيس في إنجلترا عن خدمة المرسَل ويليام كاري William Carey في الهند، بتقديم نفس الشرح:

> هكذا يرتبط التبرير بالإيمان لأنَّه بالإيمان نقبل المسيح؛ وهكذا **بالإيمان وحده**، وليس بأيَّة نعمة أو فضيلة أخرى. الإيمان **نعمة قبول** استثنائيَّة دون غيرها. فإن قيل نحن نتبرَّر بالتوبة، أو بالمحبَّة، أو بأيَّة نعمة أو فضيلة أخرى، فهذا يوحي إلينا بأنَّ هناك شيئًا صالحًا فينا، **وفي حال الاعتبار** لهذا الشيء تُمْنَحُ البركة على أساسه؛ إلاَّ أنَّ التبرير بالإيمان لا يوحي لنا بوجود مثل هذه الفكرة.[38]

إذًا، ما يفصِل الإيمان عن العطايا والفضائل الأخرى هو أنَّه "نعمة قبول بشكلٍ فريدٍ". لهذا السبب يقول الرسول بولس: لأَنَّكُمْ **بِالنِّعْمَةِ** مُخَلَّصُونَ، **بِالإِيمَانِ**، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ (أَفَسُس 8:2)، إنَّ **النعمة** الإلهيَّة ترتبط مع **الإيمان** فينا (انظر رومية 16:4). والسبب هو أنَّ

---

[37] J. Gresham Machen, *What Is Faith?* (1925; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1991), 173, emphasis added.

[38] Andrew Fuller, *The Complete Works of Reverend Andrew Fuller*, vol. 1, ed. Joseph Belcher (Harrisonburg, VA: Sprinkle, 1988), 281.

النعمة هبة إلهيَّة حرَّة، أمَّا الإيمان فهو قبولنا ونحن في منتهى العجز. عندما يبرِّرنا الله بالإيمان وحده، لا يُقَدِّر الله الإيمانَ باعتباره فضيلةً في ذاته بل باعتباره قبولاً للمسيح. وهو نفس الشيء في قولنا بأنَّه ليس فضلُنا، لكن فضلُ المسيح، هو الأساس لتبريرنا.[39]

مَاذَا يَقْبَلُ الإِيمَانُ؟

السؤال المُهِمُّ الآن هو: ماذا يَقْبَلُ الإيمان ليكونَ الإيمان المُبَرِّر؟ الإجابة، بكلِّ يقينٍ، هو الإيمان الذي يَقْبَلُ يسوع المسيح. "... آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أعمال الرسل 31:16). "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ **قَبِلُوهُ** فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَيِ **الْمُؤْمِنُونَ** بِاسْمِهِ" (يوحنَّا 12:1). الإيمان يُخَلِّصُ المرء لأنَّه يَقْبَلُ الربَّ يسوع المسيح.

لكن لا بُدَّ أن نوضِّح ماذا يعني هذا بالفعل، لأنَّ هناك كثيرين جدًّا يقولون بأنَّهم قَبِلُوا المسيح وآمنوا به لكنَّهم أظهروا دليلاً باهتًا أو لم يظهروا أيَّ دليلٍ على أنَّهم أحياءٌ روحيًّا. لم يتجاوبوا مع الجمال الروحيِّ للربِّ يسوع، لم يتأثَّروا بأمجاد المسيح. ليس لديهم روح الرسول بولس عندما قال: "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً

---

[39] يواصل فولر: "بالإيمان نَنْعَمُ بالفائدة؛ إلاَّ أنَّ الفائدة لا تنشأ فقط من الإيمان، وإنَّما من المسيح كذلك. حيث إنَّ نفس الشيء الذي يرتبط في بعض المواضع بالإيمان، يرتبط في مواضع أخرى بطاعة، وموت، وقيامة المسيح" (ص 282). ولمزيد من شرحٍ أكثر ودفاعٍ أكمل عن هذا الفهم المرتبط بأنَّ التبرير بالإيمان وحده، انظر:

John Piper, *Counted Righteous in Christ: Should We Abandon the Imputation of Christ's Righteousness?* (Wheaton, IL: Crossway, 2002); John Piper, *The Future of Justification: A Response to N. T. Wright* (Wheaton, IL: Crossway, 2007).

لِكَيْ **أَرْبَحَ** الْمَسِيحَ (فيلبِّي 8:3). هذا ليس توجُّههم الروحيَّ، ومع ذلك يقولون إنَّهم قد قبلوا المسيح. يبدو الأمر كما لو أنَّه من الممكن للمرء أن "يقبل المسيح" لكن لا يتمتَّع به بِقَدْرِ ما هو عليه.

أحدُ الطرائق لوصف هذه المشكلة هو القول بأنَّ هؤلاء الناس عندما "قَبِلُوا المسيح"، لم يقبلوه **بِقَدْرِ مكانته الفائقة السموِّ**. قَبِلُوه ببساطةٍ غافرًا للخطيَّة لأنَّهم يحبُّون الوجودَ دون شعورٍ بالذنب، منقذًا لهم من الجحيم، لأنَّهم يحبُّون الوجودَ دون ألمٍ، شافيًا لأنَّهم يحبُّون الوجودَ دون مرضٍ، محاميًا لأنَّهم يحبُّون الوجودَ آمنين، مانحًا للرخاءِ لأنَّهم يحبُّون كونهم أثرياء، خالقًا لأنَّهم يريدون عالمًا شخصيًّا خاصًّا بهم، وربًّا للتاريخ لأنَّهم يرغبون في نظامٍ وغايةٍ. إلاَّ أنَّهم لم يقبلوه على نحوٍ سامٍ شخصيٍّ بحقِّ ما هو عليه، وما له من قَدْرٍ ومكانةٍ فائقةٍ. لم يقبلوه بنفس الطريقة التي قَبِلَه بها الرسول بولس عندما تحدَّث عن **فَضْلِ مَعْرِفَةِ** الْمَسِيحِ يَسُوعَ بصفته ربًّا له. لم يقبلوه بِقَدْرِ ما هو كائن عليه، فهو أكثر مجدًا من أيِّ شيءٍ آخر في الكون، أكثر جمالاً، وروعةً، وإشباعًا. إنَّهم **لم يرفِّعوه** أو **يُقدِّروه، لم يعتزُّوا** أو **يتلذَّذوا** به.

مثل هذا "القُبُول" للمسيح هو نوع من القُبُول يمكن لأيِّ إنسانٍ طبيعيٍّ غير متجدِّد القيام به. هو "قُبُولٌ" للمسيح لا يستلزم أو يحتِّم أيَّ نوعٍ من التغيير في الطبيعة الإنسانيَّة. لستَ مضطرًّا لأن تُولَد من جديد لتحبَّ الوجود دون شعورٍ بالذنب، متحرِّرًا من الألم والمرض، شاعرًا بأنَّك آمنٌ وثريٌّ. كلُّ الناس الطبيعيِّين الذين لا حياة روحيَّة لهم متيَّمون بهذه الأمور. لكن أن تقبل الربَّ يسوع المسيح بوصفه كنْزَك السامي فهذا يستلزم طبيعة جديدة. وما من أحدٍ يمكنه القيام بذلك بشكلٍ طبيعيٍّ. بل لا بُدَّ أن يُولَد من جديد (يوحنَّا 3:3). لا بُدَّ أن يكون خليقةً جديدةً في المسيح (2 كورنثوس 17:5؛ غلاطيَّة 15:6). لا بُدَّ أن يتِمَّ إحياءُ المَرْءِ روحيًّا (أفسس

4-1:2). وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَسُوع رَبٌّ" إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (1 كورنثوس 3:12).

الإِيمَانُ يَقْبَلُ المَسِيحَ مُخَلِّصًا، وَرَبًّا، وَكَنْزًا سَامِيًا

من أجل ذلك، الإيمان الخلاصيُّ هو قُبُول المسيح لما هو عليه بالحقِّ، بما هو كائنٌ عليه بالفعل، حال كونه أكثر مجدًا، وروعةً، وإشباعًا، ومن ثَمَّ أكثر قيمةً وقَدْرًا من أيِّ شيءٍ آخر في الكون. الإيمان المُخَلِّص يقولُ صاحبُه: أيُّها الربُّ يسوع المسيح، أَقْبَلُكَ مُخَلِّصًا لي، ربًّا لي، كنزي الأسمى؛ أَنَا أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ قَدْرِ مَعْرِفَتك السامي يا ربِّي يسوع الْمَسِيحِ (انظر فيلبِّي 8:3).

لهذا السبب قال الربُّ يسوع: ... كَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا (لوقا 33:14). وقال أيضًا: مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي (مَتَّى 37:10). كما قال: ... يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفًى فِي حَقْلٍ وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ (مَتَّى 44:13).

المجد اللانهائيُّ للمسيح يجعل قَدْرَه غير محدود، كما يجعله الكائن الأكثر إشباعًا. الإيمان المُخَلِّص يقبلُ هذا المسيح ويُرَحِّب به. ليس أنَّنا نختبر ملء الفرح، أو ذروة الشبع به الآن في هذه الحياة، لكنَّ بالإيمان المُخَلِّص نَنْعَمُ بالتَّذوُّق (المزمور 8:34)، ونعلم أين هو (يوحنَّا 35:6)، ونسعى ليكونَ هو مِلْكِيَّة خاصَّة بنا، لأنَّ المسيح جعلنا مِلْكِيَّة خاصَّة له (انظر فيلبِّي 12:3).

صَحْوَةُ الرُّؤْيَةِ الرُّوحِيَّةِ للمَجْدِ

بهذا الإيضاح عن ماهيَّة الإيمان، نصبح الآن في وضعٍ يتيح لنا أن نتساءل عن طريقة ارتباط أو تفاعل تفكيرنا مع الإنارة الإلهيَّة لإيقاظ الإيمان المُخَلِّص. ما رأيناه حتَّى الآن عن طبيعة الإيمان سيُحَدِّد ما هو الأساس المنطقيُّ والكافي له، وكيف يُعرَف. الإيمان المُخلِّص لا يمكِن أن يرتكِزَ فقط على معرفة حقائق محضة: يسوع هو المسيَّا [أي المسيح]، عاش حياةً كاملةً، مات من أجل الخطاة، قام من بين الأموات، هو الله. فالشيطان يؤمن بكلِّ هذه الحقائق (يعقوب 19:2).

تستلزمُ طبيعة الإيمان الخلاصيِّ ما هو أكثر من مجرَّد حقائق كأساسٍ لها، ليس أقلَّ بل أكثر. لقد رأينا أنَّ ذلك الإيمان الخلاصيَّ ليس فقط مجرَّد القُبُول بالحقائق. إنَّه قبولٌ للمسيح الذي مات من أجلنا وقام، المسيح المجيد بشكلٍ غير محدود، الفائق الجمال، صاحب القَدْر السامي الرفيع. من أجل ذلك، فإنَّ مثل هذا الإيمان أساسه لا بُدَّ وأن يكون بصيرةً روحيَّةً لهذا المجد والجمال والقَدْرِ.

هذه البصيرة ليست منفصلة عن التفكير بشأن حقائق الإنجيل التاريخيَّة. لا بُدَّ أن نسمع ونفهم بعقولنا القصَّة القديمة، البالغة في القِدَمِ. إلاَّ أنَّ استماع وفهم حقائق قصَّة الإنجيل لا يماثلان رؤية مجد المسيح الإلهيِّ في الإنجيل. لذلك فإنَّ المنطق البشريَّ، باستعمال العقل لتعلُّم حقائق الإنجيل وشرحها والدفاع عنها، يلعب دورًا **لا غنى** عنه لكنَّه **ليس** بالدور الحاسم في إيقاظ وتثبيت الإيمان الخلاصيِّ. لا بُدَّ أن نسمع قصَّة الإنجيل ونعي حقائقه وتعليمه بشكلٍ صائبٍ. إلاَّ أنَّ الأساس الحاسم للإيمان الخلاصيِّ هو رؤية مجد المسيح في الإنجيل.

النَّصُّ الَّذِي يُقَدِّمُ الأَسَاسَ

إليك النصُّ الكتابيُّ المفتاحيُّ الذي نجد فيه هذه النقطة:

> 4الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ. 5فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلَكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ. 6لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. (2 كورنثوس 4:4-6)

ستُّ ملاحظاتٍ من هذا النصِّ توضِّح كيف يعمل التفكيرُ البشريُّ مع فعل الاستعلان الإلهيِّ في إيقاظ الإيمان الخلاصيِّ.

1. مَجْدُ المَسيحِ مَرْئيٌّ في الإنجيلِ

يقولُ العدد (4) إنَّ الإنجيل هو إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله. هذا ما يجب رؤيته حتَّى يتجاوب الإيمان الخلاصيُّ مع الإنجيل ويقبل صاحبه المسيح المجيد بشكلٍ لا نهائيٍّ لما هو عليه بالفعل. عَلَّقَ جوناثان إدواردز على هذا النصِّ بنفس التأثير، عندما قال: "ما من شيءٍ يمكِنُه أن يكون أكثر وضوحًا في أنَّ الإيمان الخلاصيَّ بالإنجيل يتمُّ الكلام

عنه هنا بوصفه... ناشِئًا من عقلٍ قد استنار ليعاينَ المجدَ الإلهيَّ لأشياء يعرضها الإنجيل".[40]

بتعبيرٍ آخر، أساس الإيمان الخلاصيِّ هو مجد المسيح المرئيُّ في الإنجيل. لا تفصل "المجد الإلهيَّ" للمسيح عن حقائق وأحداث الإنجيل الموضوعيَّة، والتي فيها يُسْتَعْلَن المجد. إنَّ استعلانَ مجد المسيح ليس اختبارًا صوفيًّا باطنيًّا منفصلاً عن تفكيرنا عن المسيح في الإنجيل. كما أمكن لكاتب المزمور أن يقول: السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ (المزمور 1:19)، هكذا يقول الرسول بولس في النصِّ السابق إنَّ الإنجيلَ يعلِنُ مجدَ المسيح. إن توقَّفنا عن التفكير في الإنجيل، لن نرى مجد المسيح. إنَّه هو السبيل **لِإِنَارَةِ إِنْجِيلِ** مَجْدِ الْمَسِيحِ.

2. مَجْدُ المَسيحِ مَوجُودٌ في الإنْجِيلِ

المجدُ الإلهيُّ موجودٌ بالفعل وبشكلٍ موضوعيٍّ في الإنجيل. وإلاَّ ما تحدَّث الرسول بولس عن إله هذا الدهر الذي يقوم بإعماء أذهان غير المؤمنين. إن لم يكنْ هذا المجد موجودًا بالفعل، لا داعيَ لأن تكون أعمى حتَّى لا تراه. لكن إن كان هذا المجد موجودًا بالحقِّ، لا بُدَّ أن تكون أعمى بالفعل لتعجز عن رؤيته. ولذلك فإنَّ نورَ إنجيل مجد المسيح موجودٌ بالفعلِ. إنَّه المجد الإلهيُّ الذي يحمل في ذاته البرهان على صدقه. وَصَفَه إدواردز بأنَّه مجد السموِّ الفائق الوصف، المتميِّز، والواضح في الإنجيل.[41]

---

[40] Jonathan Edwards, *Religious Affections, The Works of Jonathan Edwards*, vol. 2, ed. John E. Smith (New Haven, CT: Yale University Press, 1959), 298.

[41] Ibid., 300.

الإيمان الخلاصيُّ "منطقيٌّ" أي هناك مبرِّرات منطقيَّة لتدعمه. لا يستندُ على تلفيقات خياليَّة. أساسه مجد المسيح في الإنجيل. والإنجيل حقيقيٌّ بمجدٍ حقيقيٍّ.

3. مَجْدُ المَسيحِ مَرْئِيٌّ عَبْرَ حَقَائِقِ الإِنْجِيلِ

يوضِّح العدد (5) ويؤكِّد ما رأيناه بالفعل في الملاحظة الأولى. رؤية هذا "السموِّ المتميِّز والواضح"، أي رؤية مجد المسيح، لا تتحقَّق برؤيا أو حُلْم أو رسالة همس من الروح القدس. هي معاينة المجد في القصَّة الكتابيَّة للمسيح كما كَرَزَ الرُّسُل الملهمون بإنجيل المسيح. في العدد (5)، يقول الرسول: فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلَكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ.

هناك يكمن موضع التفكير والمنطق. يستخدم الرسول بولس عقله ليجاهر ويشرح ويدافع ويؤكِّد حقائق الإنجيل. أمَّا نحن فنستخدم عقولنا لنسمعه، وَنُفَسِّرَ معانيه ونقيِّمَ مزاعمه. كان الرسول يُقنع الناس بالحجج أنَّ يسوع هو المسيح، وأنَّه قام من بين الأموات، وأنَّه مات من أجل خطايانا.[42] كان الرسول يجادل بالحقائق والحجج ليقدِّم المسيح للناس. وهكذا، ندرك أنَّ رؤية مجد المسيح، الذي يحمل في ذاته البرهان على مصداقيَّته، لا تنفصل عمَّا هو عقليٌّ من تقديمٍ وعرضٍ وقبولٍ لحقِّ الإنجيل. هذا التقديم والقبول العقليُّ -أي عمل العقل- لا غنى عنه.

[42] من أمثلة المواضع الكتابيَّة التي فيها يقنع الرسول بولس الناس بالحجج نصوص (أعمال الرسل 2:17، 4، 17؛ 4:18، 19؛ 8:19، 9؛ 7:20، 9؛ 25:24)، المؤلِّف.

4. الأَسَاسُ الحَاسِمُ للإِيمَانِ الخَلاصِيِّ هو هِبَةُ اللهِ بإنارةِ عُيونِ القَلْبِ

عند هذه النقطة يُمكِن لنا أن نرى كيف تتوافق طبيعة الإيمان الخلاصيِّ مع أساسِهِ. مجد المسيح في الإنجيل هو الأساس القاطع للإيمان الخلاصيِّ لأنَّ هذا الإيمان يعني قبول المسيح المجيد صاحب القَدْر السامي بشكلٍ غير محدود.[43] أو بشكلٍ معكوسٍ: بما أنَّ الإيمان الخلاصيَّ هو قبول المسيح بوصفه الكنز الأسمى، فإنَّ أساس هذا الإيمان هو الرؤية الروحيَّة للمسيح الفائق الجمال، صاحب المنزلة السامية. يصف العدد (6) كيف تتحقَّق هذه الرؤية حتَّى لو كنَّا بالطبيعة عميانًا ومقاومين.

رؤيةُ هذا النور الروحيِّ الحتميِّ هِبَةٌ من الله. هذه هي النقطة التي يؤكِّدها العدد (6): ... اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. الشيءُ الحاسِم في رؤيتنا هو الله الذي جعل النور يشرق في قلوبنا.

وَفْقًا للعدد (4)، لم نقدرْ أن نعاين نور إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله لأنَّنا كنَّا عميانًا بواسطة إله هذا الدهر. ما من منطق مهما بلغ قَدْرُه، أو سَمَتْ حجَّتُه التاريخيَّة يمكن أن يمنحا للعميان بصيرةً روحيَّةً. هذا هو حدود التفكير. ومع ذلك فإنَّ المجاهرةَ العقليَّةَ والفهمَ العقليَّ لحقائق الإنجيل أمورٌ لا غنى عنها. "نَكْرِزُ... بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا..." العدد (5).

---

[43] "هكذا، قد يكون لنفس المرء نوعٌ من المعرفة البديهيَّة عن ألهانيَّة الأمور المعلنة في الإنجيل؛ ليس أنَّ المرء يدرك بأنَّ تعاليم الإنجيل من الله، دون نقاش أو استنباط على الإطلاق؛ لكن دون أيَّة سلسلة طويلة من الحجج، فالحجَّة واحدة فقط، والدليل مباشر؛ إذ يرتقي العقل إلى حقِّ الإنجيل بخطوة واحدة فقط، هي [رؤية] المجد الإلهيِّ." مقتبس من:

Edwards, *Religious Affections*, 298–99.

لكن الآن في العدد (6)، التغيُّر الحاسم يتحقَّق. الله يفتح عيون القلب. وإنجيل المسيح المصلوب والقائم من بين الأموات، (المقدَّم على نحوٍ عقليٍّ في الوعظ والتعليم)، يتألَّقُ بسموٍّ واضحٍ، ومتميِّزٍ، وفائقِ الوصف، يتألَّقُ بمجد الله في وجه يسوع المسيح. ويعني هذا أنَّ قلوبنا تتغيَّر. وهكذا يتبدَّل الموت الروحيُّ بحياةٍ روحيَّةٍ (أفسس 5:2)؛ والعمى الروحي ببصيرةٍ روحيَّةٍ (العدد 4 مقابل العدد 6).

ولأنَّ قلوبنا الآن ترى المسيح صاحب القَدْرِ غير المحدود، تنهزم مقاومتُنا للحقِّ. ولا يكون تفكيرنا في ما بعد مستعبدًا لرغبات مخادعة، لأنَّ شهواتنا تتغيَّر. إذ يصبح المسيح الآن الكنزَ الأسمى. كما يمسي تفكيرنا طيِّعًا لحقِّ الإنجيل. ولا نوظِّف تفكيرنا في ما بعد لتشويه الإنجيل. لا ننعته بالحماقة، بل نُطْلِقُ عليه قوَّةَ الله، وحكمته، ومجده (1 كورنثوس 23:1-24).

ما يتمُّ وصفه هنا في (2 كورنثوس 6:4) هو الولادة الجديدة.[44] فالتغييرُ عميقٌ. وهو مفتاح السؤال الذي أثرناه قبلاً: كيف يمكن لمثل هذا القلب الخاطئ المظلِم أن يثمرَ طريقةً للتفكير تفسِحُ مجالاً لظهور الإيمان الخلاصيِّ؟ الإجابة هي أنَّ الإنارة الإلهيَّة والتجديد تؤدِّي إلى تغيُّرٍ عميقٍ في الطريقة التي يدرك بها القلبُ الواقعَ من حوله.

بالتفكير رجوعًا إلى الفصل 4، يعني هذا أنَّنا نرى الآن مجد عريسنا أكثر قيمةً مقارنةً بأيِّ شيءٍ آخر (مَتَّى 15:9؛ 1:25). إنَّ رغباتنا الفاسقة في أمورٍ أخرى كنَّا نعتقد أنَّها مشبِعَة قد صُلِبَتْ مع المسيح (مَتَّى 4:16 مع غلاطيَّة 20:2؛ كولوسِّي 3:3-5). وتتغيَّرُ قلوبُنا لتصبحَ متناغمة مع حقٍّ

---

[44] بالنسبة إلى العلاقة بين الإنارة الإلهيَّة لقلوبنا والتعليم الكتابيّ عن الميلاد الجديد انظر كتاب "**أخيرًا حيٌّ**" للمؤلِّف: چون پايپر، ترجمة ق. عاطف المرفوض.

John Piper, *Finally Alive: What Happens When We Are Born Again* (Fearnshire, UK: Christian Focus, 2009), 119, 178.

قَدْرِ المسيح. لهذا السبب يمكن لتفكيرنا الآن أن يخدِمَ الإنجيل، ويمسي وسيلةً متَّضعةً للإيمان الخلاصيِّ.

5. الإيمَانُ الخَلاصِيُّ مَنْطِقِيٌ

أساسُ هذا الإيمان أساسٌ منطقيٌّ، والقناعة الناجمة عنه قناعةٌ منطقيَّةٌ. هذا الإيمان يتجاوز ما يمكن أن ينتجه مجرَّد التفكير والمنطق المبنيِّ على الحقائق، لأنَّه منطقيٌّ في حدِّ ذاتِهِ. يشرحُ إدواردز هذا الأمر بالقول: "بقناعة منطقيَّة، أعني، قناعة مؤسَّسة على دليلٍ ملموسٍ، أي على منطقٍ سليمٍ، أو أساسٍ للقناعة فقط".[45] وما من شيءٍ أكثر منطقيَّة من ذلك الإيمان الخلاصيِّ، لأنَّ قبول المسيح بكونه مجيدًا على نحوٍ غير محدودٍ، لا بُدَّ وأن يتأسَّس على رؤيةٍ روحيَّةٍ لمجده الإلهيِّ.[46]

6. هَذَا هُو السَّبيلُ الوَحِيدُ لليَقينِ الرُّوحِيِّ

إنَّ سببَ الأهمِّيَّةِ البالغة لهذا الفهم عن العمل المشترك بين التفكير البشريِّ والإنارة الإلهيَّة هو أنَّ الغالبيَّةَ العظمى من الناس العاديِّين (وأنا أحسب نفسي منهم) عاجزةٌ عن الوصول إلى قناعةٍ ثابتةٍ لا تهتزُّ بشأن الحقِّ المرتبط بالمسيحيَّة بأيَّة طريقة أخرى غيره. إن كانت ثقتُنا الوحيدة تستند على القناعة الفلسفيَّة والتاريخية العقليَّة، فإنَّ أغلب الناس لن تملك الوقت أو الموارد أو التدريب على فحص مثل هذا المنطق الممتدِّ. ومن يكرِّسون أنفسهم لهذه المَهَمَّة فإنَّ ما يعرفونه هو مجرَّد احتمالات، لا

---

[45] Edwards, *Religious Affections*, 295

[46] "ليست قناعة روحيَّة للدينونة، لأنَّها تنشأ من إدراكٍ للجمال الروحيّ، مع وعيٍ بمجد الأمور الإلهيَّة". المرجع السابق لإدواردز، ص 307.

ترق إلى اليقين الروحيّ. في المقابل يقول الرسول يوحنا: كَتَبْتُ هَذَا إِلَيْكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً... (1 يوحنّا 13:5). من المُفترَض لنا أن نتيقَّن من أنَّ الإنجيلَ حقيقيٌّ، وأنَّنا قد نلنا الخلاص، لا أن نكون حيارى متشكِّكين.

حَظِي جوناثان إدواردز Jonathan Edwards بعقليَّة فذَّة. ما من أحدٍ استطاع أن يتفوَّق عليه في الحجَّة. وما قاده إلى هذه النقطة تثقُّله من أجل هنود هوسَّاتَنْك *Houssatunnck Indians* بالقرب من موضع سكنه في نيو إنجلاند New England في القرن 18م. كيف أمكنهم الاهتداء إلى إيمانٍ منطقيٍّ وثابتٍ في المسيح؟ إنَّ نفس هذا الاهتمام يشغلني: كيف أزكِّي وأدافع عن المسيحيَّة ليس فقط أمام العقلاء، بل كيف أجاهر بها بين أقاربي العاديِّين وبين الآلاف ممَّن لم تصل إليهم رسالة الإنجيل حول العالم ممَّن يعجزون عن الانتظار أجيالاً من التربية. إليك الطريقة التي يصفُ بها إدواردز Jonathan Edwards ما تثقَّل به:

> إن لم يصل الناس إلى قناعةٍ متينةٍ واقتناعٍ منطقيٍّ عن حقِّ الإنجيل، بالأدلَّة الداخليَّة له... وبرؤية مجده؛ من المستحيل على الجهلاء وغير العالمين بالتاريخ أن ينعموا على الإطلاق بأيَّة قناعة فعَّالة وتامَّة عنه. ربَّما يرون دونها، قدرًا كبيرًا من احتماليَّتها، ربَّما من المنطقيِّ لهم أن يصدِّقوا بقوَّة ما يُعْلِنه إليهم المثقَّفون والمؤرِّخون... لكن إن لم ينعموا بقناعةٍ بمثل هذا القَدْر من الوضوح، والبيِّنة، واليقين، قناعة كافية لتحثَّهم بكلِّ جرأةٍ على بيع كلِّ شيءٍ، وتدفعهم بثقةٍ ودون خوفٍ للمجازفة بخسارة كلِّ شيء، وتشجِّعهم على تحمُّل العذابات المؤلمة والمتواصلة، وتحفِّزهم على أن يدوسوا العالم بأقدامهم حاسبين كلَّ شيءٍ نفايةً من أجل

المسيح، فإنَّ ما يمكنهم الوصول إليه من قناعة أو أدلَّة من التاريخ لن تكون كافية.[47]

نعم، هذه هي نوعيَّةُ المسيحيِّ الذي أرغب في إيقاظه. مسيحيٌّ لا يخشى شيئًا، بل يجازفُ بخسارة كلِّ شيءٍ، ومستعدٌّ لتحمُّل أصعب المشقَّات من أجل المسيح، يطأُ الشيطان بالأقدام، ويحسبُ كلَّ شيءٍ نفايةً من أجل خاطر المسيح؛ وعندما يأتيه الموت في هذا السعي، يراه ربحًا.

وهكذا، أَنْتهي إلى أنَّنا لا بُدَّ أن نستعمل عقولنا لكن لا بُدَّ أن ندرك أنَّ استخدام عقولنا ليس كافيًا. لا بُدَّ أن نوظِّف ما لنا من منطقٍ في المجاهرة بالإنجيل: في شرحِهِ، وفهمه، وتثبيته. ينبغي أن نجاهد من أجل حفظ الإيمان المُسلَّم مرَّة إلى القدِّيسين (يهوذا 3:1)، لا بُدَّ أن نكون مستعدِّين مثل الرسول بولس حتَّى ولو ذهبنا إلى السجن من أجل المحاماة عن الإنجيل وتثبيته (فيلبِّي 7:1). كلُّ هذا الأمور لا غنى عنها.

وفيما نستخدم كلَّ قدراتنا العقليَّة المتجدِّدة من أجل المسيح، لا بُدَّ علينا أن نصلِّي مع الرسول بولس حتَّى يرافق الروح القدس الكرازة بالإنجيل والاستماع إليه. لا بُدَّ أن نصلِّي أنَّ الإله الذي قال: لِيُشْرِقَ نُورٌ مِنْ الظلْمَة، يشرِقُ في قلوبنَا، لنقدِّم للآخرين نور مَعرِفة مَجد اللهِ في وَجْه يَسُوع المَسِيح. لأنَّه عندما يتحقَّق ذلك فقط، يتمُّ إيقاظ الإيمان الحقيقيِّ، ويُخْلَقُ المسيحيُّون الحقيقيُّون الذين يقولون مع الرسول بولس: بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ

---

[47] Ibid., 303.

"بائس هو حال هنود هوساتنُك *Houssatunnck Indians*، وغيرهم، الذين أظهروا مؤخَّرًا رغبةً لتعلُّم المسيحيَّة والتهذُّب بتعاليمها، لكن لم يكن بإمكانهم الوصول إلى أيِّ دليلٍ عن الحقِّ المرتبط بها يكون كافيًا على أن يحثَّهم على بيع الكلِّ من أجل المسيح بأيَّة طريقة أخرى عدا هذه" ص 304.

كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي... (فيلبِّي 8:3).

الِانْتِقَالُ الآنَ مِنْ التَّوبَةِ إِلَى الوَصِيَّةِ الأُولَى

بعد أن وضَّحنا دَوْرَ التفكير في الطريقة التي نهتدي بها إلى الإيمان بالمسيح (في الفصلين الرابع والخامس)، ننتقل الآن إلى الفصل السادس إلى دور التفكير في الطريقة التي نتمِّمُ بها الوصيَّة العظمى. قال الربُّ يسوع ينبغي أن نحبَّ الله من كلِّ فكرِنا [أي: عقلنا] (انظر مَتَّى 37:22). البعض يتعامل مع هذه الوصيَّة كما لو أنَّها تعني: "فَكِّرْ بِجِدِّيَّةٍ، فَكِّرْ بِدِقَّةٍ، لأنَّ القيام بالتفكير على هذا النحو هو محبَّة الله". إلاَّ أنَّني أشكُّ في هذا المعنى.

أعتقدُ أنَّ محبَّةَ الله بكلِّ العقلِ تعني **انشغال تفكيرنا بكامله للقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر**. الاعتزاز بالله هو جوهر محبَّته، ويخدِم العقل هذه المحبَّة بإدارك حقٍّ، وجمالٍ، وقَدْر الكنز موضوع الاعتزاز، حتَّى وإن كان هذا الإدارك جزئيًّا، لكنَّه صادق. ونحن لا نَقْدِرُ أن نحبَّ الله دون أن نعرفه. وحيث إنَّ الربَّ يسوع هو الإعلان الأكمل عن الله. فإن عرفناه بالحقِّ، نعرف الله. والكتاب المقدَّس هو المدخل الوحيد الذي يمكن التعويل عليه من أجل معرفة الربِّ يسوع بالحقِّ. من أجل ذلك، ندرك مرَّةً أخرى المكانة الحيويَّة للقراءة كفعل تفكير -انظر الفصل 3- في معرفة ومحبَّة الله. ما هو الأساس الكتابيُّ لهذا الفهم عن محبَّة الله بكلِّ عقولنا؟ هذا ما ننتقل إلى مناقشتِهِ الآن في الفصل السادس.

تَوضِيحُ
مَعْنَى مَحَبَّةِ اللهِ

35وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ نَامُوسِيٌّ لِيُجَرِّبَهُ: 36يَا مُعَلِّمُ
أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ 37فَقَالَ لَهُ
يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ
نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. 38هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى
وَالْعُظْمَى. 39وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.
40بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ.
(مَتَّى 22:35-40)

الفصل السادس

مَحَبَّةُ اللهِ:
اعْتِزَازٌ بِاللهِ مِنْ كُلِّ عَقْلِكَ

سأل فرِّيسيٌّ الربَّ يسوع: يَا مُعَلِّمُ أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ أجابه: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ [أي: عقلك أو ذهنك]. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ (مَتَّى 22:36-39). إذًا، الوصيَّة العظمى في الكتاب المقدَّس هي محبَّة الله. ويؤكِّد الربُّ يسوع القيام بها ليس فقط من كلِّ قلوبنا ونفوسنا، بل أيضًا من كلِّ عقولنا وأفكارنا.

مَاذَا يَعْنِي أَنْ يحبَّ المَرْءُ اللهَ مِنْ كُلِّ العَقْلِ؟

ماذا يعني أن يحبَّ المرءُ الله "من كلِّ العقل"؟ أعتقد أنَّ هذا يعني أنَّنا نوجِّه تفكيرنا بطريقة محدَّدة؛ أي **أنَّ تفكيرنا بكامله ينبغي أن ينشغل بالقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر**.

اسمح لي باستجلاء ما ينطوي عليه ذلك عن طريق أربعة بيانات موجزة سأدافع عنها لاحقًا من كلمات الربِّ يسوع.

لاحِظ، أوَّلاً، أنَّني أتحدَّث عن نشاطِ العقل باعتباره "تفكيرًا". إذًا أن تحبَّ الله بالعقل هو أن تحبَّه بالطريقة التي تستخدم بها ذلك العقل للتفكير.

ثانيًا، لاحِظ أنَّني أفسِّر لفظة "**كلِّ**" في عبارة "تحبُّ الله من كلِّ عقلك" على أنَّها تشير إلى الانشغال الكامل للعقل، ولذلك قلتُ: "**تفكيرنا بكامله** ينبغي أن **ينشغل**..."

ثالثًا، أنا أصفُ محبَّة الله بشكلٍ رئيسٍ على أنَّها الاعتزاز بالله. أي أنَّها اختبارُ تقديرٍ، ومسرَّةٍ، وإعجابٍ، وتثمينٍ. هي نفس الشيء الذي أَعْرَبَ عنه الرسول بولس من جهة الربِّ يسوع عندما قال: أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي... (فيلبِّي 8:3). إنَّ محبَّة الله هي علاقة غراميَّة مع الله ترتبط بالعواطف. إنَّ الأفكار، والخواطر، والتفكير كلُّها أمور مُهِمَّة كما سنرى، لكنَّها ليست ما تكونُهُ المحبَّة.

رابعًا، لا أقول إنَّ التفكير والمحبَّة هما نفس الشيء. لكن أقول إنَّ التفكير يعمل على الإيقاظ والتعبير عن المحبَّة. أحد المبرِّرات لذلك هو أنَّ الشيطان بإمكانه التفكير بأفكارٍ صحيحةٍ عن الله. إلاَّ أنَّ مثل هذا التفكير لا يمثِّلُ محبَّةً. لأنَّ التفكير في أن تكون مُحبًّا، لا بُدَّ أن يكون أكثر من مجرَّد تفكيرٍ.

بوضع هذه الخلاصة الرباعيَّة في الاعتبار، دعونا ننتقل الآن للدفاع عنها.

مَعْنَى القَلْبِ، النَّفْسِ، العَقْلِ

إلى ماذا تشير المفردات: **قلب، نفس، عقل**؟ الواضح في الكتاب المقدَّس أنَّها مفردات متداخلة في المعنى. ومع ذلك، لكلِّ واحدةٍ منها نقطةُ تركيزٍ مختلفة. من جهة **القلب** و**العقل**، تأمَّل الموضع الآخر الوحيد في

البشائر الأربع، غير الوصيَّة العظمى، الذي تأتي فيه اللفظة دِيانِيَا **διανοίᾳ** بمعنى "فكر، ذهن" في (لوقا 51:1). وقد تُرْجِمَتْ اللفظة فيه بمعنى "أفكار *thoughts*". وتحدث هذه الأفكار، على نحوٍ مفاجئ، في "القلب". يقول النصُّ: ... شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ (لوقا 51:1). إذًا يتداخل **العقل** (الفكر) و**القلب** معًا. القلب له أفكاره، كما أنَّ للعقل "روحًا، اتِّجاهًا" خاصًّا به، أو ربَّما نقول له "قلبٌ" خاصٌّ به، كما يقول الرسول بولس لأهل أَفَسُس: **وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ** (أَفَسُس 23:4). ومع ذلك، العقل والقلب ليسا نفس الشيء.

أمَّا عن معنى النَّفس، تأمَّل ما قاله الربُّ يسوع: وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ **النَّفْسَ** وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ (مَتَّى 28:10). يفترض هذا الكلام أنَّ **النفس** هي ملء الحياة أو هي الشخصيَّة بمعزلٍ عن الجسد، فالجسد يمكن قتله ومع ذلك تبقى النفس حيَّة. من أجل ذلك تضمُّ النفس القلب والعقل، لأنَّ الرَّبَّ يقول مع أنَّ الجسد قد يهلك، والنفس تنجو، الأمر الذي يشمل نجاة القلب والعقل بوصفهما جزءًا من النفس.

إذًا ما الذي يمكن قوله عن هذه المفردات؟ ربَّما نلخِّص ما نقوله على هذا النحو: يُسلِّط **القلب** الضوء على مركز حياتنا العاطفيِّ والإراديِّ دون استبعادٍ للفكر (لوقا 51:1). تسلِّط **النفس** الضوء على حياتنا البشريَّة ككلٍّ كما في القول: ... فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً (تكوين 7:2)، وإن كانت متميِّزة عن الجسد أحيانًا (مَتَّى 28:10). أمَّا **العقل** فيُسَلِّط الضوء على قدرتنا على التفكير. وعند إضافة لفظة توكيد إليه كما في (مرقس 30:12)، يسلِّط **العقل** الضوء على قدرتنا على القيام بجهود قويَّة جسديًّا وعقليًّا (مرقس 4:5؛ لوقا 36:21).

عندما نأخذ في الاعتبار كلَّ هذه الأمور معًا، فإنَّ المراد هو أنَّنا ينبغي أن نعتزَّ باللهِ بكلِّ ما نحن عليه. فلا يجب أن يكون هناك أيُّ جزءٍ منَّا غيرَ منشغلٍ بالاعتزاز بالله أكثر من أيِّ شيءٍ. في الوصيَّة العظمى: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ **كُلِّ** قَلْبِكَ وَمِنْ **كُلِّ** نَفْسِكَ وَمِنْ **كُلِّ** فِكْرِكَ (عقلك)، لا تعني فقط لفظة التوكيد المتكرِّرة "**كلِّ**" وجوب انشغال كلِّ قدرة من قدراتنا بالاعتزاز بالله، بل تعني انشغال **كلِّ** قدرة **بكاملها**. إنَّ مدى تقديرنا لله ينبغي أن يكون إلى المدى الأقصى. بتعبيرٍ آخر، وعلى نحوٍ شاملٍ ينبغي أن يضمَّ **كلَّ** قدراتنا، بكامل القوَّة **لكلِّ** قدرةٍ على حدة، ينبغي لنا الاعتزاز بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

هكذا أعتبرُ أنَّ اللفظة "عقل" في (مَتَّى 37:22) تشير إلى وجودنا المكرَّس خاصَّةً **للتفكير**. إنَّ محبَّة الله من كلِّ العقل تعني انشغال تفكيرنا بكامله للقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

مَحَبَّةُ اللهِ هِيَ اعْتِزَازٌ بِاللهِ: أَدِلَّةٌ مُتواضِعَةٌ ومُبَرِّراتٌ قَوِيَّةٌ

الآن، لماذا أصفُ محبَّة الله بشكلٍ رئيسٍ على أنَّها الاعتزاز بالله؟ لماذا أومن أنَّ المحبَّة لله هي في الغالب وبشكلٍ جوهريٍّ اختبارٌ للعواطف، وليستْ مجرَّد أفكارٍ أو سلوكٍ؟ هناك مؤشِّرات طفيفة أو أدلَّة متواضعة، يليها مبرِّرات قويَّة.

أَدِلَّةٌ مُتواضِعَةٌ

أحدُ المؤشِّرات الطفيفة أو الدلائل المتواضعة أنَّه تبعًا **لترتيب** المفردات في وصيَّة المسيح، يُذْكَرُ القلبُ أوَّلاً: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ

قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ ذِهْنِكَ [عقلك]. وربَّما يفترض ذلك أنَّ مصدر المحبَّة الأعمق لله هو القلب، والتي يَظْهَرُ التعبير عنها لاحقًا عن طريق أعمال النفس والعقل.

ثمَّة دليلٌ آخر متواضعٌ هو أنَّه عندما يسجِّل البشير لوقا الوصيَّة العظمى، يستخدم مع لفظة "القلب" حرفَ جرٍّ مختلفًا عن الحرف الوارد ثلاث مرَّات في النصِّ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ [**إكس ἐκ** أي **مِنْ**] كُلِّ قَلْبِكَ و[**إِن ἐν** أي **مِنْ**] كُلِّ نَفْسِكَ و[**إِن ἐν** أي **مِنْ**] كُلِّ قُدْرَتِكَ و[**إِن ἐν** أي **مِنْ**] كُلِّ فِكْرِكَ [عقلك]... (لوقا 27:10).[48] لا يَظْهَرُ الفرق عند ترجمة النصِّ من اليونانيَّة إلى الإنجليزيَّة أو العربيَّة، إلاَّ أنَّ الحرف (إكس **ἐκ**) المرتبط بالقلب يفترض أنَّ القلب مصدر محبَّتنا لله، في حين حرف الجرّ (إن **ἐν**) المُستخدَم مع النفس، والقدرة، والعقل يفترض أنَّهم وسائل لتلك المحبَّة. هذا مؤشِّرٌ طفيف أو دليلٌ متواضعٌ -وإن كان مفترضًا لا حاسمًا- لحقيقة أنَّ المحبَّة هي بشكلٍ رئيسٍ عاطفةٌ مصدرها القلب.

دليلٌ أخير وهو أنَّ النبيَّ موسى قد وَعَدَ بأنَّ المحبَّة لله ستكون في يومٍ ما ممكنةً بطريقة جديدة، لأنَّ الله سيختن **القلبَ**: وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلبَكَ وَقَلبَ نَسْلِكَ لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا (التثنية 6:30). إنَّ التركيز على ما يبدو هو على التغيير المطلوب في **القلب** حتَّى يمكن لمحبَّة الإنسان لله أن تخرج إلى الوجود. ثمَّ يتمُّ التعبير عنها بكلِّ النفس. وهذا الوعد قد تحقَّق في الربِّ يسوع لأنَّه مات من أجل خطايانا ومن ثمَّ يغيِّر قلوبنا ومن هنا، يصبح بإمكانها رؤية الله بوصفه كائنًا جميلاً بشكلٍ آسرٍ (مَتَّى 27:11؛ يوحنَّا 26:17).

[48] الكسر المُنوَّن في "إِن" إشارة إلى أنَّ كسرَ الهمزة ليس كسرًا صريحًا بل هو كسرٌ ممالٌ قصيرٌ يشبه كسر الباء في اللفظة العامِّيَّة المصريَّة "بِتْ" أي "بنت"، المُترجِم.

مُبَرِّرَاتٌ قَوِيَّةٌ

أنا أستخدمُ التعبير "جميلٌ بشكلٍ آسرٍ" لكي أحوِّل تركيزنا من الدلائل المتواضعة إلى المبرِّرات القويَّة. يُشدِّد التعبير على أمرين أدافع عنهما الآن. الأوَّل هو أنَّ محبَّة الله ليست مجرَّدَ قرارٍ. فأنت لا يمكنك أن تقرِّر فقط أن تحبَّ الموسيقى الكلاسيكيَّة أو موسيقى أيَّة دولة غربيَّة أكثر بكثير من الله. لا بُدَّ أن تكون هذه الموسيقى آسرة خلاَّبة. أن تصبح الموسيقى شيئًا يغيِّرك بالضرورة من الداخل. هذا التغيُّر من الممكن أن يوقظ داخلك إحساسًا آسرًا بجاذبيَّتها. نفس الشيء مع الله. أنت لا تقرِّر فقط أن تحبَّه. هناك شيءٌ يغيِّر ما بداخلك، ونتيجةً لذلك يصبحُ الله جذَّابًا بشكلٍ آسرٍ، حتَّى أنَّ مجدَهُ وجمالَهُ يثير إعجابَك ومسرَّتَك بشكلٍ قهريٍّ. بعدها يصبح الله كنزَك السامي. بتعبيرٍ آخر، تَقَعُ في حبِّهِ.

الشيء الثاني الذي أَوَدُّ تأكيده في عبارة "جميلٌ بشكلٍ آسرٍ" أنَّ المحبَّة لله ليستْ في الأساس فكرةً أو سلوكًا بل عاطفة -ليست أفكارًا أو أفعالاً بل مَسَرَّة. الله هو لذَّتُنا السَّامية. أكثر من كلِّ شيءٍ آخر نفضِّل أن نعرفه، ونراه، ونكون معه، أو مِثْله. هناك مبرِّرات قويَّة للإيمان بأنَّ محبَّة الله في الأساس وبشكلٍ غالبٍ هي اختبار مرتبط بالعواطف، وليست مجرَّد أفكارٍ أو سلوكيَّاتٍ.

الوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ مِثْلُ الأُولَى

أوَّلاً، يُمَيِّز الربُّ يسوع بين الوصيَّتين الأولى والثانية. فَقَالَ الربُّ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ [عقلك]. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ (مَتَّى 22:37-39). الثانية مِثْلُ الأولى. لكنَّها ليست نفس الشيء كالأولى.

بتعبيرٍ آخر، الثانية ليست الأولى. محبَّتنا لله لا توصف بأنَّها نفس محبَّتنا لقريبنا. المحبَّتان مختلفتان. الأولى أساسيَّة ولا تعتمد على طاعة أعظم. الثانية ثانويَّة وتعتمد على الأولى أي على محبَّة الله.

بكلِّ يقينٍ، المحبَّتان غير منفصلتين، لأنَّ المحبَّة الحقيقيَّة لله يَنْجُمُ عنها محبَّةٌ للناس. لكنَّهما مختلفتان. هذا يعني أنَّ أفكارَ وسلوكيَّات المحبَّة نحو الآخرين ليسا كالمحبَّة لله. هي **فيضٌ** أو ثمرٌ لمحبَّة الله. محبَّةٌ لله ليست مرادفًا للطريقة التي نعامل بها الآخرين. محبَّةُ الله إعجابٌ آسرٌ خلاَّبٌ بالله، ولاءٌ له، ومسرَّةٌ به.

العِبادَةُ الحَقَّةُ مِنْ القَلْبِ

ثانيًا، قال الربُّ يسوع للفرِّيسيِّين عندما انتقدوا حرِّيَّة تلاميذه: حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي... (مرقس 7:6-7). بتعبيرٍ آخر، ما يقوله الربُّ إنَّ الممارسات الخارجيَّة حتَّى الدينيَّة منها، والتي يوجِّهها الناس له، ليستْ هي جوهر العبادة. ليستْ هي جوهر المحبَّة. ما يحدُثُ في القلب هو الشيء الجوهريُّ. السلوكيَّات الخارجيَّة تكونُ مرضية لله عندما تفيض من قلبٍ يعتزُّ بالله بكلِّ حرِّيَّةٍ أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

المُقَابِلُ كَرَاهِيَةٌ ولَيْسَ فِكْرَةً

ثالثًا، قال الربُّ: لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ (مَتَّى 6:24). المقابل لمحبَّة الله هو "البغضة"، و"الاحتقار". وهما من المفردات القويَّة المرتبطة بالوجدان والعواطف. تفترض اللفظتان

أنَّ المقابل الإيجابيَّ أيضًا عاطفة قويَّة. إذًا المحبَّة لله عاطفة داخليَّة قويَّة، وليس مجرَّد سلوكٍ خارجيٍّ.

لكن ربَّما يقول شخصٌ ما إنَّ "الخدمة" هي اللفظة المفتاحيَّة في نصِّ (مَتَّى 24:6)، وهي تفترض أنَّ المحبَّة لله هي خدمته. إلاَّ أنَّ هذا ليس ما يقوله النصُّ. لأنَّ النصَّ يقول إنَّ المبرِّر في أنَّك لا تقدر أن تخدم سيِّدَيْنِ هو أنَّ ما يكمن وراء خدمة السيِّدَيْن (الله، والمال) عاطفتان متعارضتان مع بعضهما البعض تمامًا. البغضةُ مقابل المحبَّة، والولاء مقابل الاحتقار. لا يساوي الربُّ يسوع بين محبَّة الله وخدمة الله. بل يوضِّح أنَّ خدمة الله أصلها محبَّة الله. ومحبَّة الله هي الاعتزاز بالله، بنفس الطريقة التي يعتزُّ بها الناس بالمال بشكلٍ أكبر ولأسباب مختلفة.

إنَّ محبَّة الله على الأكثر وبشكلٍ جوهريٍّ هي الاعتزاز بالله: تقديره، والتعلُّق به، واشتهاؤه، والإعجاب به. إنَّ محبَّته من كلِّ العقل تعني **انشغال تفكيرنا بكامله للقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ بالله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.**

اللهُ بَهْجَةُ كُلِّ أَفْرَاحِي

هذه الطريقة لفهم محبَّة لله تتأكَّد بالطريقة التي نجد أنَّ اللهَ محبوبٌ بها في المزامير. وبما أنَّ الربَّ يسوع أكَّد أنَّه الغاية والمركز والتحقيق للمزامير (مَتَّى 17:5؛ لوقا 27:24؛ يوحنَّا 39:5)، نتوقَّع منه أن يطالبنا بمحبَّةٍ تحقِّقُ بل تمتدُّ إلى ما اختبره كَتَبَةُ المزامير. على كلٍّ، محبَّةُ الله في المزامير محبَّةٌ حصريَّةٌ، نقرأ عنها على سبيل المثال قول المرنِّم: مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ (المزمور 25:73). قُلْتُ لِلرَّبِّ: أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ (المزمور 2:16).

ما الذي يمكن أن تعنيه هذه الحصريَّةُ، بما أنَّ كَتَبَةَ المزامير تحدَّثوا أيضًا عن محبَّةِ الآخرين (المزمور 3:16)؟ نجد مفتاحًا لإجابة هذا السؤال في القولِ: فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ **بَهْجَةِ فَرَحِي**... (المزمور 4:43). وتأتي العبارة الأخيرة "بَهْجَةِ فَرَحِي" حرفيًّا بمعنى "فرح بهجتي".[49] ممَّا يشير إلى أنَّ الله هو فرح أفراحي كلّها. بتعبيرٍ آخر، في كلِّ فرحي بكلِّ الأشياء التي صنعها الله، فإنَّ الله نفسه هو مركز فرحي: بهجة فرحي. في ابتهاجي بكلِّ شيءٍ هناك ابتهاجٌ مركزُهُ الله. إنَّ أيَّ فرحٍ لا يحتفظ بالله مركزًا له هو فرحٌ أجوف مثل فقَّاعة تنفجر في لحظة. هذا ما قاد أغسطينوس ليصلِّي هذه الصلاة: يُحِبُّكَ قليلاً جدًّا مَن يُحِبُّ أيَّ شيءٍ معكَ، إذ لا يحبُّ من أجل شخصك.[50]

الأَسْبابُ المُتَبَادِلَةُ

أخيرًا من الموجز الذي قدَّمتَه في بداية هذا الفصل، هناك أمر واحد آخر يحتاج إلى التوضيح. قُلْتُ إنَّ الطريقة التي يرتبط بها التفكيرُ بمحبَّةِ اللهِ هي إيقاظ المحبَّة والإعراب عنها. ونيران محبَّة الله في حاجةٍ إلى وقودٍ. لأنَّ نيران المحبَّة تدير محرِّكات الفكر والعمل. إذًا هناك دائرة. يتغذَّي التفكير بنار الحبِّ الإلهيِّ، والنار تُلْهِبُ المَرْءَ بمزيدٍ من التفكيرِ والعملِ. أنا أحبُّ الله لأنِّي أعرفُه. وأَوَدُّ أن أعرفَه أكثر لأنِّي أُحِبُّهُ.

توماس جودوين Thomas Goodwin (1600-1679م)، أحد الرعاة الإنجليز المنتمي إلى التطهيريِّين البيورِتانز، ورئيس كلِّيَّة ماجدالِن

---

[49] التعبير العبريُّ لفظتان **שִׂמְחַת גִּילִי**: الأولى "سِمْحاه **שִׂמְחָה**" بمعنى "فرح، سرور، بهجة"، لكن مضافة على النحو "سِمْحَتْ **שִׂמְחַת**"، والثانية "جِيلْ **גִּיל**" بنفس معنى الأولى، ومضافة إلى ضمير المفرد المتكلِّم المتَّصل، وهكذا يعني التعبير كلُّه: فرح بهجتي، أو بهجة فرحي. المُترجِم.

[50] Augustine, *Confessions*, bk. 10, chap. 29

Magdalen College، بأكسفورد، عبَّر عن هذه الفائدة الرائعة المتبادلة بين التفكير والعواطف الروحيَّة:

> إنَّ الأفكار والعواطف هما **أسباب متبادلة** بالفعل لبعضهما البعض: عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ... (المزمور 3:39)؛ إذًا الأفكار هي بمثابة كير الحدَّاد الذي يؤجِّج ويُلْهِب العواطف؛ فإن الْتَهَبَتْ، تجعل الأفكار تَغْلِي؛ لذلك، نجد أنَّ للمؤمنين أو التائبين الجدد، بما لهم من مشاعر قويَّة وجديدة، قدرةً على التفكير في الله بلذَّةٍ أكبر من أيِّ شخصٍ آخر.[51]

مَعْرِفَةُ اللهِ هِيَ أَصْلُ مَحَبَّةِ اللهِ

المبرِّرُ الرئيس في ارتباط التفكير والمحبَّة معًا هو أنَّنا لا نقدِرُ أن نحبَّ الله دون معرفته؛ والطريقة التي بها نعرفُ الله هي بالروح القدس الذي يَهَبُ لنا إمكانيَّة استخدام عقولنا أو أذهاننا. إذًا، أن "تحبَّ الله من كلِّ عَقْلِكَ" يعني انشغال كلِّ قدراتك الفكريَّة بمعرفته بأقصى ما يمكن بغرض الاعتزاز به إحقاقًا لقَدْرِهِ ومنزلته السَّامية.

إنَّ اللهَ لا يتمجَّدُ بمحبَّة لا أساس لها. في الحقيقة، لا توجد محبَّة مثل هذه. فإن لم نعرف أيَّ شيءٍ عن الله، لن يكون هناك أيُّ شيءٍ في العقل بإمكانه إيقاظ المحبَّة. إن لم تنبع المحبَّة من معرفة الله، لا فائدة من اعتبارها محبَّةً **لله**. ربَّما يكون هناك انجذاب ما غامض في قلبِنا أو شعورٌ ما بالامتنان داخل النفس وإن كان موضوعه غيرَ واضحٍ، لكن إن لم ينبعْ هذا الانجذاب أو ذلك الشعور من معرفتنا بالله، لا يمكن وصفهما بأنَّهما محبَّةٌ لله.

---

[51] Thomas Goodwin, "*The Vanity of Thoughts*," in The Works of Thomas Goodwin, 12 vols. (Eureka, CA: Tanski Publications), 3:526–27

لا مَحَبَّةَ للهِ دُونَ عِبادَةِ يَسوعَ

الربُّ يسوع هو الإعلان الأكمل عن الله. قال الربُّ: ... اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ (يوحنَّا 9:14). وهذا يعني أنَّ معرفةَ الربِّ يسوع ومحبَّتَهُ هي معيارُ معرفةِ اللهِ ومحبَّتِهِ. ولهذا قال الربُّ: وَلَكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي أَنْفُسِكُمْ. أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي (يوحنَّا 5:42-43). لم يكن لمقاومي الربِّ يسوع محبَّةٌ لله داخل نفوسهم لأنَّهم لم يقبلوه. قال الربُّ: ... وَالَّذِي يُزْدِلُنِي يُزْدِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي (لوقا 16:10). لو أحبُّوا اللهَ بالفعلِ، كان لا بُدَّ أن يحبُّوا الربَّ يسوع. لماذا؟ لأنَّ الرَّبَّ بإعلانه جَعَلَ اللهَ معروفًا بأكثر وضوحٍ وبشكلٍ تامٍّ أكثر من أيِّ إعلانٍ آخر عن الله.

من أجل ذلك، كما يقول الربُّ فإنَّ المبرِّرَ الرئيس لمحبَّة الله **من كلِّ عقولنا** هو أنَّ العقل يملك القدرة على التفكير في يسوع المسيح، ومن ثَمَّ في الله. إن لم نستخدم عقولنا لنعرفَ ونفكِّرَ في الإعلان الأكمل عن الله في شخصِ وعملِ الربِّ يسوع، من المحال أن نعرفَ الله. وإن لم نعرفْه، لن نحبَّه. وإن كنَّا لا نحبُّه، من المحال أن نعبِّر عن قَدْرِهِ وسط كلِّ الأنشطة الأخرى لعقولنا.

من أجل ذلك، منحنا الله العقول حتَّى يتسنَّى لنا، بواسطة التفكير مع معونة الروح القدس، أن نعرفَ حقَّ وجمالَ وقَدْرَ اللهِ عن طريق يسوعَ المسيحِ ونعتزُّ به أكثر من أيِّ شيءٍ آخر ونقضي حياتنا مُغْرِبين عن هذا بأكبر عددٍ من الطرائق التي يمكن لعقولنا أن تفكِّرَ فيها، أو كما قلتُ في بداية هذا الفصل، تعني محبَّةُ الله من كلِّ العقل **انشغال تفكيرنا بالتمام للقيام بكلِّ ما يمكنه الإيقاظ والإعراب عن ملء الاعتزاز القلبيِّ لله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.**

إن سَادَتْ النِّسْبِيَّةُ، الكلُّ عَبَثٌ

إلاَّ أنَّ كلَّ شيء قُلْتُه إلى الآن لا مغزى له إن كانت المعرفةُ مستحيلةً أو أنَّه ما من شيءٍ هناك لنعرفه. إنَّ **هدفي** في إنعاش عزيمتك على السعي وراء معرفة الله بغرض محبَّته **عَبَثٌ** إن لم تكن هناك معرفةٌ كهذه عن الأمور الحقيقيَّة الموضوعيَّة والجديرة بالثقة. إلاَّ أنَّ الأفكارَ الأكثرَ شيوعًا اليوم أنَّ مِثْلَ هذه المعرفة مستحيلةٌ.

أحدُ أسماءِ هذا التوجُّه الفكريِّ هو **النسبيَّة**. في الفصلين التاليين، سأحاول شرح ماهيَّتها وما هو فكرُ الرَّبِّ عنها. في الفصل السابع، سأُبَيِّن بالحجج أنَّ النسبيَّةَ ليست مذهبًا آسِرًا من الناحيةِ العقليَّةِ ولا سليمًا من الناحية الأخلاقيَّة. إنَّها مُشْبِعَةٌ وجدانيًّا لأنَّها على ما تبدو تحمي فقط تفضيلاتي الشخصيَّة من التعرُّض لأيَّة أحكامٍ خارجيَّة. كان الربُّ يسوع يدرك نوعيَّة هذا الاستخدام المراوغ للعقل، ومن ثَمَّ، لم يَرُقْ له.

بعد ذلك، في الفصل الثامن، أحاول تحصينَ جهازك المناعيِّ ضدَّ الفيروس العقليِّ لمذهب النسبيَّة، إن كنْتَ تحبُّ ذلك، بترسيخ سبعة مظاهر مؤذيةٍ وغير أخلاقيَّة لمرضِ النسبيَّةِ.

مُواجَهَةُ
تَحَدِّي النِّسْبِيَّةِ

23وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ
وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ قَائِلِينَ: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ
هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟ 24فَأَجَابَ يَسُوعُ:
وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ
لَكُمْ أَنَا أَيْضًا بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا: 25مَعْمُودِيَّةُ
يُوحَنَّا مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟
فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ
لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ 26وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ
نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ.
27فَأَجَابُوا يَسُوعَ: لاَ نَعْلَمُ. فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: وَلاَ أَنَا
أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا.

(مَتَّى 21:23-27)

الفصل السابع

يُسُوعُ يَلْتَقِي النِّسْبِيِّين

من الأمور المفهومة ضمنًا في الفصل السابق الافتراض بأنَّ الله وطرقه أمورٌ قابلة للمعرفة، ليس تمامًا أو على نحوٍ شاملٍ هنا في هذه الحياة (1 كورنثوس 12:13)، لكن بحقٍّ (يوحنَّا 9:14). فالتفكير ليس مجرَّد تسليةٍ على مسرحٍ لحياةٍ خاليةٍ من أيِّ شيءٍ حقيقيٍّ. التفكيرُ مفيدٌ بالفعل في معرفة الله الكائن حقًّا في كلِّ مكانٍ. إنَّه معينٌ بالحقِّ في معرفة ما أعلنه الله عن نفسه والعالم، وكيف ينبغي لنا العيش فيه. وقد رأينا في الفصل الخامس كيف صَمَّمَ الله التفكير ليكونَ فعَّالاً في معرفة مجد المسيح في الإنجيل، الأمرُ الذي يعني أنَّ التفكير جوهريٌّ في الاهتداء للإيمان بالمسيح، وقبول الغفران من أجل خطايانا، وعطيَّة الحياة الأبديَّة.

النِّسْبِيَّةُ والحَقُّ

إلاَّ أنَّ هناك أناسًا يستخدمون عقولهم دائمًا بطريقةٍ أخرى. يزعم بعضُهم أنَّه لا يوجد أيُّ واقعٍ حقيقيٍّ أو موضوعيٍّ قابل للمعرفة خارج ذواتنا. ينادون بأنَّ تفكيرَنا لا يتيح لنا أيَّة معرفة مُعتمَدة عن الله أو أيِّ شيءٍ آخر خارجنا. في المقابل، تتيح ملاحظاتنا وتفكيرنا ببساطة فرصةً لظهور تعبيرات عن آرائنا وتفضيلاتنا الشخصيَّة أو المشتركة. ومن هنا، فإنَّ التفكيرَ لا يقودنا إلى حقٍّ كونيٍّ مُعتمَدٍ أو إلى جمالٍ أو صلاحٍ تحدِّدُه طبيعة

الله وإرادته. وإنَّما يقودنا إلى ما ندركه ونشعر به. إلاَّ أنَّ تلك التعبيرات لا ترقى إلى حقٍّ كونيٍّ مقبولٍ خارج ذواتنا.

أحدُ أسماء هذا الأسلوب في النظر إلى العالم هو **النِّسْبِيَّةُ**. في هذه النظرة، لا تشيرُ لفظة "**الحقُّ**"، إن حَدَثَ وتَمَّ استخدامُها، إلى أَيَّة بياناتٍ حقيقيَّةٍ كونيَّةٍ عن الله، والإنسان، والحياة. ربَّما تشير إلى استقامتك الداخليَّة الخاصَّة؛ أي تصرُّفك بما يتناغم مع العالم كما تراه. لكنَّها لا تشيرُ إلى حقٍّ بعينه ينبغي للجميع أن يقبله. فإن كانت هذه النظرةُ المنكِرَةُ للحقِّ حقيقيَّةً (هناك مشكلات حتَّى في نصِّ الكلام المعبِّر عن هذه الإشكاليَّة)، ما كان ينبغي لي، إذًا، أن أكتبَ هذا الكتاب بالطريقة التي أَكْتُبُه بها الآن.

مَا سَبَبُ أَهَمِّيَّةِ النِّسْبِيَّةِ؟!

غايتي هي تشجيعك على أن تجعل التفكير الجادَّ جزءًا مُهِمًّا في طريق سعيك وراء معرفة الله. وتستند هذه الغاية على قناعةٍ بأنَّ الله موجود وقد أعلن نفسه وإرادته بشكلٍ رئيسٍ في يسوع المسيح عبر الكتاب المقدَّس، كما أعلن أيضًا عن نفسه في عالمه. الله هو الحقُّ المطلقُ. ولا يتغيَّر أبدًا. ومن ثمَّ، هو أساسٌ ثابتٌ، كونيٌّ، عديمُ التَّغَيُّر بالنسبة إلى الحقِّ الذي يُعْلِنُه عن الإنسان، والعالم، والحياة. إنَّ اللهَ حَقٌّ بما هو عليه، وبما يقوله. وغايتي هي تشجيعُك على الترحيب بعمل التفكير كوسيلةٍ لمعرفةِ الحقِّ.

هذه الغايةُ لا مغزى لها إن لم يكنْ لِمِثْلِ هذا الحقِّ وجودٌ، أو أنَّه غيرُ قابل للمعرفة. لذلك، نِسْبِيَّةٌ من هذا النوع هي بوضوحٍ أمرٌ خاطئٌ، وفي الحقيقة، مؤذٍ للغاية. وبناءً عليه، ما أَوَدُّ القيام به في هذا الفصل، وما يليه، هو فحص ماهيَّة النِّسْبِيَّة، وما هو فكرُ الربِّ يسوع عنها، ولماذا تُعَدُّ مذهبًا شرِّيرًا للغاية.

تَفْكِيرٌ نِسْبِيٌّ صَحِيحٌ

دعنا نبدأ بالاتِّفاق على وجود شيءٍ كهذا، أي وجود معرفةٍ نِسْبِيَّةٍ. بل دعنا نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بالقول بأنَّ التفكير بهذه الطريقة - أي أنَّ التفكير بشكلٍ نسبيٍّ- ليس جيِّدًا فقط، بل لا غنى عنه.

على سبيل المثال، إن قُلْتُ إنَّ الرئيسَ الأمريكيَّ أوباما Barack Obama طويلٌ، فإنَّ هذا التصريح قد يكون صحيحًا أو لا يكون، أي أنَّه بيان نسبيٌّ وَفْقًا لارتباطه بمعايير القياس المختلفة. يكون القول صحيحًا بالنسبة إلى طولي. إلاَّ أنَّه غير صحيح بالقياس مع برج سيرز *Sears Tower*، أو الزراف. وهكذا نقرِّرُ بأنَّ قولنا: "باراك أوباما طويلٌ" هو قولٌ صحيحٌ، وغيرُ صحيحٍ تبعًا لمعيار القياس المُستخدَم في كلِّ مرَّةٍ.

هذا أسلوبٌ في التفكيرِ والكلامِ جيِّدٌ ولا غنى عنه. إن كنت عاجزًا عن التصريح ببيانات لكونها نسبيَّةً بهذا المعنى، قد تَتَّهِمُ بالخطأ أناسًا تكلَّموا فعلاً بالحقِّ لأنَّك لم تتبيَّن السياق أو المعيار الذي على قياسه صرَّحوا بهذه المزاعم.

يمكن تقديم أمثلة كثيرة على ذلك من أحاديثنا اليوميَّة. **كان أبي طاعنًا في السنِّ عندما رحلَ من عالمنا.** إنَّه قولٌ حقيقيٌّ مقارنةً بعمر الرجال، لكنَّه قولٌ غير حقيقيٍّ بالنسبة إلى عمر الحضارات أو إلى أشجار الرِّدْوُد *Redwood trees*. بالمثل التصريح **بأنَّ هذه السيَّارة كانت مُسرِعةً،** تصريحٌ حقيقيٌّ بالنسبة إلى حدِّ السرعة المسموح به، وهو 35 ميلاً في الساعة، إلاَّ أنَّه قولٌ غير حقيقيٍّ بالنسبة إلى سرعة السيَّارات في سباق ناسكار NASCAR. أيضًا قولنا **إنَّ صراخ ذلك الرضيع عالٍ،** هو قول حقٌّ بالنسبة إلى مستوى صوت الحوار البشريِّ العاديِّ، لكنَّه خطأٌ مقارنةً بصوت الرعد القاصِف، وهكذا.

السبب في أنَّنا لا نسمِّي هذه الطريقة في التفكير بالنِّسْبِيَّةِ [كمذهب] هو أنَّنا نفترض أنَّ مَن يصرِّح بأنَّ أوباما طويلٌ، ومَن يصرِّح بأنَّه قصيرٌ كلاهما يؤمن بوجود معيارٍ خارجيٍّ موضوعيٍّ لاعتماد ما يصرِّح به على أنَّه حقٌّ. بالنسبة إلى الأوَّل، المعيار هو الكائنات البشريَّة، بالنسبة إلى الثاني، ربَّما كان المعيار هو الزراف. إذًا ما أن يدرك أحد الاثنين معيار القياس الذي يستخدمه الآخر، يمكن أن يتَّفقا مع بعضهما البعض، أو يناقشا الأساس لمعيار القياس. وهذه المناقشة ليستْ بسبب النِّسْبِيَّةِ. في الحقيقة، إنَّها ممكنة فقط لرفض النِّسْبِيَّةِ من قِبَل المجادلين.

مَا هِي النِّسْبِيَّةُ؟

إذًا، ما هو الأسلوب النِّسْبِيُّ للتفكير الذي نطلق عليه "**النِّسْبِيَّة**" بشكلٍ اعتياديٍّ. نحن نتعامل مع النِّسْبِيَّةِ مَتَى نادى أحدهم بأيِّ أمرٍ من الأمور الأربعة:

- لا يوجد معيارٌ خارجيٌّ موضوعيٌّ لقياس حقٍّ أو بطلِ زعمٍ أو بيانٍ ما.
- ربَّما يوجد معيارٌ خارجيٌّ ما، لكن ليس في قدرتنا أن نَتَيَقَّنَ من وجودِهِ.
- يوجد معيارٌ موضوعيٌّ؛ نعلم بأنَّه موجود، لكن ما من أحدٍ بإمكانه أن يتبيَّن معناه، لذلك، لا يمكن له القيام بدوره بوصفه معيارًا مقبولاً بشكلٍ عالميٍّ.
- ربَّما يوجد معيارٌ خارجيٌّ موضوعيٌّ، لكن لا أبالي ما هو، ولن أخضع له، ولا أن يكون أساسًا لقناعاتي. أنا سأَخلُقُ المعايير الخاصَّة بي.

ربَّما تبدو مثل هذه البيانات ساذجةً ما دمنا نتحدَّث عن طول باراك أوباما. لكن، اِسمحْ لنا أن ننتقل إلى موضوعٍ جدليٍّ مثيرٍ وشديدِ الارتباطِ بعالمِ اليوم. تأمَّل معي هذا البيان: "العلاقات الجنسيَّة بين ذَكَرَينِ خطيَّة".

ربَّما يختلف اثنان بشأن هذا الأمر ومع ذلك لا يكونان من أتباع مذهب النِّسْبِيَّةِ. ربَّما يقولان: يوجد معيار خارجيٌّ موضوعيٌّ لتقييم هذا البيان، وبالتحديد، إرادة الله المُعلنَة في الكتاب المقدَّس المسيحيِّ الموحى به من الله. أو ربَّما يقول أحدهما: يعلِّم الكتاب المقدَّس بأنَّ هذه العلاقات خطيَّة، وربَّما يقول الآخر الكتاب يسمح بها. بإيجازٍ، كلُّ هذه الأقوال المحتملة ليستْ تعبيرًا عمَّا يُعرَف بالنِّسْبِيَّة.

تظهرُ النِّسْبِيَّةُ في المشهد عندما يقول أحدهم: "ليس هناك معيار خارجيٌّ موضوعيٌّ قابل للمعرفة ومقبول من الجميع ليحدِّد ما هو الصواب والخطأ. ومن هنا، فإنَّ تصريحك بأنَّ العلاقاتِ الجنسيَّةَ بين ذكرين خطيَّةٌ هو أمرٌ نِسْبِيٌّ حسب معيارك في التقييم والقياس، ولا يمكنك المطالبة بوجوب خضوع الآخرين لذلك المعيار في التقييم. هذا القول يمثِّل جوهر مذهب "النِّسْبِيَّة": ما من معيارٍ للحقِّ والباطل، للصواب والخطأ، للصالح والطالح، للجميل والقبيح، أي ما من معيارٍ بإمكانه أن يسبق أو يتفوَّق على أيِّ معيارٍ آخر. ما من معيارٍ مقبول ومُعتمَد بالنسبة إلى الجميع.

جَوهَرُ النِّسْبِيَّةِ

ما الذي يفترضه هذا الأمر بشأن الحقِّ؟ ربَّما يستنتج النِّسبِيُّون من هذا أنَّه لا يوجد مثل هذا الشيء الذي يمكن وصفه بأنَّه "الحقُّ". وإن وجِد فهو ببساطة قائمة مُربِكَة مُحَيِّرَة وغير مجدية حيث إنَّه لا توجد هناك معايير خارجيَّة موضوعيَّة مقبولة من الجميع. وربَّما يواصلون استخدام لفظة "**حقٌّ**" إلاَّ أنَّهم بكلِّ بساطة يقصدون بها ما **يؤكِّد** أو **يتماشى** مع **تفضيلات المرء الذاتيَّة**. وربَّما تفضِّل الكتاب المقدَّس، أو القرآن، أو كتاب المورمون *the Book of Mormon*، أو **الكتاب الأحمر الصغير** لماو *Mao's Little Red Book*، أو أقوال كونفشيوس Confucius، أو فلسفة

راند Ayn Rand، أو رغباتك الحاليَّة، أو أيًّا من مئات المعايير الأخرى. في تلك الحالة، سوف تسمع هذا الرَّدَّ: صحيحٌ بالنسبةِ إليكَ، لكن غير صحيحٍ بالنسبة إليَّ. هنا نحن نتعامل مع النِّسْبِيَّةِ.

إذًا، جوهرُ النِّسْبِيَّةِ بكلِّ إيجازٍ هو القناعة بأنَّ مزاعم الحقِّ، مثل القول: "العلاقات الجنسيَّة بين ذكرين خطيَّة"، لا تعتمد على معايير تقييم مقبولة من الكلِّ. لا توجد مثل هذه المعايير التي يمكن لنا أن نعرفها. والمفاهيمُ كالحقِّ والباطل، الصواب والخطأ، الصالح والطالح، الجميل والقبيح مجديةٌ فقط عند التعبير عن التفضيلات الشخصيَّة أو القيم المجتمعيَّة المتَّفق عليها، لكن لا يمكِنُ الادِّعاء بأنَّها تستند على معيارٍ مقبولٍ عالميًّا.

الرَّبُّ يَسوعُ يَلْتَقِي بِالنِّسْبِيِّين

ما الذي نجنيه إذًا من النِّسْبِيَّةِ؟ لماذا أفترضُ أنَّها طريقةٌ رديئةٌ في النظر إلى العالم؟ لنبدأ تقييمنا للنِّسْبِيَّةِ عن طريقِ حوارٍ بين الربِّ يسوع وبعض النِّسْبِيِّين العمليِّين الكلاسيكيِّين، ممَّن كانوا نِسْبِيِّين تمامًا لكن غير واعين بذواتهم، كانوا نِسْبِيِّين فعليًّا، ومن أكثر الأنواع شهرةً، وانتشارًا في كلِّ عصرٍ. سيكون من المفيد أن نراقب الربَّ يسوع وهو يلتقي بهؤلاء النِّسْبِيِّين. تأمَّل النصَّ الكتابيَّ التالي:

> 23وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ قَائِلِينَ: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟ 24فَأَجَابَ يَسُوعُ: وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضًا بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا: 25مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ 26وَإِنْ

قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ. 27فَأَجَابُوا يَسُوعَ: لاَ نَعْلَمُ. فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا (مَتَّى 21:23-27).

انْظُرْ بعنايةٍ إلى الطريقة التي يتعامل بها رئيسُ الكهنة والشيوخ مع الحقِّ. يطلبُ منهم الربُّ يسوع أن يتَّخذوا موقفًا بشأن بيان حقٍّ بسيطٍ: معموديَّة يوحنَّا إمَّا من السماء وإمَّا من الناس. جَاهِرُوا بما تؤمنوا أنَّه الحقُّ.

وهكذا، فَكَّرُوا: إنْ **قُلْنَا** إنَّ معموديَّة يوحنَّا مِنَ السَّمَاءِ نتعرَّضُ للخزي، لأنَّ يسوع سيُظْهِر أنَّنا منافقون. سوف يسأل لماذا لم نؤمن برسالته. سيكشف أنَّنا نظنُّ أنَّها من السماء، لكنَّنا **لم نكن محبِّين لها**. سنتعرَّض للخزي أمام الجموع.

"وإن قلنا إنَّها من الناس، ربَّما نتعرَّض لأذى الجموع، لأنَّ الكلَّ يؤمن أنَّ يوحنَّا كان نبيًّا. من الممكن أن يحدث عنفٌ غوغائيٌّ ضدَّنا. بناءً عليه، بما أنَّنا لا نرغب في التعرُّض للخزي، أو الأذى من قِبَل الغوغاء، فلن نقول بأنَّ أيًّا من البديلين صحيحٌ. سنقول ببساطة: إنَّنا لا نعلم."

ما الذي ينبغي لنا أن نخرج به من هذا؟ هذا الموقف لا يعبِّر عن **مذهب النِّسْبِيَّة** بشكلها الكامل. لكن ما نراه إلى حدٍّ ما هنا هو بذور **النِّسْبِيَّةِ**. إذ نرى هنا الطريقة التي يعمل بها الذهن الفاسد. لنربط بينه وبين الفصلين الرابع والخامس عن دور التفكير في نشأة الإيمان. ما رأيناه هناك أنَّ فِكْرَ العقلِ البشريِّ دون النعمة المغيِّرة فِكرٌ فاسدٌ، منحطٌّ، قاسٍ، مظلمٌ، وعقيمٌ (رومية 2:12؛ أَفَسُس 23:4؛ 1 تيموثاوس 5:6؛ رومية 28:1؛ 2 كورنثوس 4:4؛ أَفَسُس 17:4-18). لكنَّه مخلوقٌ بواسطة الله ليكتشفَ الحقَّ ويتجاوبَ معه بالثقةِ باللهِ ومحبَّةِ الآخرين.

إلاَّ أنَّ نصَّ (مَتَّى 21:23-27) صورةٌ لما أصبح العقلُ البشريُّ أسيرًا له بسبب الخطيَّة. لم يستخدم الشيوخ ورئيس الكهنة عقولهم جيِّدًا لصياغة إجابة سليمة عن سؤال الربِّ يسوع. كيف استخدموا عقولهم؟ آه! لقد

استخدموها بعنايةٍ. ما نراه هنا ليس أناسًا كان ينبغي لهم استخدام عقولهم في خدمة الحقِّ، للأسف، لم يستخدموها في هذا الشأن على الإطلاق. لقد استخدموا عقولهم بشكلٍ ثاقبٍ. يتيحُ لنا البشير مَتَّى أن نرى الأعمال الداخليَّة لمثل هذا التفكير. الكلُّ يفكِّرُ. والفرق هو: هل نفكِّر لخدمةِ الحقِّ أم بالطريقة التي فَكَّرَ بها رئيس الكهنة والشيوخ؟

مَنْطِقٌ واعٍ لإخْفَاءِ الحَقِّ

فكَّروا في الأمر بعنايةٍ: "لو قلنا كذا وكذا، سيحدث هذا وهذا. وإن قلنا خلاف كذا، سيحدث شيءٌ آخر". كانوا يفكِّرون بعنايةٍ. لماذا؟ هل لأنَّ الحقَّ على المحكِّ؟ لا! لأنَّ ما كان على المحكِّ هو الأنا: ذواتهم. لم يرغبوا في التعرُّض للخزي، ولا التعرُّض للأذى.

هذا ما رأيناه في الفصل الرابع. كان بإمكان الناس الخروج بخلاصات صحيحة عن حال الطقس من أمارات السماء لكن لم يكنْ بإمكانهم استخدام نفس العمليَّة المنطقيَّة لتمييز هويَّة الربِّ يسوع (مَتَّى 16:1-4). أرادوا الأمن في البحار. لكن لم يريدوا معرفة الربِّ يسوع بما كانت عليه هويَّته. وهكذا خرجتْ عقولُهم بنتائجَ صحيحةٍ عن حال الطقس لأنَّ ذواتهم كانتْ على المحكِّ. لقد أحبُّوا أمنهم المادِّيَّ، زاعمين بأنَّ ما لديهم من أدلَّة قليلٌ جدًّا على أن يدركوا ابن الله. لقد كان المسيح تهديدًا لرغباتهم إلى أقصى حدٍّ.

إذًا ماذا صارَ للعقلِ واللُّغةِ الخادمةِ له هنا في (مَتَّى 21:23-27)؟ لقد صار العقلُ عبدًا مراوغًا بارعًا لأهواء الشيوخ والكهنة. كما أسهمتْ اللُّغةُ بعمل غطاء مخادع للفسادِ. والحقُّ لا علاقةَ له هنا بإرشادهم في ما يقولون. بالنسبة إليهم ليس مُهِمًّا إن كانت معموديَّة يوحنَّا من السماء أم من الناس. الحقُّ ليس مهمًّا. المُهِمُّ هو ألاَّ يتعرَّضوا للخزي أو الأذى. وبناءً

عليه، سوف نستخدم لغةً تُخْفِي عدم اكتراثنا بالحقِّ كما تواري ولاءنا لآلهة الكبرياء والراحة؛ سوف نقولُ: لاَ نَعْلَمُ.

انْتَهَى الحِوارُ

كان ردُّ الربِّ يسوع مرتبطًا بشكلٍ قاطعٍ بالطريقة التي ينبغي أن نتعامل بها مع مثل هذه الازدواجيَّة. وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا. بتعبيرٍ آخر: "انتهى الحوار. ليس لديَّ أيَّة حوارات جادَّة مع أناسٍ مِثْلكم". يبغضُ الربُّ هذه النوعيَّة من الغطرسة، والمتاجرة بكلِّ جُبْنٍ بجميع الهبات المجيدة للتفكير البشريِّ واللغة البشريَّة.

نوَّهْتُ إلى أنَّ هذا النصَّ أعلاه يكشف **بذور** النِّسْبِيَّةِ. ما أعنيه هو: أحدُ بذور النسبيَّة هو رغبةُ الإنسان الخاطئة والدفينة ألاَّ يحكمه الله أو أيُّ معيارٍ ينادي بسلطانٍ إلهيٍّ. هذا التمرُّد الدفين والمتربِّع على العرشِ يمكنه التعبير عن ذاته بطرقٍ شتَّى. تقول إحداها ببساطة لله: لن أخضع لمعاييرك، لقد ابتَكَرْتُ المعايير الخاصَّة بي". وثمَّة طريقة أخرى للتمرُّد أكثر براعةً وشيوعًا تقول: "معايير الله ليس لها وجود، أو لا يمكن إدراكها، أو بالتحديد، ما من معيارٍ عالميٍّ مقبولٍ يمكنه تقييم سلوكي أو الحكم على تصرُّفاتي. لذلك، أنا حُرٌّ من أيَّة سلطةٍ خارج ذاتي. بإمكاني التصرُّف حسبما يروقُ لي". هذه هي بذور النِّسْبِيَّةِ. وهذا هو منبعها.

مَا مِنْ نِسْبِيٍّ فِي بَنْكٍ!

النِّسْبِيَّةُ ليست نظامًا فلسفيًّا متماسكًا. كما تعجُّ بالتناقضات المحيِّرة سواء المنطقيَّة أو الخبراتيَّة. طلاَّبُ السنة الثانية في الكلِّيَّةِ يدركون بأنَّ هناك شيئًا مريبًا عندما يصرِّحُ أحدهم بأنَّ: "كلُّ ما هو حقٌّ نسبيٌّ" تصريحٌ

حقيقيٌّ. ربَّما يعجزون عن ذِكْر قانون عدم التناقض، لأنَّهم مفطورون على التناقض، الذي يمكنهم الإحساس بعبيره في الهواء. الزعم بأنَّ بيانًا ما حقٌّ لكنَّه يبطِل كلَّ ما هو حقٌّ هو زعمٌ متناقضٌ في ذاته. وإن كنت تَزْعُم أنَّ دفاعك عن النِّسْبِيَّة نِسْبِيٌّ، لماذا تتوقَّع منِّي الاستماع لك؟!

يدرِكُ كلُّ رجال الأعمال بأنَّ النِّسْبِيِّين الفلسفيِّين يتركون سيَّارة نِسْبِيَّتِهم خارج باب البنك عندما يدخلونه ليقرأوا لغةَ العقُودِ التي سيوقِّعون عليها. إنَّ الناس لا تعتنق النِّسْبِيَّةَ لأنَّها مُشْبِعَة فلسفيًّا. لكنَّهم يرحِّبُون بها لأنَّها مُشْبِعَة وجدانيًّا وجسديًّا. فهي تزوِّدهم بالغطاء الذي يحتاجونه في لحظاتٍ مُهِمَّةٍ في حياتهم للقيام بما يشتهونه دون اقتحامٍ من أيَّةِ حقائق مُطلقة.

هذا ما نراه في رئيس الكهنة والشيوخ. إنَّهم لا يبالون بالحقِّ، وإنَّما بذواتهم. ولذلك، يستغلُّون كلَّ ما منحه الله لخدمةِ الحقِّ -التفكير واللغة- للمتاجرة الدنسة بهما كعبيدٍ لحمايةِ ذواتِهم. لقد فكَّروا في طريقةٍ للمراوغة والهرب، ثمَّ وظَّفوا اللغةَ لتجنُّب الخزي والأذى. إنَّ ترفيع الأنا هو الجذرُ العميق للنِّسْبِيَّةِ.

النِّسْبِيَّةُ عدوُّ الاستخدام النبيل للعقل. إنَّها شيءٌ ينبغي لنا أن نتجنَّبه ونرثي على حال أنفسنا بسببِهِ، ونجاهِدَ روحيًّا للانتصار عليه. أحدُ الطرائق التي يمكن أن نحرزَ بها تقدُّمًا لحماية أنفسنا والأجيال التالية أيضًا من اعتناق النِّسْبِيَّةِ هي بأن نُظْهِرَ إلى أيِّ مَدًى تأثيراتها شرِّيرةٌ ومدمِّرةٌ. من هذا المنطلق ننتقلُ إلى الفصلِ التالي.

ما من فرقٍ يُذْكَرُ بالنسبةِ إلى الواعظِ المعاصرِ في أن يؤكِّدَ قَدْرًا كبيرًا أو قليلاً من قوانين إيمانِ الكنيسةِ... ربَّما يؤكِّد على سبيل المثال كلَّ نقطةٍ أو عنوانٍ من إقرارِ إيمانِ وستمنستر، إلاَّ أنَّه منفصلٌ بِهُوَّةٍ عظيمةٍ عن الإيمان المُصْلَح. ما يَتِمُّ إنكاره ليس جزءًا مقابل تأكيدِ الباقي؛ بل يَتِمُّ إنكارُ الكلِّ، لأنَّ الكلَّ يَتِمُّ تأكيده فقط بوصفِهِ مفيدًا أو رمزيًّا لا باعتبارِهِ حقيقيًّا.

چ. جرشام ميتشن

الفصل الثامن

انْحِطَاطُ النِّسْبِيَّةِ

غايتي في هذا الكتابِ هو إنعاشُك للقيام بجَهَدٍ تفكيريٍّ في سعيك وراء الله. وكما رأينا في الفصل السابق، تَحُطُّ النِّسْبِيَّةُ من قَدْرِ هذا الجهدِ. إذ تختطفُ الخادمَ الفَرِحَ بالحقِّ لتجعله خادمًا لكبرياء وملذَّات النِّسْبِيِّين البراجماتيِّين غيرِ المبالين بالسعي وراء الحقِّ، ممَّن يجعلون إنكارَهم للحَقِّ وسيلةً لخدمةِ ذواتِهم. وبناءً عليه، ما أحاولُ القيامَ به في هذا الفصل هو تقويةُ مناعتِك ببناءِ الأجسام المضادَّة للنِّسْبِيَّةِ، وذلك بوصف سبعة أمور مؤذية وغير أخلاقيَّة عنها، مواصلاً البناءَ على ما قدَّمته من تعريفٍ وشرحٍ عنها في الفصل السابع.

1- النِّسْبِيَّةُ والخِيانَةُ

النِّسْبِيَّةُ تمرُّدٌ على واقعِ الله الموضوعيِّ. فالوجودُ المطلق لله يتيحُ الإمكانيَّةَ لوجودِ الحقِّ. الله هو المعيار النهائيُّ والتامُّ لأيَّة مزاعم عن الحقِّ: من هو، ماذا يريد، وماذا يقول، كلُّها أمورٌ تمثِّل المعيار الموضوعيَّ الخارجيَّ لقياس باقي الأمور. عندما تنادي النِّسْبِيَّةُ بعدم وجودِ معيارٍ مقبولٍ عالميًّا لتمييز الحقِّ والباطل، فهي تتحدَّث كما لو أنَّها شخصٌ مُلْحِدٌ. ومن ثمَّ، تقترفُ خيانَةً ضدَّ الله.

في رسالة معلّمنا يعقوب نرى آليَّات الخيانة في ما يرتبط بناموسِ اللهِ: لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. لماذا؟ "لأَنَّ الَّذِي قَالَ: لاَ تَزْنِ قَالَ أَيْضًا: لاَ تَقْتُلْ... (يعقوب 2:10-11). مفتاحُ الجدلِ لمعلّمنا يعقوب هنا هو في أنَّه يربط علاقتنا بناموس الله بعلاقتنا مع الله ذاته. فالسَّبَبُ في أنَّ إخفاقك في نقطةٍ واحدةٍ يجعلُك مجرمًا في الكلِّ هو بذاته نفس الإله الذي أعطى الناموس، فالتمرُّد على الناموس يعني تمرُّدًا على الله.

النِّسْبِيَّةُ هي تمرُّدٌ واسِعُ الانتشارِ ضدَّ مبدأ ناموس الله ذاته. من أجل ذلك، هي تمرُّدٌ خَفِيٌّ ضدَّ الله. هي خيانةٌ أسوأ من التمرُّد الصَّريح، لأنَّها مُراوِغَةٌ. بدلاً من قولها لله مباشرةً: "كلامُك باطلٌ"، تخاطِبُ الإنسان: "لا يوجد مثل هذا الشيء الموصوف بأنَّه كلمةُ الله المُلْزِمَةُ عالميًّا". وتصريحٌ كهذا خيانةٌ ضدَّ مَلِكِ الكَونِ.

آه، كم ينبغي لنا أن نكون شاكرين أنَّ الملكَ يُصَرِّح بعفوٍ عامٍّ لكلِّ عالم الخَونَةِ. لقد كنَّا ذات مرَّةٍ كلُّنا غارقين في هذا النوع من التمرُّد على حقِّ الله وجمالِهِ. إلاَّ أنَّ الله أرسل ابنَه يسوع المسيح ليقتني من أجلنا هذا العفو بحياته، ويُصَرِّح به في كلمته: لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ (مرقس 10:45). اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالِابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالِابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ (يوحنَّا 3:36). بالنسبة إلى كلِّ واحدٍ منَّا، بما في ذلك النسبيُّون، يرجِعُ عن خيانته ويَثِقُ بالرَّبِّ يسوعَ، لا يمْكُث عليه غضب الله، بل يَنْعَمُ بالحياة الأبديَّة.

2- النِّسْبِيَّةُ والازْدواجِيَّةُ

يَعْلَمُ كلُّ واحدٍ في قلبه أنَّ الإيمان بالنِّسْبِيَّةِ كما لو أنَّها مذهبٌ حقيقيٌّ هو إيمانٌ متناقضٌ، ويَعْلَمُ كلُّ واحدٍ أيضًا بشكلٍ فطريٍّ أنَّه ما من أحدٍ يحاول حتَّى ممارستها عمليًّا بشكلٍ متَّسِقٍ. وبناءً عليه، سواء فلسفيًّا أو عمليًّا، تَدْعَمُ النِّسْبِيَّةُ الازْدواجِيَّةَ. فالناسُ يقولون بأنَّهم يؤمنون بها إلاَّ أنَّهم لا يفكِّرون أو يسلكون بما ينادون. وهكذا، نَجِدهُم منافقين.

النِّسْبِيَّةُ متناقضةٌ في ذاتها لأنَّ عمليَّةَ التفكيرِ بعينها عن النِّسْبِيَّةِ تقودُك إلى حقائقَ أنت لا تتعامل معها بوصفها نِسْبِيَّةً. يوظِّف المؤمنون بالنِّسْبِيَّةِ قانون عدم التناقض وقانون السبب والنتيجة حين يتحدَّثون عن إيمانهم بالنِّسْبِيَّةِ وعلاقته بالعالم. إلاَّ أنَّ هذه القوانين ليست نِسْبِيَّةً.

على سبيل المثال، عندما يقولون: "ليس هناك معيارٌ مقبولٌ بشكلٍ عالميٍّ لما هو حقيقيٌّ"، يفترضون وجود عدَّة معايير عالميَّة. أحدها هو قانون السبب والنتيجة: يؤمنون أنَّه بنطقِ هذه الجملة، يُخْلَقُ سَبَبٌ سوف تَتَرَتَّبُ عليه نتائج معيَّنة. لا يؤمنون أنَّ الكلام بما في عقولهم لا مغزى منه. النتائج تنبع من أسبابٍ كافية. هذا حقٌّ كونيٌّ عالميٌّ يعيشون به، بما في ذلك الكلام الذي ينكرُ هذا الحقَّ.

قانونٌ عالميٌّ آخر يفترضونه في أثناء إنكارهم وجود معايير عالميَّة هو قانون عدم التناقض، وتحديدًا: تأكيدُ افتراضٍ ما بعينه هو إنكارٌ ضمنيٌّ لنقيضِهِ. جملة "افعل هذا" لا تعني "لا تفعل هذا". وبيان أنَّ "الله موجود" لا يعني أنَّ "الله غير موجود". لا يمكن للبيانَينِ: "الله موجود"، و"الله غير موجود" أن يكونا صحيحين بنفس الطريقة وفي نفس الوقت. عندما يقولون: "ليس هناك معيارٌ مقبولٌ بشكلٍ عالميٍّ لما هو صائب"، يفترضون أنَّ ذلك لا يعني نقيضه. أي أنَّه لا يعني بأنَّ: "هناك معايير مقبولة عالميًّا لما هو صائبٌ". يتمسَّكون بقانون عدم التناقض.

بتعبيرٍ آخر، بعيدًا عن أيَّة معايير عالميَّة، فإنَّ من يؤمنون بالنِّسْبِيَّةِ ليس بإمكانهم حتَّى صياغة المقدِّمات [المعطيات، أو الأسباب]، والنتائج التي يقولون إنَّها تقودهم إلى النِّسْبِيَّةِ. يا لها من ازدواجيَّةٍ عميقةٍ! وعندما يمارسها أحدٌ بكامل وعيه، فإنَّ ما يمارسه انحطاطٌ. كما في القصَّة الخياليَّة، الملك يواصل موكبه مؤكِّدًا أنَّه يرتدي ملابسَهُ الجديدةَ، مع أنَّه يدرِكُ تمامًا أنَّه عريانٌ.[52] على نفس القياس يواصل الناس كلامهم بأنَّ الكلَّ نسبيٌّ، في حين يَعْلَمُون بأنَّ تفكيرهم بعينه وأحاديثهم تنطوي على مبادئ ليستْ نِسْبِيَّةً.

كَارنِل عَنْ البُعْدِ الأَخلاَقِيِّ لِلعَقلاَنِيَّةِ

في سنة 1957م نَشَرَ كارنل Edward John Carnell كتابًا قويًّا بعنوان: "**التزامٌ مسيحيٌّ: دِفَاعيٌّ**". إلى جانب الأسفار المقدَّسة، فتح هذا الكتاب عيوني إلى أقصى درجة على البعد الأخلاقيِّ للتفكير العقليِّ. بتعبيرٍ آخر، كما وَضَّح كارنل بأنَّ المرء في حال كونه غير عقلانيٍّ يراوده إحساسٌ عميقٌ بأنَّه ليس أخلاقيًّا. تجاوز كارنِل ما قاله رينيه ديكارت: "أنا أفكِّر إذًا أنا موجود"، ونادى: "أنا أفكِّر إذًا أنا مُجْبَرٌ أخلاقيًّا على التسليم بحقيقة وجودي".[53] الوجود الإنسانيُّ والاستدلال المنطقيُّ أخلاقيٌّ في حدِّ ذاتِهِ. يشرحُ كارنل الأمر على هذا النحو:

> عندما حاول أرسطو أن يَدحَضَ مذهبَ الشَّكِّ، مع أنَّه واجه حقيقة مُحْبِطَة في أنَّ أتباعَ المذهب قد **استخدموا** قانون

---

[52] جملة لپاپير للتعبير عن السخرية بناءً على قصَّةٍ للكاتب الدانماركيّ هانز كريستيان أندرسون بعنوان "ملابس الملك الجديدة"، يمكن القارئ الاطِّلاع عليها عبر شبكة الإنترنت، المُترجِم.

[53] Edward John Carnell, *Christian Commitment: An Apologetic* (New York: Macmillan, 1957), 37.

التناقض **لإنكار** قانون التناقض... بعد استنفاذ كلِّ قدراته الجَدَلِيَّة، اضطرَّ أرسطو للقبول بهذه الحقيقة في أنَّ الرجال ذوي الأخلاق هم من يمكنهم فقط الإحاطة بالمطلقات العقليَّة... إنَّ أرسطو، مثل كانط، ينير الحقيقة بأنَّ الحياة العقليَّة لا يمكن أن تنجَحَ دون أن تكون الحياة الأخلاقيَّة ثابتةً.[54]

أَلْعَابٌ يَلْعَبُها الأَسَاتِذَةُ

البُعْدُ الأخلاقيُّ للنِّسْبِيَّةِ يكونُ أكثرَ وضوحًا عندما يحيا النِّسبِيُّون حياتهم. لأنَّهم لا يعيشونها بكلِّ بساطةٍ كما لو أنَّ النِّسْبِيَّةَ حقيقيَّةٌ. ربَّما يمثِّل أساتذة الكلِّيَّات مسرحيَّةً أكاديميَّةً عن النِّسْبِيَّةِ في الموادِّ التعليميَّة الخاصَّة بهم، لكن بعد العودة إلى بيوتهم ينزعجون حين لا تفهم زوجاتهم ما يقولونه. لماذا؟ لأنَّهم يدركون بأنَّ هناك معنًى موضوعيًّا يمكن نقله بين أيِّ اثنين من البشر، وعلينا التزامٌ أخلاقيٌّ لإدراكِ المعنى المقصود.

ما من زوجٍ يقولُ قَطْ لزوجته: "بما أنَّ كلَّ حقٍّ ولغةٍ أمران نِسْبِيَّان، فليستْ مُهِمَّةً طريقةُ تفسيرِك لدعوتي بأن نقضي معًا ليلةً حميمةً". لُغَويًّا، عندما نكتبُ رسائلَ محبَّةٍ، أو عقودَ إيجارٍ، أو تعليماتٍ لأطفالنا، أو توجيهاتٍ لصديقٍ، أو نبذاتٍ، أو عظاتٍ، أو كلماتٍ للنَّعْي، فإنَّنا نُؤْمِن بوجود معنًى موضوعيٍّ في ما نكتبه، كما نتوقَّع أنَّ النَّاسَ سيحاولون فهم هذا المعنى. بل إنَّنا نعتبرهم تحت المساءلة إن لم يحاولوا فهم ما دوَّناه، بل إنَّنا سننزعج إن لم يحاولوا القيام بذلك.

ما من أحدٍ نِسْبِيٍّ عند فحص قضيَّته في ساحات القضاء مَتَى كانتْ براءتُه الموضوعيَّة متوقِّفةً على الدليل الموضوعيِّ. إنَّ نظامَ النِّسْبِيَّةِ بكامله

[54] Ibid., 39–41.

باعثٌ فاسدٌ أخلاقيًا. يدفعُ بالمَرْءِ إلى الازدواجيَّةِ والنفاقِ. هي خدعةٌ كبيرةٌ. وما هو مطلوبٌ في يومنا هذا بالنسبة إلى أطفالٍ كثيرين يتَّسمُون بالشجاعةِ والصراحةِ هو أن ينهضوا كما في القصَّة الخياليَّة ليقولوا الحقيقة: "إنَّ المَلِكَ عارٍ".[55]

3- النِّسْبِيَّةُ رِدَّةٌ عقيديَّةٌ

أحدُ التأثيراتِ المأساويَّةِ للنِّسْبِيَّةِ تأثيرُها على اللُّغة. في أيِّ مجتمعٍ حضاريٍّ يُنظر إلى الحقِّ بعين الاعتبار بوصفِهِ أمرًا موضوعيًّا خارجيًّا قَيِّمًا، تحتلُّ اللغة مكانةً مرموقةً لتوصيل الحقِّ الثمين والتعبير عنه. في الحقيقةِ، يُقَيَّم استخدامُ المرءِ للُّغة على أساس مدى مطابقة اللغة لحقيقة الواقع الذي يعبِّر عنه.

لكن عندما يتلاشى الحقُّ الموضوعيُّ في ضباب النِّسْبِيَّةِ، يتغيَّر دور اللُّغة بشكلٍ جذريٍّ. لا تُعَدُّ اللغةُ في ما بعد الخادم المتَّضع للتعبير عن الحقِّ الثمين. بل تطرحُ نيرَ الخدمةِ لتنفردَ بقدرةٍ خاصَّةٍ بها. لا تخضعُ للواقع الخارجيِّ الموضوعيِّ. بل تخلُقُ واقعًا خاصًّا بها. لا تسهمُ بعد في الإعلان عن الحقِّ. بل تسعى للتعبير عن التفضيلات الشخصيَّة للمتكلِّم.

يتيح هذا الأمر فرصةً لظهور كلِّ أساليب اللفِّ والدوران، إذْ لم يَعُدْ هدفُ اللغةُ التواصل المرتبط بالواقع بل التلاعب بالواقع. لأنَّ اللغة لا تقومُ بعد بدروها مستخدمة قدرتها المجيدة على تثبيت الحقِّ والقبول به. بل تقوم الآن بقدرتها المخادِعة على إخفاء تخلّيها عن الحقِّ.

[55] جملة لپايپر بناءً على قصَّة هانز كريستيان أندرسون بعنوان "ملابس الملك الجديدة"، يمكن القارئ الاطِّلاع عليها عبر شبكة الإنترنت، المُترجِم.

ميشن واللُّغَةُ

في سنةِ 1925م، وَصَفَ ميشن Machen هذا الفسادَ اللغويَّ للنِّسْبِيَّةِ في ما يرتبط بقوانين الإيمان المسيحيِّ وإقراراته.

> ما من فرقٍ يُذْكَرُ بالنسبةِ إلى الواعظِ المعاصرِ في أن يؤكِّد قَدْرًا كبيرًا أو قليلاً من قوانين إيمانِ الكنيسةِ... ربَّما يُؤكِّد على سبيل المثال كلَّ نقطةٍ أو عنوانٍ من إقرارِ إيمانِ وستمنستر، إلاَّ أنَّه منفصلٌ بِهُوَّةٍ عظيمةٍ عن الإيمانِ المُصْلَح. ما يَتِمُّ إنكارُه ليس جزءًا مقابل تأكيدِ الباقِي؛ بل يَتِمُّ إنكارُ الكلِّ، لأنَّ الكلَّ يَتِمُّ تأكيدُه فقط بوصفِهِ مفيدًا أو رمزيًّا لا باعتبارِهِ حقيقيًّا.[56]

هذه النظرةُ النفعيَّةُ للُّغةِ هي ثمرةٌ مباشرةٌ للنِّسْبِيَّةِ. تقود النِّسْبِيَّةُ إلى كلامٍ مراوغٍ، يكثرُ فيه الالتباسُ ممَّا يتيحُ لمن يؤمنُ بالنِّسْبِيَّةِ بأن يتسبَّبَ في تضليل الناس بدفعهم للاعتقادِ بأنَّه لا يزال مستقيمًا في التعليم. إليك هنا وَصْفُ ميشن العصريُّ المذهلُ والمعاصرُ للإطار الفكريِّ النابع من النِّسْبِيَّةِ:

> هذا التَّوجُّهُ للفكرِ [النابع من النِّسْبِيَّةِ] مُعادٍ للتعريفات الدقيقة. وفي الحقيقة، ما من شيءٍ يجعلُ المَرْءَ غير محبوبٍ بشكلٍ كبيرٍ في مجادلات اليوم الحاضر سوى إصرارٍ على تعريفِ المصطلحاتِ... يتحدَّث الناس بفصاحةٍ كبيرةٍ اليوم عن موضوعاتٍ ترتبطُ باللهِ، والمسيحيَّة، والدين، والكفَّارة، والفداء، والإيمان. لكن يشعرون

[56] J. Gresham Machen, *What Is Faith?* (1925; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1991), 34.

بالاستياءِ مَتَى طُلِبَتْ منهم المجاهرةُ بلغةٍ بسيطةٍ ما الذي يقصدونه بهذه المصطلحات.[57]

بكلِّ هذه الطرائق، تُفْسِد النِّسْبِيَّةُ الدعوةَ السَّامِيَةَ للُّغةِ، وتُحوِّلها إلى متآمِرٍ يسهمُ في إخفاءِ الارتداد العقيديِّ لمن يفتقرون إلى الشجاعةِ للقيامِ علانيةً بإنكار الإيمان الإنجيليِّ التاريخيِّ.

هذا هو المقابلُ الدقيقُ لما اتَّسَم به الرسول بولس من التزامٍ بشأن الطريقة التي استخدَمَ بها اللغةَ. يقول الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس: بَلْ قَدْ رَفَضْنَا خَفَايَا الْخِزْيِ، غَيْرَ سَالِكِينَ فِي مَكْرٍ، وَلاَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، بَلْ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ، مَادِحِينَ أَنْفُسَنَا لَدَى ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ قُدَّامَ اللهِ (2 كورنثوس 2:4) آهٍ، لَيْتَ كلَّ كنيسةٍ، ومعهدٍ لاهوتيٍّ، وطائفةٍ تسمحُ لهذا النصِّ أن يتصدَّر كلَّ كلمةِ وعظٍ، أو كلَّ تعليمٍ، أو مناقشةٍ، أو أيَّةَ كلمةٍ مكتوبةٍ.

4- تُخْفِي النِّسْبِيَّةُ الطَّمَعَ بعباءةِ التَّمَلُّقِ

بكلِّ وضوحٍ، وبساطةٍ اتُّهِمَ الرسول بولس في تسالونيكي برغبته في المال من جيوب التائبين الجدد إلى الإيمان. وعندما ردَّ على هذه التهمة، أظهر ارتباطًا بين التَّمَلُّقِ والطَّمَعِ:

> لأَنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلاَلٍ، وَلاَ عَنْ دَنَسٍ، وَلاَ بِمَكْرٍ، بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلاَمِ **تَمَلُّقٍ** كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلاَ فِي **عِلَّةِ طَمَعٍ**. اللهُ شَاهِدٌ (1 تسالونيكي 2:3-5).

[57] Ibid., 13–14.

ما هو التملُّقُ؟ هو استعمالُ المَرْءِ للُّغة بشكلٍ يُشْعِرُ الآخرَ بإحساسٍ جيِّدٍ عنه بُغْيَةَ في الحصول على ما يريدُ. يَصِفُ الرسول بولس التملُّقَ بأنَّه **علَّةٌ للطَّمَعِ**. عندما تُبْطِلُ النِّسْبِيَّةُ الحقَّ بوصفِهِ الحاكمَ للُّغة، تَنْعدِمُ قيمةُ اللُّغةِ. إن كان في قدرتِنا اقتناء المزيد من المال بإخبارِ الناس بما يحبُّون سماعَه، سنقدِّمُ لهم ما يريدونه.

النِّسْبِيَّةُ هي الجوُّ الملائم لتحويل اللُّغة إلى علَّةٍ للطمعِ بتملُّق الناس بما يحبُّون سماعه. لم يفاجئ هذا الأمرُ الرسولَ بولس في كلامِهِ إلى تلميذه تيموثاوس: لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ (2 تيموثاوس 4:3-4). وهكذا، تصيرُ اللُّغةُ الخادم المتملّق لأهواء الناس، وليست خادمًا للحقِّ. هذا ما تفعلُه النِّسْبِيَّةُ.

إزاء ما تحضُّ عليه النِّسْبِيَّةُ، يحدِّد الرسولُ بولس موقفَهُ، مشجِّعًا إيَّانا على اتِّباعه: لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لَكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 17:2). هناك واقعٌ موضوعيٌّ اسمُهُ كلمة الله. نحن لا نَغُشُّ أو نتاجِر بتلك الكلمة. بل نتكلَّم أمام اللهِ.

5- تُخْفِي النِّسْبِيَّةُ الكِبْرِيَاءَ بِقِنَاعِ التَّوَاضُعِ

في التاسع من شهر سبتمبر سنة 1999م، في جريدة منياپولِس ستار تريبيون *Minneapolis Star Tribune* بدأتْ كلمةُ الجريدةِ الافتتاحيَّة بالقول: "لا بُدَّ على المسيحيِّين أن يهجروا فكرةَ أنَّ اليهودَ ينبغي لهم الاهتداء إلى الإيمان المسيحيِّ. إنَّ تلك الفكرةَ... واحدةٌ من أكثر الفضائح

هولاً في التاريخ".[58] وبناءً عليه، كتبتُ خطابًا لمحرِّر الجريدة معترضًا لو أنَّ "مَنْ لَهُ الِابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ" (1 يوحنَّا 12:5)، لا يُعَدُّ الأمرُ فضيحةً. بالأحرى، إنَّها محبَّةُ الله التي تَحُضُّ المسيحيِّين على مناشدةِ الشعبِ اليهوديِّ أن يَقْبَلَ يسوعَ بوصفِهِ المسيحَ.

أثارَ الخطابُ رَدَّ فعلٍ لاذعٍ من رعاة أربع كنائس كبيرة وسط المدينة، كان الردُّ يقول: "لسوء الحظِّ، لفظة "عجرفة" هي اللفظة المناسبة لوصف أَيَّة محاولات للتبشير، أي جهود المسيحيِّين لربح إخوانهم وأخواتهم اليهود للمسيح. والمسيحيُّون العقلاء ينأون بأنفسهم عن مثل هذه المجهودات".

المغزى من هذه القصَّة هو أنَّه إن كنت تؤمن بحقٍّ لا بُدَّ للناس أن يقبلوه لكي يخلصوا، سوف توصف بأنَّك متعجرف. من ناحيةٍ أخرى، يتمُّ تقديم النِّسْبِيَّة بوصفها سمةً على الاتِّضاع. في حين أنَّها ليست كذلك. لا أعني القول بأنَّ كلَّ مَن لا يؤمنون بالنِّسْبِيَّةِ متَّضعون. بكلِّ تأكيدٍ لسنا كذلك. نحن خطاة في حاجةٍ إلى نعمة الله. لكن ما أريد قوله بالفعل هو إنَّ النِّسْبِيَّةَ تبدو فقط متَّضعة، إلاَّ أنَّ اتِّضاعها ليس سوى عباءةً للكبرياء.

كيف تَتَعَطَّفُ النِّسْبِيَّةُ بالكِبْرِيَاءِ

إنَّها تعملُ على هذا النحو. إنَّ الحقَّ، المتأصِّل في حقيقة الله الموضوعيَّة، هو واقعٌ هائلٌ عديمُ التغيُّر، ومن ثَمَّ لا بُدَّ علينا، باعتبارنا كائنات بشريَّة ضئيلة، أن نخضعَ له. ومعرفة هذا الحقِّ هو مَهَمَّةٌ متواضعةٌ بوضعِ ذواتنا تحت هذا الواقع والخضوع له. **الْفَهْمُ** بشكلٍ حرفيٍّ هو أن نتَبَنَّى توجُّهًا متواضعًا بالوقوف تحت الحقِّ والسماحِ له بأن يكون معيارَنا.

[58] Minneapolis Star Tribune, September 9, 1999, A20

فإن كنَّا لم نخلُقْ الواقعَ، بل الله هو من خَلَقَهُ، إذًا كلَّما عرفنا عن هذا الواقعِ أكثر، تَعَيَّنَ علينا أكثر أن نُكَيِّفَ عقولَنا وحياتَنا وَفْقًا له. إن حاولنا إنكارَ هذا الواقع، للأسف، الكلمةُ الأخيرةُ لن تكون لنا بل له. ربَّما نحاول رفضَ القانون الموضوعيِّ للجاذبيَّة، لكن إن حاولنا التخلُّص من توجُّهاتنا المتواضعة بالخضوع لهذا القانون، وشرعنا في القفز خارج أيَّة نافذة، سوف تنكشف خيانتنا سريعًا بوصفها حماقةً.

ماذا عن النِّسْبِيَّةِ؟ تتظاهرُ كالمتَّضع بالقول: "نحن فقط بشرٌ فانون، ليس في قدرتِنا معرفة ما هو الحقُّ، أو حتَّى إن كان هناك حقٌّ عالميٌّ". يبدو هذا اتِّجاهًا متواضعًا. لكن انظر بعناية إلى ما يحدثُ. إنَّه مِثْلُ عَبْدٍ يقولُ: "لست ذكيًّا بما يكفي لأعرف أيَّ امْرِءٍ هنا هو سيِّدي، أو إن كان لديَّ سيِّدٌ أم لا". النتيجة هي أنَّه ليس مضطرًّا للخضوعِ لأيِّ أحدٍ، والأكثر، أنَّ بإمكانه أن يصبح سيِّدًا لنفسه. ضعفُهُ المتبجِّح حيلةٌ يخْفِي بها تمرُّدَه على سيِّدِهِ.

هذا ما يحدُثُ في الحقيقةِ للنِّسبِيِّين: في الادِّعاء بأنَّهم في غاية البساطة حتَّى أنَّهم يعجزون عن معرفة الحقِّ، ينأون بذواتِهم كحاكمٍ سامٍ عمَّا يمكنهم التفكير فيه أو القيام به. هذا ليس اتِّضاعًا، بل توجُّهٌ متأصِّلٌ في رغبةٍ عميقةٍ بألاَّ يكونوا خاضعين لما يطالبنا به الحقُّ. الوصفُ الحقيقيُّ لما يفعلونه هو الكبرياءُ. والطريقةُ الوحيدةُ التي يمكنُ بها الانتصار على الكبرياءِ داخلنا هي، بالنسبةِ إلينا، أن نؤمنَ بالحقِّ ونَنْسَحِقَ أمامه حتَّى يتسنَّى له أن يحكُمَنا لا أن نَحْكُمَ عليه.[59]

---

[59] كتب شسترتون G. K. Chesterton فيما يزيد عن مئة سنة (1908م): "ما نعاني منه اليوم هو اتِّضاعٌ في الموضع الخاطئ. لقد انتقل التواضع من وسيلةٍ للرجاء، ليستقرَّ كوسيلةٍ للإدانة؛ ولم يكن مقصودًا له ذلك. المقصود للإنسان أن يكون شكَّاكًا في نفسه، لا أن يشكَّ في الحقِّ؛ لكنَّ هذا ما انعكس تمامًا. في هذه الأيَّام، الجزء الذي يؤكِّده الإنسان بالفعل هو الجزء الذي لا ينبغي تأكيده: ذاته. والجزء الذي يشكُّ فيه هو بعينه الجزء الذي لا ينبغي أن يشكَّ فيه: المنطق الإلهيُّ... نحن على الطريق لإنتاج سلالة بشريَّة وضيعة عقليًّا حتَّى أنَّها تعجزُ عن الإيمانِ بجدول الضرب".

تسمحُ النِّسْبِيَّةُ للكبرياءِ بارتداءِ ثياب التواضع والتباهي به عبر الشوارع. لكن لا تضلُّوا. تختارُ النِّسْبِيَّةُ كلَّ منعطفٍ، كلَّ خطوةٍ، كلَّ شارعٍ تبعًا لتفضيلاته الذاتيَّة الخاصَّة، دون خضوعٍ لأيِّ حقٍّ. سوف نخدُمُ جيلَنا جيِّدًا بفضحِ الذات المتفاخرة تحت ثيابِ الاتِّضاع.[60]

6- النِّسْبِيَّةُ تَسْتَعْبِدُ النَّاسَ

في بشارة الرسول يوحنَّا، قال الربُّ يسوع: إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (يوحنَّا 31:8-32). إن رحَّبنا بنظرةٍ عن الحقِّ تجعلُهُ بعيدَ المنال أو غيرَ موجودٍ، فإنَّنا بذلك نخلُقُ نوعًا من المسيحيَّة عبارة عن مستعمرةٍ من العبيدِ. لا يتحَرَّرُ النَّاس من الخطيَّة والموت بضبابيَّة النِّسْبِيَّةِ. بل يَبْقَى الناسُ فيها مُكَبَّلين بالقيودِ.

إلاَّ أنَّه يوجدُ علاجٌ بلسان الربِّ: قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ (يوحنَّا 17:17). إن ضُلِّلَ الناسُ عنْ محبَّةِ الحقِّ، لن يتحرَّرُوا، لن يتقدَّسُوا، وفي النهاية يهلكون. يقول الرسول بولس إنَّ البعض سيهلكون: ... لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا **مَحَبَّةَ الْحَقِّ** حَتَّى يَخْلُصُوا (2 تسالونيكي 10:2). نحن لا نلعب ألعابًا. إنَّ النِّسْبِيَّةَ تضَلِّلُ الناس بعيدًا عن مَحَبَّةِ الْحَقِّ، ومن ثمَّ تَستَعْبِدُهم وتُدَمِّرُهم.

Orthodoxy (Garden City, NY: Doubleday, 1957), 31–32.

[60] مزيد عن طبيعة الاتِّضاع، انظر: "أيُّها الإخوة: لسنا محترفين"، "ما هو الاتِّضاع؟" في John Piper, *Brothers, We Are Not Professionals* (Nashville: Broadman, 2002), 159–66; and "*What Is Humility?*" available online at: http://www.desiringgod.org/ResourceLibrary/TasteAndSee/ ByDate/1999/1140.

7- أَخِيرًا تَقُودُ النِّسْبِيَّةُ إِلَى الفِكْرِ الشُّمُولِيِّ

الصيغةُ بسيطةٌ: عندما تستمرُّ النِّسْبِيَّةُ فترةً طويلةً، وبقدرٍ كافٍ، يبدأُ كلُّ امْرِءٍ في القيامِ بما هو صائب في عينيه دون أيِّ اعتبارٍ بالخضوعِ للحقِّ. في هذه الأجواءِ، يبدأُ المجتمعُ في الانهيارِ. مع أنَّه من الناحية العمليَّة، تعتمدُ كلُّ مؤسَّسةٍ في المجتمعِ الحرِّ على معيارِ الاستقامة، أي الخضوع للحقِّ. لكن عندما تصلُ فوضى النِّسْبِيَّةِ إلى نقطةٍ معيَّنَةٍ، سيرحِّبُ الناسُ بأيِّ حاكِمٍ يمكنُهُ أن يحقِّق ما يشبه النظام والأمن في المجتمعِ. وهكذا، يتصدَّرُ المشهدَ ديكتاتور يَدُكُّ هذه الفَوضَى بسيادةٍ مطلقةٍ. بشكلٍ ساخرٍ، النِّسْبِيَّة، وهي المُحِبُّ الكبيرُ للحرِّيَّةِ غيرِ المُقيَّدةِ، هي من تدمِّر في النهاية تلك الحرِّيَّةَ. يُعَبِّر عن هذا الأمر بقوَّة مايكل نوڤاك Michael Novak:

> الشُّمُولِيَّة *totalitarianism* على حدِّ وصف موسوليني Mussolini هي التصميم على السلطةِ، دون مراجعةٍ أو رَدْعٍ من أيِّ اعتبارٍ للحقِّ. فالخضوع لما يطالبُ به الحقُّ الناسَ هو تسليمُ الأرض للعصابات. هو فرصةٌ للسخريةِ من الذين يحتملون الكروبَ من أجل الحقِّ، أو أيادي المعذِّبين.
>
> النِّسْبِيَّةُ المبتذلة هي غازٌ مميتٌ، عديمُ اللون والرائحة، غاز يلوِّث الآن كلَّ مجتمعٍ حرٍّ على الأرض، إذ يهاجِمُ الجهاز العصبيَّ المركزيَّ للمسعى الأخلاقيِّ. لذلك، فإنَّ التهديدَ الأشدَّ خطورةً لأيِّ مجتمعٍ حرٍّ ليس سياسيًّا ولا اقتصاديًّا، بل هو المجتمع السَّام المُفْسِد نتيجةً للنِّسْبِيَّةِ.
>
> في السنواتِ المئةِ القادمةِ، السؤالُ المُقدَّمُ لعاشِقِي الحرِّيَّة هو هل في قدرتِنا النجاة من أكثر الهجماتِ غدرًا وخداعًا، من الداخلِ، ممَّن يحتقرون فضائلَ شعبِنا، وهم يباشرون أعمالَ أبي الأكاذيب [أي الشيطان]. إذ يعلِّمُون حتَّى الصغار أنَّه "لا يوجدُ

شيءٌ يمكن لنا بأن نَصِفَهُ بالحقِّ [المُطلَق]، وأنَّ الحقَّ عبوديَّةٌ. آمِنْ فقط بما يبدو صائبًا بالنسبةِ إليك. هناك أكثرُ من حقٍّ بقدرِ ما يكون هناك من أفراد. سِرْ وراء مشاعرِكَ. افْعَلْ ما يحلُو لَكَ. تواصَلْ مع ذاتِكَ. قُمْ بما يُشْعِرُك بالراحةِ". إنَّ مَن يتحدَّثون على هذه الشاكلةِ يقومون بإعدادِ السجون لمعاصري القرن الحادي والعشرين. إنَّهم يمارسون عملَ الطُّغاةِ.[61]

عُبُودِيَّةُ النِّسْبِيَّةِ

وهكذا، تطولُ قائمةُ التأثيراتِ المدمِّرة للنِّسْبِيَّةِ، ولا تنتهي. لم أتحدَّثْ عن النِّسْبِيَّةِ متعدِّدةِ الثقافاتِ التي تسعى لإسكات صوت التبكيتِ النبويِّ للقوى التدميريَّة المرتبطة بالخلل الوظيفيِّ على المستوى الاجتماعيِّ والشخصيِّ. لم أتطرَّق إلى تأثيرات النِّسْبِيَّةِ المُهْلِكَة على النزاهةِ الشخصيَّةِ حيثُ إنَّها تعملُ على تآكُلِ واجبِ المَرْءِ المقدَّس في أن يتكلَّم بالصدقِ؛ أن يلتزمَ بما خرج من شفتيه. لكن ربَّما ما تحدَّثتُ عنه يكفِي.

هل تَذْكُر رئيسَ الكهنةِ والشيوخِ في (مَتَّى 21:23-27) بالفصلِ السابقِ؟ لقد وقعوا في الفخِّ، إذ لم تكنْ لديهم أيَّة نيَّةٍ في الخضوعِ إلى الحقِّ. كان لسانُ حالهم: إن قُلْنا إنَّ معموديَّةَ يوحنَّا من السماءِ، سنتعرَّض للخزي لأنَّنا لم نؤمنْ به. ولذلك، لا يمكِن أن نصادقَ على أنَّها حقٌّ. وإن قُلنا إنَّها من الناسِ، سيحتشِدُ الشعب ضدَّنا، لأنَّهم يؤمنون بأنَّ يوحنَّا نبيٌّ. إذًا، نعجزُ أيضًا على القولِ بأنَّها بالفعلِ من الناس. لذلك، سوف نستعيضُ عن الحقِّ بقولِنا: نحن لا نعلم من أين هي. يا لها من عبوديَّة! لم يكنْ بإمكانِهم اقتناء الحقِّ لأنَّهم كانوا مستعَبَدِين للخوفِ من الخزي والأذى.

[61] Michael Novak, "*Awakening from Nihilism*: The Templeton Prize Address" in First Things (August/September, 1994): 20–21.

يا لها من متاجرة دنسة بِهِبَةِ التفكيرِ! انْظُر كم فَكَّرُوا بِجِدِّيَّةٍ! بعنايةٍ! عَمَلَتْ عقولهم بكامِل قدراتها. إن قلنا من السماء، يقول لنا ...؛ وإن قلنا من الناس، نخاف أن...، والنتيجة بكلِّ أسَى: لسنا نعلم! لقد اعتقدُوا بما وصلوا إليه من قرارٍ أنَّهم هربوا، وأنَّ جوابَهم حرِّيَّةٌ.

هذا ما يحدُث للمنطقِ واللُّغة؛ للتفكيرِ والكلامِ عندما تمتدُّ إليهما جذورُ النِّسْبِيَّةِ. ليس هذا هو المقصودُ بالتفكير. التفكيرُ هِبَةٌ إلهيَّةٌ. إنَّ التفكيرَ مع حرِّيَّةِ الإنجيل والصلاة وإنارة الروح القدس يَهَبُ للمَرْءِ القدرةَ على معرفةِ الحقِّ واختبار الحرِّيَّةِ بالفعل. كان رئيسُ الكهنة والشيوخُ مُستَعَبدين للخوفِ من الخزي والأذى. أو بتعبيرٍ آخر: كانوا مقيَّدين بعبوديَّةِ مديح الناس وملذَّات الشعور بالأمن. على أيَّة حالٍ، ما كان يحكُم استعمالهم لتفكير عقولهم كان هذا الخوف وتلك الرغبة.

الإنْجِيلُ يُحَرِّرُنا لِرُؤيَةِ الحقِّ والمُجَاهَرَةِ بِهِ

قد جاءَ الربُّ يسوع المسيح إلى العالم ومات لأجل خطايانا ليحرِّرنا من هذه العبوديَّةِ. عندما يكونُ الله معنا في المسيحِ (رومية 31:8)، لسنا في حاجةٍ إلى مديحِ الناسِ. عندما يقدِّمُ اللهُ لنا وَعْدًا بأن يكونَ معنا (العبرانيِّين 5:13)، عندما يُدبِّر كلَّ الأمور بما يؤولُ إلى خيرنا في النهايةِ (رومية 28:8)، تَنْكَسِرُ سطوةُ الخوفِ. لهذا السببِ يجعلُنا الإنجيلُ عقلاء *rational*، لا عقلانيِّين من الناحية الفلسفيَّة *Rationalistic*، بل ببساطةٍ يجعلنا أحرارًا في رؤيةِ الحقِّ والمجاهرَةِ بِهِ.[62]

[62] ما أقصده بلفظة عقلاء *rationalistic* من الناحية الفلسفيَّة مفترضٌ في الطريقة التي يحذِّرنا بها شسترتون G. K. Chesterton: المعتوه ليس مَن فقد عقله، إنَّما هو من فقد كلَّ شيءٍ عدا عقله. "يطلب الشاعر أن يدخل برأسه فقط إلى السماء. أمَّا المنطقيُ *logician* الذي يسعى لإدخال السماء

عندما تشعرُ بقوَّةٍ بالسلامِ والثقةِ أنَّه، بسبب المسيح، سيأتي بك الله بكلِّ أمانٍ إلى ملكوتِهِ الأبديِّ ليكونَ هو كنزَ حياتِك المشبِعَ للغاية، وإلى الأبد، عندها تكونُ حُرًّا في إدراكِ الحقِّ، ومحبَّتِهِ، والمجاهرةِ به مهما حَدَثَ، وتنشرُ بين الناس بكلِّ فرحٍ وَلَعًا بحقِّ اسمُهُ الربُّ يسوع المسيح.

في رأسه؛ فتنشطر رأسه". بتعبيرٍ آخر الشاعر "عاقل *rational*"، بالطريقة التي أستخدم بها لفظة عاقل، هو إنسان متَّضع بما يكفي للتلذُّذ بحرّيَّة بما يتَعَيَّن على السماء أن تعلنه بالفعل.
Orthodoxy (Garden City, NY: Image Books, 1959), 17–19

مَواجَهَةُ
التَّحَدِّي المُناوِئ
للتَّفْكِيرِ العَقْلِيِّ

لا أُقلّلُ من قَدْرِ التعليمِ التربويِّ، إلاَّ أنَّني قد رأيتُ حقًّا كثيرين من هؤلاءِ الواعظين المتعلّمين يُذَكّرونني عنوةً بِنَباتِ الخَسِّ النَّامِي في ظلِّ شجرةِ خوخ، أو إوَزَّة تَدْفَعُ برجْلَيها للسباحَةِ في النَّدَى، الأَمرُ الذي يَدْفَعُنِي للبُعدِ عنْهم مريضًا فاقدَ الوَعِي...

بيتر كارترايت

الفصل التاسع

اتِّجَاهَاتٌ غَيْرُ مُجْدِيَةٍ
مناوِئَةٌ للتَّفْكِيرِ العَقْلِيِّ فِي تَارِيخِنا

المبشِّرُ بيلي سَنداي Billy Sunday، الذي تُوفِّي سنة 1935م، تحدَّث نيابةً عن مسيحيِّين كثيرين حين قال: "إن كان لديَّ مليونُ دولار، سأَهَبُه للكنيسةِ عدا دولارٍ واحدٍ فقط أُقَدِّمُه من أجلِ التعليمِ التربويِّ.[63] ربَّما لا تكون هذه الفكرةُ سيِّئةً إن حملَتْ الكنيسةُ على عاتِقِها مسؤوليَّة التعليم. لكن لم يكنْ ذلك ما قَصَدَه. هذا صوتُ الآلاف ممَّن يساورُهم الشكُّ بقوَّةٍ في أيِّ تشديدٍ على التفكير العقليِّ في السعي وراء الله، مثل التشديدِ الذي يؤكِّد عليه ذلك الكتاب.

الشَّرِيكان الأمريكِيَّان: البراجماتيَّةُ والذاتيَّةُ

أمريكا التي وَلَدَتْ سَنْداي Sunday هي بعينها أمريكا وهي ماضية في طريقِها إلى نصرةِ البراجماتيَّة *pragmatism*، والذاتيَّة *subjectivism*.

---

[63] مقتبس في كتاب:

Richard Hofstadter, *Anti–Intellectualism in American Life* (New York: Vintage, 1962), 122.

ليس أنَّ سَنداي كان مجرَّدًا من الأخلاقِ عديم الضمير، إلاَّ أنَّ عداوته للحياة العقليَّة قوَّضَتْ من قدرةِ الكنيسة على الصمود ضدَّ الاستعمالات المدمِّرة للعقلِ، والتي ظهرت في الفلسفة البراجماتيَّة، والذاتيَّة.

كانتْ لهاتين النظرتين الغلبةُ بالنسبة إلى كثيرين في مجتمعِنا الحضاريِّ، وفي كنائسنا.[64] تجاهرُ الذاتيَّةُ بأنَّ التفكيرَ مُهِمٌّ لأنَّه وسيلةٌ لتبرير الرغباتِ الذاتيَّةِ. أمَّا البراجماتيَّة فتنادِي بأنَّ التفكيرَ مُهِمٌّ لأنَّه وسيلةٌ لمواصلةِ مسيرة العمل. بكلِّ يقينٍ، هذه القوى يمكنها إنتاج إنجازات هائلة في مجالِ العلومِ وإدارةِ الأعمالِ والصناعةِ. إلاَّ أنَّ الشيءَ المفقودَ في كلا النظرتين هو القناعةُ بأنَّ التفكيرَ هِبَةٌ إلهيَّةٌ، وأنَّ دورَهُ الرئيسَ يكمُن في السَّعي وراء الحقِّ المُطلقِ، والهيامِ به، والعيشِ وفقًا له.

تحيط البراجماتيَّةُ والذاتيَّةُ الواقعَ المرتبطَ بالحقِّ بنوعٍ ما من الغموض. كلاهما يوظِّف العقلَ، لكن بجعله خادمًا لرغباتِنا الذاتيَّة وأعمالِنا. لكن لا يمكِن لأيٍّ منهما أن يخبرَنا أيَّة رغباتٍ ينبغي لنا السعي

---

[64] أفضل الكتب التي توثِّق هذا الأمر:

David Wells, *No Place for Truth*, Or: *Whatever Happened to Evangelical Theology?* (Grand Rapids: Eerdmans, 1993).

كثير من هؤلاء، ممَّن تنحصر مَهَمَّتُهم في أنَّهم وسطاء لنشرِ الحقِّ الإلهيّ وسط شعب الله في الكنائس، أعادوا وَصْفَ المَهَمَّةِ الرعويَّة في أنَّ اللاهوت قد أصبحَ عبئًا محرجًا أو مسألةً يعرفون عنها القليل... أتأمَّلُ الطريقةَ التي صارتْ بها الوظيفةُ الرعويَّةُ مهنةً احترافيَّةً، كيف تَغَيَّر الدُّورُ المركزيُّ للراعي من وسيطٍ ناشرٍ للحقّ إلى مديرِ مشروعاتٍ صغيرةٍ نُطْلِق عليها اسمَ "كنائس". وإزاء المدى الذي تأصَّلَ فيه هذا التوجُّه، انتهيتُ إلى أنَّه سيقدِّمُ لنا جيلاً جديدًا يعيقُ العملَ الرعويَّ" (ص. 6، 13). "عندما تحلُّ عقاقيرُ العصرِ العلاجيّ محلَّ إقرارِ الإيمانِ، ويُقَدَّمُ الوعظُ من منطلقِ علمِ النفسِ، فإنَّ الإيمانَ المسيحيَّ يصبحُ مقتصرًا على فئاتٍ خاصَّةٍ. وهكذا، بضربةٍ واحدةٍ يُسلَبُ إقرارُ الإيمانِ من جوهرِهِ، ويُخْتَزَلُ التأمُّلُ العميقُ غالبًا لفكرِ المَرْءِ عن ذاتِهِ... والنتيجة هي أن يسعَى الراعي إلى تجسيدِ ما يروقُ للحداثةِ، وإعادَة وصف ما تعنيه الخدمةُ الرعويَّةُ الآن في ضوء نَمَطَي المجتمعِ الأكثر قبولاً: المدير والمعالج النفسيُّ (ص 101).

وراءها، وأيَّة أعمالٍ جِدِّيَّةٍ يجبُ أن نباشرَها. في هذا الصددِ، يعلّق وَالترْستورف Nicholas Wolterstorff الذي قَامَ بتدريسِ الفلسفةِ لمدَّةِ ثلاثين سنةً في كلّيَّة كالڤن *Calvin College*، ولمدَّةِ خمس عشرة سنة في جامعةِ ييل *Yale University*، وذلك في مراجعِتِه وثيقة الصِّلة لكتاب ريتشارد سنِتْ Richard Sennett بعنوان **الحِرَفِيُّ** *The Craftsman*، مناديًا بأنَّ الحِرَفِيَّ هو الشخص المكرَّس للقيام بعملٍ متقنٍ، ومن أجل العمل ذاته. "علامة الهويَّة الأساسيَّة للحِرَفِيِّ هي تركيزه على تحقيقِ النوعيَّة في العمل، على القيام بعملٍ متقنٍ. فالحِرَفِيَّة هي عملٌ موجَّهٌ بالنوعيَّة".[65] ثمَّ يقدِّمُ والترستورف هذه الملاحظةَ الثاقبةَ:

> هناك شيءٌ ناقصٌ بخصوصِ الشخص الذي يقومُ بعملٍ متقنٍ في حدِّ ذاته دون أن يفكّرَ أبدًا إن كان تحقيقُ هذا العمل جيِّدًا أم لا. الحِرَفِيُّ الجديرُ بالاحترامِ يَطرحُ سؤالين بخصوصِ العملِ المتقنِ. يتساءَلُ هل ما يقومُ به أو يصنعُه ككلٍّ نموذجٌ جيِّدُ الاتقان من حيث النوعيَّة: كمان رائعة *a good violin*، وتر أربيچيو ممتاز *a good arpeggio*... إلخ. لكن يتساءَل أيضًا هل صُنْعُ نموذجٍ جيِّدِ الاتقانِ من حيث النوعيَّة أمرٌ جيِّدٌ للقيامِ به أم لا.[66]

يُوضِّحُ والترْستورف ضرورةَ الحاجةِ إلى مِثْلِ هذه الأسئلةِ الكبيرةِ مشيرًا إلى روبرت أوبنهايمر Robert Oppenheimer المعروف بـ "أَبِي القنبلة الذرِّيَّة". "أَدْرَكَ أوبنهايمر ما هي القنبلة الجيِّدة، فَرَاحَ بكلِّ هَوَسٍ

[65] Nicholas Wolterstorff, "*Thinking with Your Hands*," in Books and Culture (March/April 2009): 30.

[66] Ibid.

يُكرِّسُ نفسَهُ محاولاً صُنْعَ قنبلةً واحدةً؛ لكن ما لم يَقُمْ به في هذا التوقيت هو أن يسألَ نفسَهُ هل صُنْعُ قنبلةٍ جيِّدةٍ أمرٌ جيِّدٌ للقيامِ به أم لا.[67]

تتلامسُ نوعيَّةُ ذلك السؤال مع الحقِّ الذي يتعدَّى التفضيلات الشخصيَّة للمَرْءِ. والإجاباتُ لِمِثْلِ هذه الأسئلة تنبعُ من أسلوبِ تفكيرٍ مختلفٍ تمامًا عن البراجماتيَّة أو الذاتيَّة. إذ يَتَعَيَّن أن تنبعَ تلك الإجاباتُ في النهايةِ وبشكلٍ تامٍّ من منطلَق معرفةِ اللهِ. والمغْزَى من وراءِ هذا الكتاب هو أنَّ التَّفْكِيرَ جوهريٌّ من أجل معرفةِ الله.

تَقْلِيدٌ دَعْمُهُ للتَّفْكِيرِ فَاتِرٌ

لكن هناك تاريخٌ طويلٌ انتَهَجَ فيه المسيحيُّون طريقًا آخر. لقد عاينوا حقًّا الاستخدامَ القويَّ للعقلِ في السعي وراء أمورٍ فارغةٍ: كلُّ أعمال مؤسَّسات التعليم التربويِّ وصناعات الترفيه التي تُسْقِط الله من حساباتِها وتحثُّ على أمورٍ مضادَّة لمشيئة الله. عاينوا الأهوالَ العلميَّةَ الفذَّةَ للعالمِ المعاصرِ، ومنها حَربان عالميَّتان، وعددٌ من المَحْرَقات النازيَّة في ألمانيا، وآسيا، وأفريقيا. كما شَهِدَ المسيحيُّون بركاتٍ لاستخدام القدرات العقليَّة في أمورٍ مفيدة مثل الكهرباءِ، والتبريدِ، ونظمِ قنوات الصرف الصحِّيِّ تحت الأرض، والمضادَّات الحيويَّة.

ثمرُ التَّفْكِير غامضٌ في العالم الدنيويِّ. وفي الكنيسةِ طابورٌ طويلٌ من خدَّامِ المسيح الأمناءِ، مثل سَنْداي Billy Sunday، الذي قرَّر أنَّ الحياةَ العقليَّة سبَّبَتْ من الأذى أكثر ممَّا سبَّبَتْهُ من الخير. وأمريكا تحديدًا لديها تاريخٌ طويلٌ من الشَّكِّ الإنجيليِّ المرتبطِ بثمارِ العملِ العقليِّ والتعليمِ. وقَبْلَ سنداي، رَثَى المبشِّرُ تشارلز فيني Charles Finney خرِّيجي الكلِّيَّة

[67] Ibid.

بقوله: إنَّ الخدَّام "يخرجون من الكلِّيَّة بقلوبٍ جامدةٍ تشبه جمود أسوار الكلِّيَّة".[68]

بيتر كارترايت Peter Cartwright، القائد المِثودِستيُّ الذي لا يَمَلُّ، كَتَبَ في سيرتِهِ الذاتيَّة سنة 1856م:

> إنَّ الوعَّاظَ الميثودِستْ غيرَ المتعلِّمين أضرموا بالفعلِ العالمَ بالنار (على الأقلِّ العَالَم الأمريكيَّ) في أثناء إشعالهم لأعواد الثقاب الخاصَّة بهم! ... لا أُقلِّلُ من قَدْرِ التعليمِ التربويِّ، إلاَّ أنَّني قد رأيتُ حقًّا كثيرين من هؤلاءِ الواعظين المتعلِّمين يُذَكِّرونني عنوةً بِنَباتِ الخَسِّ النَّامِي في ظلِّ شجرةِ خوخ، أو إوَزَّة تَدْفَعُ برجْلَيها للسباحَةِ في النَّدَى، الأَمرُ الذي يَدْفَعُنِي للبُعدِ عنْهم مريضًا فاقدَ الوَعِي. ماذا فَعَلَتْ خدمةُ التعليمِ للعالم، سوى أنَّها دَرَسَتْ الأمور الإلهيَّة كما لو أنَّها معارفٌ علميَّةٌ؟[69]

بالمثل، سَخِرَ موودي D. L. Moody من التعليم اللاهوتيِّ الرسميِّ. وعندما سُئِلَ عن تعليمِهِ، قال: "تعليمي اللاهوتيُّ! لست أدرى إن كان لديَّ أيُّ تعليمٍ. أتمنَّى لو سألتني ما هو فكري اللاهوتيُّ".[70]

خَلْف هذا التوجُّهِ السلبيِّ المناوئِ للعملِ العقليِّ تقبعُ اهتماماتٌ مشروعةٌ وصادقةٌ. تنبعُ هذه الاهتماماتُ من عداواتٍ ملموسةٍ. وسواء كنَّا نؤمنُ أنَّها حقيقيَّةٌ أو خياليَّةٌ فإنَّها تشكِّلُ الكثيرَ من حياتِنا العقليَّة. هذه العداواتُ يعبِّر عنها ريتشارد هُفستادر Richard Hofstadter على النحو التالي:

---

[68] Quoted in Hofstadter, Anti-Intellectualism, 94.

[69] Quoted in ibid., 102–3.

[70] Quoted in ibid., 108.

> وُصِمَ التفكيرُ العقليُّ بأنَّه مناوئٌ للشعورِ، إذ لا يتوافقُ التفكيرُ مع العواطفِ الدافئةِ. بل صارَ التفكيرُ مغايرًا للشخصيَّةِ الخلوقةِ، لأنَّ المعتقدَ على نحوٍ شائعٍ أنَّ التفكيرَ العقليَّ يشيرُ إلى المهارةِ فقط، التي تتغيَّرُ بسهولةٍ إلى خبثٍ أو شيطنةٍ. كما وُصِمَ بأنَّه مناوئٌ للتطبيقِ العمليِّ، فالثابتُ أنَّ النظريَّةَ هي المقابلُ العكسيُّ للتطبيقِ العمليِّ، كما أمسى العقلُ النظريُّ المحضُ موضعَ استخفافٍ كبيرٍ. بل وُصِمَ بأنَّه مقاومٌ للديمقراطيَّة، لأنَّه يُشْعرُنا بنوعٍ ما من التميزِ، والذي من شأنه أن يتحدَّى المساواةَ.[71]

لا تزال هذه العداواتُ الملموسةُ منتشرةً بقدرٍ كبيرٍ اليوم. مَن مِنَّا لم يسمعْ نقاشًا علميًّا للغاية إلاَّ ويشعرُ أنَّ المتكلِّم منفصل عن الحياة الواقعيَّة، وتحديدًا على المستوى الوجدانيِّ والعلاقاتيِّ؟ في الحقيقة، يبدو أنَّ هناك شيئًا بالفعل عن الحياة العقليَّة ليس مضيافًا لأنواعٍ من الخبراتِ الإنسانيَّة التي نعتزُّ بها، التي ربَّما تكونُ أكثر أهمِّيَّة.

الإِحْجَامُ عَنْ التَّفْكِيرِ لَيْسَ حَلاً للتَّفْكِيرِ بِعَجْرَفَةٍ

جوابي عن هذه الاتِّهاماتِ الموجَّهةِ لمجهوداتِ العملِ العقليِّ ليس فقط أنَّها ظالمةٌ، إلاَّ أنَّ الحلَّ ليس بهجرِ التفكيرِ الواعي الدقيقِ.

لو نجحنا في أن نُقِيمَ جيلاً من الناس يُقْلِعُون عن التفكيرِ المتماسكِ، الأمينِ والجادِّ، حينها سنُقِيمُ جيلاً عاجزًا عن قراءة الكتاب المقدَّس. لقد أكَّدتُ بالحجَّةِ في الفصلِ الأوَّل أنَّ القراءةَ تفكيرٌ. سواء كنَّا نقرأُ بعنايةٍ ودقَّةٍ أو دون عنايةٍ أو دقَّةٍ. المشكلة مع الذين يَسْخَرون من هِبَةِ التفكيرِ كوسيلةٍ لمعرفةِ الله أنَّهم لا يعلنون بوضوحٍ ما هو البديلُ للتفكيرِ. والسبب هو أنَّه

[71] Ibid., 45–46.

لا يوجد بديلٌ. إن هَجَرْنَا التفكيرَ، سنتخلَّى عن الكتابِ المقدَّسِ، وإن هَجَرْنَا ذلك الكتابَ، سنتخلَّى عن الله.

لم يُقدِّمْ لنا الروحُ القدس وَعْدًا بأيَّة صيغةٍ مختصرةٍ تتيحُ لنا معرفةَ الله. لكنَّه أَلْهَمَ وأَوْحَى إلى الأنبياءِ والرسلِ ليكتبوا ما أَظْهَرَهُ لهم وما أخبرَهُم به. في أكثر من موضعٍ، يقولُ الرُّوحُ صراحةً إنَّ قراءةَ الكتابِ هي الطريقةُ المعيَّنةُ من الله لمعرفةِ الأسرارِ الإلهيَّة.

على سبيلِ المثالِ، يكتبُ الرسولُ بولس إلى أهل أَفَسُس قائلاً: أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ (أَفَسُس 3:3أ)، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف لتلك المعرفةِ الرائعةِ عن سرِّ الله أن تُعْلَنَ لباقي الكنيسة؟ يجيب الرسول: "... كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ الَّذِي بِحَسَبِهِ **حِينَمَا** تَقْرَؤُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ (أَفَسُس 3:3-4).

وفي الأصل اليونانيِّ، لا تأتي اللفظة الزمنيَّة "**عندما، حينما**". بل يوجد اسم فاعل بسيط: أَنَجِينوسْكُنْديس **ἀναγινώσκοντες** أي: ... بحسبه قارئين، تقدرون أن تفهموا. (والفعل "تفهموا" يأتي بدوره في اليونانيَّة على النحو: نوئيسيه **νοῆσαι** أي تَعقِلُوا، أو تدركوا بالعقل) دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ. إنَّ المعنى الطبيعيَّ والغالب لاسم الفاعل اليونانيِّ "أَنَجِينوسْكُنْديس" هو "بالقراءة..." أي بحسبِهِ بالقراءة تقدرون... وهكذا، تكونُ القراءةُ السبيلَ الوحيدَ الذي يتيح لنا إمكانيَّة التفكير بشكلٍ عقليٍّ في أفكارِ الرسول بولس، ومن ثَمَّ، إمكانيَّة معرفة سرِّ الله.

من أجل ذلك، ستكون نصيحتُنا عقيمةً إن قُلنا للكنيسة إنَّ التفكيرَ عديمُ الجدوى. لا توجد قراءةٌ دون تفكيرٍ. ولا توجدُ قراءةٌ بعنايةٍ وأمانةٍ وتماسكٍ دون تفكيرٍ يَتِمُّ بعنايةٍ وأمانةٍ وتماسكٍ. العلاجُ للتفكيرِ العقليِّ العقيمِ وغيرِ المُثْمِرِ ليس بمناوئةِ التفكير، لكن بتفكيرٍ متَّضِعٍ وأمينٍ، تفكيرٍ بروحِ الصلاةِ والاتِّكالِ على الروحِ القدسِ، تفكيرٍ واعٍ ودقيقٍ.

مُقَاوَمَةُ رِيلاي باستنادِهِ عَلَى المَكْتُوبِ

لنتأمَّل الآن صوتًا آخر من التاريخِ يدوِّي مُحذِّرًا من مخاطرِ الاتِّكالِ على المنطقِ والتعلُّمِ. وهو صوتٌ لافتٌ هنا لأنَّه ينتقلُ من شكاوى مألوفةٍ إلى شكاوى من ذات العيارِ الثقيل، لأنَّها تستندُ على نصوصٍ بعينها من الأسفارِ المقدَّسةِ، نصوص تبدو وكأنَّها تقاوِمُ العقلَ البشريَّ.

في سنةِ 1830م، انخدَعَ الراعي الواحدويُّ چورچ ريلاي George Ripley بمذهب "الواحدويَّة *Unitarianism*". لم يكن اهتداءُ ريلاي إلى الإيمانِ اهتداءً إلى المسيحيَّةِ الإنجيليَّةِ، بل إلى حركةٍ جديدةٍ اسمها "التنزيه *transcendentalism*". كان ريلاي موجَّهًا بمقاومته للتفكيرِ العقليِّ لكلِّيَّته اللاهوتيَّة الأمِّ: هارفارد ديفينتي سكوول *Harvard Divinity School*.

بدلاً من اعتناقِهِ للتعليمِ العقيديِّ الكتابيِّ، رَحَّبَ بالفكرِ البَدْهِيِّ كمصدرٍ للسموِّ الروحيِّ. ومن باب المفارقةِ، دَفَعَ به هذا التوجُّهُ إلى انتقادِ هارفارد بطريقة عبَّرتْ عمَّا كان يفكِّرُ به إنجيليُّون كثيرون عن الحياةِ العقليَّةِ. يُعَدُّ انتقادُهُ بيانًا كلاسيكيًّا للآراءِ المناوئة للتفكيرِ العقليِّ الذي يميِّزُ هذا التاريخ لأمريكا، والحركةِ الإنجيليَّةِ المشيخيَّةِ التي شكَّلت الكثير منه. في سنة 1839م كَتَبَ ريلاي:

> لقد أدركتُ بأنَّ نتائجَ مفيدةً وعظيمةً يمكن أن تتَّضِحَ للضميرِ والقلبِ من الشرحِ البسيطِ لحقِّ الإنجيلِ، بواسطةِ الرجالِ المخْلِصين، ممَّن يثقون بقوَّةِ البديهةِ المرتبطةِ بالنفسِ، لما لها من إدراكٍ إلهيٍّ...
> بقدرِ ما أُثَمِّن المنطقَ السليمَ في موضعِهِ المناسبِ، فإنِّي على يقينٍ بأنَّه ليس الوسيلةَ القويَّةَ التي بها يَدُكُّ اللهُ حصونَ الخطيَّة. ربَّما يُبَيِّنُ لنا المنطقُ ما هو خطأ؛ لكن ليس في قدرتِهِ أن يَهَبَ لنا

ما يعادلُ ولو لمحةً عن مجدِ المسيحِ. ربَّما يفنِّدُ المغالطاتِ؛ لكن ليس بإمكانه أن يقيِّدَ القلبَ بمحبَّةِ القداسةِ... ربَّما أنت مُتَمَسِّكٌ بأنَّ "التعليم المُمْتدَّ" في العادةِ أساسيٌّ بالنسبةِ إلى من يؤثِّرون على أتباعهم من جهة الموضوعات الدينيَّة.

لكن بكلِّ يقينٍ لم يأخذْ يسوعُ هذا بعينِ الاعتبار عند اختيارِهِ الاثني عشر من وسطِ جمهورِ التلاميذِ؛ فقد استودعَ نَشْرَ ديانتِهِ بين أيدي رجالٍ "غيرِ متعلِّمين وجُهَّالٍ"؛ فالحقائقُ السَّامية قد اسْتَودَعَها في عقولِ العوامِّ؛ وبهذه الطريقةِ: صيَّرَ الله حكمةَ العالمِ حماقةً، رَأَى... المسيحُ... أنَّ موكِبَ الحكمةِ، التي تمنحُها الكتبُ لا شيءَ إزاء "النور الذي ينيرُ كلَّ عقلٍ بشريٍّ".

إنَّ مسارَ تاريخِ هذه الأمَّةِ بكاملِهِ هو بيانٌ إيضاحيٌّ لحقيقةِ "أنَّ الجِرَفيِّين اليدويِّين ميَّالون إلى أن يكونوا سفراءَ الله العظماءَ للبشريَّة". ... فالمسيحُ لم يؤسِّسْ كلِّيَّةً للرُّسُل؛ ولم يَقُمْ بإعادةِ إحياء مدرسة الأنبياء التي انقرضتْ؛ لم يُظْهِرْ أيَّ تقديرٍ خاصٍّ لكبرياءِ التعليمِ؛ في الحقيقة، أَلْمَحَ أحيانًا إلى أنَّه عائقٌ لإدراك الحقِّ؛ وشَكَرَ الله [sic] أنَّه بينما أَخْفَى أسرارَ ملكوتِ السماء عن الحكماء والفهماءِ، أَعْلَنَها لرجالٍ جُهلاء كالأطفالِ...[72]

في هذا الاقتباس أعلاه، ستَّة تأكيدات تشكِّكُ في جدوى الاستخدام الدقيق والواعي للعقلِ في معرفةِ الله ومساعدة آخرين على أن يعرفوه. سأقدِّمُ ردودًا موجزةً على الأربعة الأولى منها، بعد ذلك سأتعاملُ بشكلٍ أكمل مع آخر اثنين في الفصلين التاليين.

[72] Quoted in ibid., 48 n. 8.

ضَعْفُ المَنْطِقِ فِي المَعْرَكَةِ ضِدَّ الخطيَّةِ

أَوَّلُ تأكيداتِ ريلاي Ripley هي أنَّ: **"المنطقَ السليمَ ليس الوسيلةَ القويَّةَ التي بواسطتها يَدُكُّ اللهُ حصونَ الخطيَّةِ".**

التأكيدُ هنا فيه إشارة إلى ما وردَ في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس بفم الرسول بولس: إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 10:4-5). وينتهي ريلاي Ripley إلى أنَّ المنطقَ "ليس وسيلةً قويَّةً يهدِمُ بها الله معاقلَ الخطيَّةِ".

هذا صحيحٌ إن كان الرسول يعني بلفظة "المنطقِ" أن يكون هذا المنطقُ **"وحده"**. فالغايةُ من أن نأتي بذواتِنا أو بالآخرين إلى معرفةٍ إلهيَّةٍ حقيقيَّةٍ وساحقةٍ للخطيَّةِ لن يتمَّ بلوغها بوسيلةِ المنطقِ وحده. لقد أرسل الربُّ يسوع عبْدَهُ الرسول بولس في مَهَمَّةٍ مستحيلةٍ. قال له: أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا... غفران الخطايا... مَتَى دُمِّرَتْ معاقلُ الخطيَّةِ، مَتَى هُدِمَتْ أيَّةُ اعتراضاتٍ ضدَّ الحقِّ الإلهيِّ، مَتَى أُسِرَتْ الأفكارُ وتَقَيَّدَتْ بطاعة المسيح.

هذا عمل فائق للطبيعة. فإنَّ عيونَ الذهنِ والقلبِ لا تنفتحُ آليًّا. ولا يمكن للمنطقِ وحده أن يحقِّقَ ذلك. لهذا السبب يقولُ الرسول بولس: وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (1 كورنثوس 12:3). ما من جدلٍ منطقيٍّ أو عقليٍّ ينادي بسيادة الربِّ يسوع بإمكانه أن يحقِّقَ خضوعًا بمعزلٍ عن عمل الروحِ القدس. هذا هو السببُ أيضًا وراء ردِّ الربِّ يسوع إثر إدراك الرسول بطرس لهويَّته بالكلمات: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 16:17).

لقد أَدْرَكَ الرسول بولس هذا. يا له من استخدامٍ قويٍّ بسبب إعماله لعقلِهِ في جهادِهِ من أجل النفوس البشريَّة! إليك عادتُهُ الواضحة في الطريقة التي يحاول بها فتح العيون في تسالونيكي:

> فَدَخَلَ بُولُسُ إِلَيْهِمْ **حَسَبَ عَادَتِهِ** وَكَانَ **يُحَاجُّهُمْ** ثَلاَثَةَ سُبُوتٍ مِنَ الْكُتُبِ مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ الَّذِي أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ. فَاقْتَنَعَ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَانْحَازُوا إِلَى بُولُسَ وَسِيلاَ وَمِنَ الْيُونَانِيِّينَ الْمُتَعَبِّدِينَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ وَمِنَ النِّسَاءِ الْمُتَقَدِّمَاتِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ (أعمال الرسل 17:2-4).

على الرُّغم من أنَّ المنطق لا يفتحُ عيونَ العميانِ روحيًّا، كان استخدامُ المنطقِ البشريِّ لتقديم المسيح بوضوحٍ وقدرةٍ عقليَّةٍ هو المَدْخَل الذي انتَهَجَهُ الرسول بولس. أمَّا عن النتيجة في تسالونيكي فقد كانت بإيجازٍ أنَّ قومًا قد اقْتَنَعوا. لقد تدَخَّل الله وفتح عيونهم (انظر أيضًا أعمال الرسل 19:8-9).

بناءً عليه، فإنَّ الرَّدَّ على السيِّد ريلاي Ripley هو بأنَّ التقديمَ المنطقيَّ لإنجيل المسيح يشبه السلك الذي يسري فيه التيَّار الكهربيُّ للقُوى الرُّوحيَّةِ. السلك في حدِّ ذاته لا ينيرُ المصباح؛ ما ينيره هو الكهرباءُ. لكن بحسب العنايةِ الإلهيَّةِ، رَتَّبَ الله أن تسري الكهرباءُ عبر أسلاك. على نفس القياس، وبحسب إرادة الله، إنَّ استعمالَ عقولِنا في معرفةِ وترتيبِ وتقديمِ الحقِّ الخاصِّ بالمسيح هو الطريقُ العاديُّ والطبيعيُّ الذي بواسطته تنفتحُ عيونُ العميان، ويتمُّ إيقاظُ الإيمان بالربِّ يسوع المسيح.

قدِّسْهم في الحَقِّ

ما يلي هو أيضًا جوابُنا عن التأكيدين الثاني والثالث لريلاي Ripley. في التأكيد الثاني يقول: **قد يُبَيِّنُ لنا المنطقُ ما هو خطأ؛ لكن ليس في قدرتِهِ أن يمنحَ لنا ما يعادلُ ولو لمحةً عن مجدِ المسيح** (2 كورنثوس 4:4). وفي التأكيد الثالث يقول: **ربَّما يُفنِّدُ المنطقُ المغالطاتِ؛ لكن ليس بإمكانه أن يُقيِّدَ القَلْبَ بمحبَّةِ القداسةِ.** ومرَّةً أخرى نقول إنَّ هذا صحيحٌ إن كان يقصد "المنطقَ وحده".

إلاَّ أنَّنا رأينا في معالجتنا لنصِّ (2 كورنثوس 4:4-6) في الفصل الثالث أنَّ رؤيةَ مجدِ المسيحِ ناجمة عن أمرين، لا عن أمرٍ واحدٍ. هي نتيجةٌ لعملِ الله الفائقِ للطبيعةِ، أي إشراق الله بالنور في قلوبنا (2 كورنثوس 6:4)؛ وأيضًا نتيجة لمجاهرة الرسول بولس بأنَّ يسوعَ مخلّصٌ وربٌّ (2 كورنثوس 5:4). تقتضي هذه المجاهرةُ المنطقَ والتبريرَ العقليَّ حتَّى لو كانت بأبسطِ الرسائل الإنجيليَّة. على كلٍّ، لا معاينة لمجدِ المسيح دون كهرباءِ الإنارةِ الفائقةِ للطبيعةِ. ولا رؤية دون السلك البشريِّ، أي المجاهرة العقليَّة بالإنجيل.

نفس الشيء ينطبقُ على التقديس. عندما يقول ريلاي Ripley: ربَّما يفنِّد المنطقُ المغالطاتِ؛ لكن ليس بإمكانه أن يُقيِّدَ القلبَ بمحبَّةِ القداسةِ. فإنَّه يضلِّل الناسَ بعيدًا عن حقٍّ خطيرٍ للغايةِ. قال الربُّ يسوع: قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ (يوحنَّا 17:17)، وأيضًا قوله: وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (يوحنَّا 32:8). إنَّ معرفةَ الحقِّ بعقولِنا والتَّمسُّكَ به بشدَّةٍ بوصفه كنزًا في قلوبنا هو مفتاحُ القداسة.

مرَّةً تلو الأخرى يؤكِّد العهد الجديد أنَّ "معرفةَ" الحقِّ من جانبنا تقودنا إلى سلوكٍ مقدَّسٍ. يقول الرسول بولس: لَيْسَ افْتِخَارُكُمْ حَسَنًا. **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ** أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟ (1 كورنثوس 6:5).

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا! (1 كورنثوس 15:6). أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، **أَمَا تَعْلَمُونَ** أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ **فَمَنْ** أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ (يعقوب 4:4). وحقيقةُ أنَّ البعض يعرفُ هذه الأمورَ لكنَّه مستمرٌّ في الخطيَّةِ فإنَّها تعني بأنَّه يوجدُ المزيدُ ممَّا هو أكثر من المعرفةِ، وليس الأقلُّ.

أُناشِدِكُم التَّفْكِيرَ النَّاريَّ، لا التَّعْلِيمَ الرَّسْميَّ

يساعدني التأكيدُ الرابعُ لريپلاي Ripley على توضيحِ هدف الكتاب. يقول ريپلاي: **لم ينظُرْ الربُّ يسوع إلى التعليمِ الممتدِّ بوصفِهِ أمرًا جوهريًّا، لكنَّه استَودَعَ نَشْرَ ديانتِهِ بين أيدِي الرجالِ "غيرِ المتعلِّمين والجُهَّالِ"** (انظر أعمال الرسل 13:4). أَتَّفِقُ تمامًا أنَّ التعليم الممتدَّ ليس جوهريًّا لنشرِ الإنجيلِ أو المعرفة العميقة عن الله. هذا الكتاب ليس مكتوبًا للدفاع عن التعليمِ الممتدِّ.

لا يوجدُ ارتباطٌ ضروريٌّ بين التعليمِ الممتدِّ والاستعمالِ السليمِ للعقلِ. يوجد كثيرون من الحاصلين على شهادات الدكتوراه لكنَّهم يفكِّرون بشكلٍ ضعيفٍ، وفي المقابل، يوجد كثيرون من الناس ذوي التعليم الرسميِّ البسيطِ لكنَّهم يفكِّرون بعمقٍ ووضوحٍ كبيرٍ. ما أَنْشُدُه هنا هو تشغيلٌ حارٌّ للعقلِ في السعي وراء الله. لستُ أطلبُ مزيدًا من التعليم الرسميِّ. سواء كان مفيدًا أو غير مفيدٍ حسب حال كلِّ متعلِّمٍ. إلاَّ أنَّ الاستخدامَ السليمَ للعقلِ أمرٌ رائعٌ للغاية بصرفِ النَّظرِ عن كمِّ التعليمِ التربويِّ الرسميِّ الذي يَنْعَمُ به المَرْءُ.

هل الكتابُ يَدْعَمُ الاتِّهامَ؟

آخرُ تأكيدين لريلاي Ripley شديدا الخطورةِ، فيهما يشيرُ إلى نصوصٍ من الكتاب المقدَّس تحذِّر من مخاطرِ حكمةِ العالمِ، مشيرًا إلى الحالِ المظلمِ المرتبط بالحكماءِ والفهماءِ. إنَّ تأكيده الخامس هو ببساطة اقتباس من الرسول بولس وهو يقول: ... **أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟** (1 كورنثوس 20:1). أمَّا تأكيده السادس فهو اقتباس من الربِّ يسوع وهو يحمدُ الآب بقوله: **... أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ** (لوقا 21:10). وإزاء هذين النَّصَّين نتَّجِهُ إلى الفصلين التاليين.

21وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ
السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا
لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ،
22وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ
أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الاِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ
الاِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. 23وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ: طُوبَى
لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ 24لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ
وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا
أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا.

(لوقا 10:17-24)

الفصل العاشر

أَخْفَيْتَ هَذِهِ
عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ

في الفصلِ السابقِ، بدأنا النظرَ في مبرِّراتِ جورج ريلاي George Ripley لارتيابه في التفكيرِ العقليِّ البشريِّ. عَبَّرَ عن هذه المبرِّراتِ تقريبًا منذ مئتي سنة، وهناك أهمِّيَّة غير عاديَّة لاثنين من مبرِّراته لارتباطهما بكلماتِ الربِّ يسوع والرسول بولس.[73] يُشِيرُ ريلاي Ripley إلى نصَّينِ من الكتاب المقدَّس. ويتساءَلَ بشكلٍ أساسيٍّ إن كان التفكيرُ مُهِمًّا في الاهتداء إلى معرفةِ الله، ولماذا يقولُ الربُّ: ... أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ (لوقا 21:10)؟ ولماذا يقول الرسول بولس: ... أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟ (1 كورنثوس 20:1).

كان هذان النَّصَّان بمثابة ركيزتين أساسيَّتين لمقاومةِ ريلاي للتفكيرِ العقليِّ. وبناءً عليه، أتناولهما بِجِدِّيَّةٍ هنا محاولاً إظهار مدى ضعفهما في دعمِ البناءِ المناوئِ للتفكيرِ العقليِّ. في هذا الفصل، نبدأ بالتعامل مع نصِّ البشير لوقا في (لوقا 21:10). وفي الفصل الحادي عشر، نتأمَّل نصَّ الرسول بولس في (1 كورنثوس 20:1)، ثمَّ نعودُ مرَّةً أخرى بنهايةِ ذلك الفصل إلى

[73] Richard Hofstadter, *Anti-Intellectualism in American Life* (New York: Vintage, 1962), 48 n. 16.

نصّ البشير في (لوقا 21:10)، لنُظْهِرَ كيف أنَّ النَّصَّين متماثلان بشكلٍ مذهلٍ في ما يعلّمانه.

مَوضِعٌ نَادِرٌ ولاَفِتٌ لِابْتِهاجِ الرَّبِّ يَسُوعَ

ها هو السياقُ المرتبطُ باهتمامنا الأوَّل من جهةِ نصِّ البشير لوقا:

> 17فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ! 18فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. 19هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. 20وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ. 21 وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ. 22وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. 23وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ: طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! 24لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا (لوقا 10:17-24).

هناك موضعان فقط في البشائر الأربع يصوِّران بالفعلِ الربَّ يسوع فرحًا، مبتهجًا، أو مُتهلِّلاً.[74] الموضع الأوَّل في بشارة يوحنَّا بقول الربِّ

[74] هناك إشارات كتابيَّة أخرى إلى فرحِ المسيحِ (يوحنَّا 11:15؛ 13:17)، لكن لا تشير إلى موقف يظهر فعل فرحه الحاضر. لقد كانت رحلته الأرضيَّة وقتًا لحمل عبءٍ عظيمٍ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ

علاَنِيَةً لرُسُلِهِ: لِعَازَرُ مَاتَ. وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا... (يوحنَّا 11:14-15). إلى الآن، يعطي الربُّ يسوعُ أولويَّةً للإيمان في هذه الحياة حتَّى أنَّه ابْتَهَجَ لأنَّه لم يكن هناك لينقذَ حياة لعازر [بالشفاء] فقط، وذلك ليتقوَّى إيمان تلاميذه [بإقامته من الموت]. هذا هو الموقف الأوَّلُ لفرحِ المسيح.

أمَّا الموضع الثاني فيوجدُ في (لوقا 10:21). يخبرُنا البشير لوقا أنَّ فرحَ الربِّ يسوعَ يركِّزُ على إخفاءِ شيءٍ ما عن "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" وإعلانه "لِلأَطْفَالِ قليلي الشأن". يقولُ النَّصُّ بالتحديد: تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ... لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ... عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ...". ولكي نفهمَ لماذا ابتهجَ الربُّ يسوع بهذا الإخفاء والإعلان، وندركَ بشكلٍ أوسع ما ينطوي عليه من تأثيراتٍ على مَهَمَّة التفكيرِ المسيحيِّ، من الضروريِّ أن نوضِّحَ: ما الذي تمَّ إخفاؤه؟ وعنْ مَن؟ وما الذي تَمَّ إعلانه؟ ولمن؟

إخفاءٌ يَسُرُّ اللهَ

ما الشيءُ الذي أخفاه الآبُ عن البعضِ وأعلَنَه لبعضٍ آخر؟ من السِّياقِ الأوسعِ سنقول مع مارشال Marshall إنَّه "إنجيل الملكوتِ، المُصدَّق عليه بكرازةِ المسيحِ وأعماله المقتدِرَة".[75] نقولُ هذا بسبب المناسبة المحدَّدة لفرحِ الربِّ يسوعَ بعودةِ الرُّسُل السَّبعين الذين أرسلهم

النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ... (إشعياء 53:3). في ضوء تعبير الرسول بولس: "كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ" (2 كورنثوس 6:10)، لا ينبغي لنا أنَّ نظنَّ بأنَّ الربَّ يسوع في موقفه لم يكن أبدًا في ملء الفرح الكامل، المؤلِّف.

[75] I. Howard Marshall, *Commentary on Luke* (Grand Rapids: Eerdmans, 1978), 434.

الربُّ ليكرزوا للناس قائلين: ... قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ... (لوقا 10:9-11). وهكذا، يمكن أن ندرِكَ أنَّ ما أُخْفِي وما أُعلِنَ هو حضورُ ملكوتِ الله في خدمة الربِّ يسوع.

يتأكَّد هذا بما يقوله الربُّ في العددين (23-24): "... طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا...". فالسبب في تطويبِ عيونِهم هو أنَّهم الأشخاص الذين أَعْلَن لهم الآبُ ما أخفاهُ عن الآخرين. ويواصلُ الربُّ قولَه بأنَّ ما أُعْلِنَ لهؤلاء "الأَطْفَالِ" هو بعينه ما كان يتوقُ إلى تحقيقِه أنبياءُ وملوكُ العهد القديم، لكن لم ينظروه. إنَّ الفهم الطبيعيَّ للغاية لما أُعْلِنَ هو ظهورُ المسيح لتدشين ملكوت الله. هذا ما تَاقَ الأنبياءُ إلى أن ينظروه.

الربُّ يسوع نفسه هو المسيحُ، والآن، بطريقةٍ لم يتوقَّعْها رُسُلُه، يدَشِّن الربُّ ملكوتَه. ليس بجيوشٍ أو نفوذٍ سياسيٍّ. وإنَّما بطاعتِهِ الذاتيَّة وآلامه وموته وقيامته. إنَّ سِرَّ الملكوتِ هو أن يتحقَّقَ ملكوتُ المسيح في قلبِ التاريخ قبل وقتٍ طويلٍ من بلوغِهِ الاكتمال العالميِّ المجيدِ.[76]

يمكِن لنا أن نرى هاتين المرحلتين من التحقيق لملكوتِ الله؛ أي التحقيق الآنيِّ بالفعل ***already***، والتحقيق المستقبليِّ الذي لم يكتمل بعد ***not yet*** في قول الربِّ يسوع: لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرُقُ مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا ابْنُ الإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ (لوقا 17:24-25). إذًا، هناك مجيءٌ أوَّل للمسيحِ ليتألَّم ومجيءٌ ثانٍ بانتصارٍ مجيدٍ. إلى حدٍّ كبيرٍ، لم يكنْ هذا مُتَوقَّعًا بالنسبة إلى معظم اليهود، الذين تَوَقَّعُوا آنذاك مجيئًا مجيدًا واحدًا فقط لا مجيئين، وهو الأمر الذي كان صعبًا على

---

[76] سِرُّ الملكوت هو مجيءُ الملكوتِ في التاريخ قبل استعلانه الأخرويّ. بإيجازٍ هو "تحقيق لم يصل إلى الاكتمال بعد".

George Ladd, *The Presence of the Future* (Grand Rapids: Eerdmans, 1974), 222.

الإدراك. هذا هو ما أُخْفِي عن البعض وأُعلِنَ لبعضٍ آخر. ومع ذلك، لم يكن هذا هو جوهر ما أُعلِنَ.

جَوهَرُ الأَمْرِ: الآبُ والابْنُ؟

إنَّ الأمرَ في جوهرِهِ شخصيٌّ بدرجةٍ أكبر. يخبرُنا سياقُ النَّصِّ الأقرب إلى (لوقا 21:10) بأكثر تحديدٍ ما أُخْفِيَ وما أُعْلِنَ. بعدما قال الربُّ مباشرةً إنَّه ابتهج بعملِ الآبِ في الإخفاء والإعلان، قال: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الِابْنُ إِلاَّ الآبُ وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الِابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الِابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ (لوقا 22:10). لاحظْ لفظةَ الفعل "يعلن"، بالربط مع العدد 21 الذي يؤكِّد أنَّ الربَّ قد ابتهج لأنَّ الآبَ قد "أَعْلَنَ [هذه الأشياء] للأطفالِ"، وفي العدد 22 يُصَرِّحُ الربُّ إنَّه هو والآب وحدهما يعرفان شيئًا يمكن للآخرين أن يعرفوه إذا **أُعْلِنَ** لهم.

إذًا "الإعلان" في العدد 22 هو بالتأكيد نفس "الإعلان" في العدد 21. ما هو هذا الإعلان؟ هو الهُوِيَّةُ الحقيقيَّةُ للآب والابن. "... لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الِابْنُ إِلاَّ الآبُ وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الِابْنُ". هذا ما أُخْفِيَ عن البعض وأُعْلِنَ لبعضٍ آخر في العدد 21.

مَن يُخْفِي ويُعْلِنُ: الابنُ أم الآبُ؟

لاحظْ شيئًا غريبًا هنا. في العدد 21 يقولُ الربُّ إنَّ اللهَ الآبَ هو من يُخْفِي ويُعْلِنُ: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ... لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ... عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ...". لكن في العدد 22 يؤكِّد الربُّ أنَّه هو نفسه، بوصفِهِ الابنَ، يُعْلِنُ أيضًا: وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ... الآبَ إِلاَّ الابْنُ، **وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ**.

إذًا كيف يرتبطُ هذان الفعلان للإعلان مع بعضهما البعض، أي ما يفعلُهُ الآب وما يفعلُهُ الابن؟ كما رأينا من السِّياقِ النَّصِّيِّ الأوسع، الإعلانُ الذي يعلنه الآبُ (لوقا 21:10) هو الحقُّ المرتبط بسرِّ ملكوتِ المسيحِ، في أنَّ الملكوتَ قد جاءَ في يسوع وأنَّه المسيحُ حقًّا وأنَّ الوقت قد اقترب (لوقا 23:10-24). ويتوافق ذلك مع بيان العدد 22: "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ ...". إدراك المَرْءِ للربِّ يسوع بوصفِهِ المسيَّا وابن الله هو عملُ الله الآب في عقولِ وقلوبِ الأطفال الصغار.

وَسِيلَةُ بُطْرسَ للمَعْرِفَةِ

هذا الأمر مؤكَّد في بشارة مَتَّى عندما سأل الربُّ يسوع تلاميذَهُ: وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 15:16-17). يوضِّح هذا أنَّ ما يعلِنُه الآبُ للبعض دون بعضٍ آخر هو الهُوِيَّةُ الحقيقيَّةُ لشخصِ يسوع: إنَّه المسيحُ ابن الله الحيِّ. ويشيرُ تعبيرُ "اللحم والدم" إلى أنَّ ما نحن عليه بالطبيعة البشريَّة المجرَّدَة[77] التي ليس بإمكانها إدراك مسيَّاويَّة أو ألوهيَّة شخص يسوع لما هو عليه بالحقيقة. لا بُدَّ وأن يعلِنَ اللهُ الآب لنا هذا.

ومن ناحيةٍ أخرى، من الواضح، وَفْقًا لنصِّ (لوقا 22:10)، أنَّ ما يعلِنُه الابْنُ هو الهُوِيَّةُ الحقيقيَّةُ للآبِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ... مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الاِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الاِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. إذًا، كيف يرتبط هذان الفعلان المرتبطان بالإعلان ببعضهما البعض: إعلانُ الآبِ عن الابنِ، وإعلانُ الابنِ عن الآبِ؟

[77] والدليل على هذا الأمر موجود في (1 كورنثوس 50:15؛ غلاطِيَّة 16:1؛ أفسس 12:6؛ العبرانيّين 14:2).

بمعنًى ما، هناك تتالٍ من مرحلةٍ أولى ترتبطُ بعملِ الآبِ في الإعلانِ عن الابنِ إلى مرحلةٍ ثانيةٍ ترتبطُ بعملِ الابنِ في الإعلانِ عن الآب. و**بمعنًى آخر**، هذان الإعلانان متزامنان.

المَرْحَلَةُ الأُولَى فِي مَعْرِفَةِ الآبِ: المَجِيءُ إِلَى الِابْنِ

وفقًا للمعنى الأوَّلِ، من أجل معرفةِ الآبِ، لا بُدَّ أن يأتي المَرْءُ إلى الابْنِ. عندما قال فِيلُبُّسُ للربِّ يسوع: يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ... (يوحنَّا 14:8-9). وهكذا، تتحقَّق معرفة الآب بالمجيء إلى (بمعرفة) الابن. وبناءً عليه، يبدو أنَّ عمل الآب في الإعلان عن الابن يسبق عمل الابن في الإعلان عن الآب.

بكلِّ يقينٍ، يُشارُ إلى هذا الأمر ضمنيًّا في قول الربِّ: لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي... (يوحنَّا 6:44). بتعبيرٍ آخر، قبل أن يُعْلِنَ الابنُ عن الآبِ لشخصٍ ما، يجب أن يأتي هذا الشخص إلى الابنِ. لكنَّ المجيءَ إلى الابنِ يرجعُ إلى عملِ الآبِ المرتبطِ بالإعلانِ عن الابنِ للقيام بما فَعَلَهُ لبطرسَ، لكي يجتذِبَه إلى الابنِ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ [عن هويَّتي الحقيقيَّة]، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. بإعلانِ الآب للرسولِ بطرسَ عن الحقِّ الخاصِّ بشخص يسوع، جَذَبَهُ الآبُ إلى يسوع.

المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي مَعْرِفَةِ الآبِ: شَرِكَةٌ مُتَواصِلَةٌ مَعَ يَسُوعَ

الآن، بالشركةِ مع الربِّ يسوع، نتعرَّف على الهُوِيَّةِ الحقيقيَّةِ للآبِ. هذه هي المرحلةُ الثانيةُ في التتالي: وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ... مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ

الِابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الِابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ (لوقا 22:10). أوَّلاً، نأتي إلى يسوعَ لأنَّ الآبَ أعلَنَ لنا أنَّه "المسيح ابن الله الحيّ". ثانيًا، يُعْلِنُ لنا الربُّ يسوع اللهَ الآبَ في مِلْئِهِ على نحوٍ متزايدٍ.

هذا التتالي يصفُهُ الربُّ يسوع في بشارةِ يوحنَّا وهو يناجي أباه قائلاً: أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي وَقَدْ حَفِظُوا كلاَمَكَ (يوحنَّا 6:17). فالآبُ يجذِبُ الناسَ للابنِ، أي أنَّه يعطيهم للابن، ثمَّ يُعْلِنُ الابنُ لهم عن الآبِ.

هَلْ يَخْتارُ الآبُ أَمْ الِابْنُ أَنْ يُعْلِنَ الآبَ؟

لكن، هناك مشكلتان بقول ذلك بهذه الطريقة. الأولى هي أنَّ ذلك يبدو مناقضًا لنصِّ (لوقا 22:10)، الذي يؤكِّد أنَّ الابنَ هو من يختارُ الذين يُعْلِن لهم الآبَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ... مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الِابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الِابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ (لوقا 22:10). في هذا النصِّ يتمُّ تأكيدُ اختيارِ الابن. فهو يختارُ من يعلِن لهم الآبَ. يبدو ممَّا قلناه إلى الآن أنَّ الآبَ يقومُ بهذا الاختيار الحاسم أي "إعطاء" الناس للابن (يوحنَّا 6:17)، واجتذابهم إليه (يوحنَّا 44:6).

المشكلةُ الثانيةُ ترتبطُ بالطريقةِ التي تكلَّمنا بها عن الإعلانِ إلى الآن أي بوصفِهِ سلسلةً من خطوتين، بدءًا من إعلان الآب عن الابنِ المتبوع بإعلان الابن عن الآب، فهي طريقةٌ تجعل الوحدةَ العميقةَ في هذين الفعلين غامضةً. لأنَّ هذين الفعلين المرتبطين بالإعلانِ هما في الحقيقةِ متزامنان. إنَّهما متميِّزان لكن غيرُ منفصلين.

عندما يُعْلِنُ الآبُ الهُوِيَّةَ الحقيقيَّةَ للابنِ، فإنَّه يعلِنُ عنه بوصفِهِ الإعلانَ الحقيقيَّ عنه. يقول الربُّ: الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ (يوحنَّا 9:14). وبناءً عليه، فإنَّ رؤية الابن بما هو كائن عليه بالحقيقة تعني في ذات الوقت رؤيةَ الآب فيه. هذا ما تعنيه رؤية المسيح بما هو كائنٌ عليه حقًّا: الإله

المُتَجَسِّد، عمَّانوئيل، الله معنا، وبحدِّ تعبير الرسول بولس: مَجْد اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 6:4).

ليس من الخطأ أن نقولَ بوجود تتالٍ، لأنَّنا بالفعلِ نستمرُّ في رؤية المزيد والمزيد عن الله الآب ما دمنا نثبتُ في المسيح ونواصلُ شركتَنا معه. لكن من المُهِمِّ للغايةِ أن نفهمَ أنَّ إدراك الربِّ يسوع بما هو عليه حقًّا (صورة الله الآب) ينطوي على إدراكٍ متزامنٍ لمن هو الآب حقًّا (إنَّه الآبُ الواحِدُ المُعلَنُ في يسوع المسيح).

يساعدُنا إدراك هذا الأمر على حلِّ المشكلة الثانية التي نَوَّهْتُ إليها، وهي أنَّ اختيارَ الآب لمن يرَى الابن يبدو أنَّه يسبقُ اختيارَ الابن لمن يرَى الآبَ (لوقا 22:10). ما رأيناه الآن هو أنَّ عملَ الآبِ في الإعلان عن الابنِ وعملَ الابنِ في الإعلانِ عن الآب مُتَّحدان إلى الغاية حتَّى أنَّهما متزامنان وغيرُ منفصلين.

كلُّ ما يعملُهُ الآبُ، يَعْمَلُهُ الابنُ

هذا ما يبدو أنَّ الربَّ يسوع يقوله في بشارة يوحنَّا: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلا مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ (يوحنَّا 19:5). بمعنًى آخر، الآب والابن مُتَّحدان بشكلٍ عميقٍ حتَّى أنَّه لا يوجدُ تناقضٌ في القولِ، من ناحيةٍ، إنَّ يسوعَ يختارُ من يُعْلِن لهم عن الآبِ، ومن ناحيةٍ أخرى، أنَّ يسوعَ يُعْلِنُ الآبَ لمن اختارَ الآبُ أن يعطيهم له.

عندما يقولُ الربُّ يسوع في بشارة لوقا: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي... (لوقا 22:10)، لا يعني أنَّ الآب لم يَعُدْ يَمْلِكُ ما دَفَعَهُ إلى الابنِ. بل يعني أنَّ الابنَ الآن، في هذا العالم، سيكون له سلطانُ الآبِ ليدعو ويعلِنَ ويخلِّصَ ويدينَ. لذلك، على الرُّغم من أنَّ الربَّ يسوع قال: لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ

يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ... (يوحنَّا 44:6)، قال أيضًا: وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا... (يوحنَّا 16:10). لا بُدَّ أن يجذبهم الآب، ولا بُدَّ أن يأتي بهم الابن. هذه ليست أعمالاً منفصلةً. قال الربُّ يسوع: أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ (يوحنَّا 30:10). الابن في اختيار الآب أن يُعْلِنَ، والآبُ في اختيارِ الابنِ أن يُعْلِنَ. يعملُ الآبُ والابنُ معًا في الإعلان عن مِلءِ أحدهما الآخر من جهةِ المجد والهُوِيَّةِ الحقيقيَّة.

إِجَابَتِي

هذه إجابتي عن السؤالِ: ما الذي أُخْفِيَ وما الذي أُعْلِنَ في (لوقا 21:10)؟ ما أُخْفِيَ وما أُعْلِنَ ليس مجرَّد حضورِ الملكوتِ، بل الهُوِيَّةُ الشخصيَّةُ الحقيقيَّةُ والمجدُ الإلهيُّ للملكِ المسيَّاويِّ وأبيهِ.

ضعْ في الاعتبار أنَّنا نحاولُ الإجابةَ عن السببِ وراء ابتهاج الربِّ يسوع بإخفاء وإعلان هذا الحقِّ. **تَهَلَّلَ** يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ (لوقا 21:10). الآن يمكِن أن نرى بوضوحٍ أكبر أنَّ ابتهاجَ الربِّ يسوع بهذا الإخفاءِ والإعلانِ هو ابتهاجُ الله الآب أيضًا. هما واحدٌ في هذا الفعل؛ أي فعل الإخفاء والإعلان.

السؤالُ الجديدُ: عَمَّن أُخْفِي هذا؟

إنَّ سؤالنا يتغيَّرُ الآن: **عنْ مَن** أُخْفِيتْ هذه الأمور؟ **ولمن** أُعْلِنَتْ؟ إن عرفنا هذا، ربَّما نكونُ قادرين على إجابةِ السؤالِ المرتبط بسببِ ابتهاجِ الآبِ والابْنِ بهذا الإخفاء والإعلان.

يقول الربُّ يسوع إنَّ هذه الأمورَ أُخْفِيتْ عن "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ"، ولكن أُعْلِنَتْ "لِلأَطْفَالِ الصغار". من الجَلِيِّ أنَّ تعبيرَ "الأَطْفَال الصغار" لا يشير إلى أطفالٍ بعمر ستَّة أشهر. إنَّما يشير في هذا العددِ إلى التلاميذِ. فقد

الْتَفَتَ [الربُّ يسوع] إِلَى **تَلاَمِيذِهِ** عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ لهم: طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! إذًا، تعبيرُ "الأَطْفَال الصغار" يشيرُ إلى التلاميذِ الذين يَنْعَمُون ببركةِ رؤية ما اختار الابنُ أن يعلنَهُ لهم.

إذًا، يشير التعبيران: "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ"، و"الأَطْفَال الصغار" إلى فئتين من الناس تجاوَزَتْ مرحلةَ الطفولةِ. إنَّهم ليسوا أطفالاً في سنِّ الرضاعةِ. لكن على وجه التحديد، أيُّ نوعٍ من الأشخاص هم؟

لَيْسَ كُلُّ الحُكَمَاءِ مَرفُوضِين

لا يُنْظَرُ إلى كلِّ "الحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" بشكلٍ سلبيٍّ. على سبيل المثال، يقول الربُّ: لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ **وَحُكَمَاءَ** وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ (مَتَّى 34:23). لفظة "حُكَماء" هنا، وهي نفس اللفظة في نصِّ (لوقا 21:10) هُم المُرسَلون الحقيقيُّون من الربِّ يسوع، أي رُسُله. هؤلاء "الحكماء" ليسوا مستبعدين. لقد حملوا رسالةَ الربِّ يسوع ونادوا باسمه. لذلك ليس من الصائبِ أن نقولَ إنَّ **كلَّ** حكمةٍ تتعارضُ مع إعلان الله. لا بُدَّ أنَّ الربَّ كان يضع في اعتباره أنواعًا مختلفة من الحكمة، وفئاتٍ مختلفةً من "الحُكَمَاءِ".

لَيْسَتْ كُلُّ طُفُولِيَّةٍ جَيِّدَةً

لَيْسَ ذلك فحسب، بل إنَّ وَصْفَ أَيَّةِ مجموعةٍ بأنَّهم "أطفال صغار" لا يُنْظَرُ إليه دائمًا على أنَّه أمرٌ جديرٌ بالثناءِ. على سبيل المثال، حذَّر الرسول بولس من ضعف وهشاشة الحالة العقليَّة للطفل عندما قال إنَّ القساوسة والمعلّمين عليهم إعداد القدِّيسين: كَيْ لاَ نَكُونَ فِي **مَا بَعْدُ أَطْفَالاً**

مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ (أَفَسُس 14:4).

في المقابل، ينبغي لنا أن نكونَ ناضجين لدينا قدرة على التفكير والتمييز، مستخدمين عقولنا لتحديد وتجنُّب أيَّة اتِّجاهاتٍ ماكرة من أيَّةِ تعاليمَ كاذبةٍ. أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ **تَكُونُوا أَوْلاَدًا** فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ (1 كورنثوس 20:14). إذًا، من البَيِّنِ أنَّ كلَّ ما يرتبط بالأطفال أو الرُضَّع جديرٌ بالمحاكاة، وخاصَّةً محاكاة سذاجتهم [وخاصَّةً في فهم الشرِّ].

اتِّضَاعُ الطُّفُولَةِ هُو المِفْتاحُ

من ناحيةٍ أخرى، كان الربُّ يسوع مُغرمًا بتقديم الأطفال ليشير بهم إلى نوعيَّة الأشخاص الذين يقبلُون المَلَكُوتَ. قال الربُّ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ (مرقس 15:10). وأيضًا قال: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 14:19). وأخيرًا قال: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 3:18-4).

يبدو من النصِّ الأخير في (مَتَّى 4:18) أنَّ وجهَ الشبهِ الطفوليِّ الذي يؤكِّده الربُّ يسوع هو الاتِّضاع. "... فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ...". ولعلَّه لا يقصد أنَّ الأطفالَ بالطبيعة متواضعون، لكنَّهم، كأطفالٍ صورٌ للتواضعِ. أي أنَّهم سعداء بالاتِّكال على آبائِهم وأمَّهاتِهم من أجل المساعدة في كلِّ نواحي عجزِهِم الواضِح. ليس بإمكان الأطفال الصِّغار إطعامُ ذواتِهم، أو تنظيفُ أنفسهم، أو التَّنقُّلُ بمفردِهِم. ليس بإمكانهم ارتداءُ الملابسِ أو حمايةُ ذواتِهِم. إنَّهم يعتمدون تمامًا على شخصٍ ما ليرعاهم وَيُلَبِّي

احتياجاتهم. وهكذا، يتحدَّث الربُّ عن نوعيَّة إنسانٍ اتِّكالُه كبيرٌ ومتواضعٌ بما فيه الكفايَةِ ليتلَقَّى المساعدةَ التي يحتاجها حقًّا من الله.

إذًا، من المفترض أنَّ "الْحُكَمَاءَ وَالْفُهَمَاءَ" أناسٌ متكبِّرون. هل هذا هو المِفْتاحُ وراء إخفاء الحقِّ عنهم، وإعلانه "للأَطْفَالِ الصغار"؟ هل هذا هو المفتاح لابتهاجِ الربِّ يسوع بهذا الإخفاء والإعلان؟ قبل إكمال الإجابة، وَجَدْتُ أنَّه من المُفيدِ جِدًّا أن أنتقلَ إلى موضِعٍ قد تناوَلَ فيه الرسول بولس هذه القضيَّة بالذات: الحِكْمَةُ المَخْفِيَّةُ عن الحُكماءِ. ولذلك، ننتقل الآن إلى الرسول بولس، ثمَّ في نهاية الفصل (11) نعودُ مرَّةً أخرى إلى نصِّ (لوقا 21:10).

20أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هَذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ
يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟ 21لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ
اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ
بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ 22لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ
حِكْمَةً 23وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً
وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! 24وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ
فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.

(1 كورنثوس 1:20-24)

الفصل الحادي عشر

فِي حِكْمَةِ اللهِ
لم يَعْرِف العَالمُ اللهَ بالحِكْمَةِ

ما زلنا نواصلُ تحليلَ ركيزتين متهاويتين على نحوٍ متزايدٍ، لكن مناهضتين للتفكيرِ العقليِّ. تستندُ الركيزة الأولى على تصريحِ الربِّ يسوع: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ (لوقا 21:10). بدأنا في الفصلِ السابقِ الصراعَ مع هذا النصِّ، إذ يبدو، من الناحيةِ الظاهريَّةِ، وكأنَّه يقوِّض الهدفَ الرئيسَ لهذا الكتابِ، وهو أنَّ التفكيرَ، على وجه التحديد، أساسيٌّ للتعرُّفِ على الله؛ فالتفكيرُ السامي ضروريٌّ لمعرفةِ اللهِ بشكلٍ ناضجٍ. يبدو من النصِّ أنَّ الربَّ يسوع يرفعُ من شأنِ التفكير الطفوليِّ ويُحُطُّ من شأن العقلاءِ. سوف نعودُ إلى هذه النقطة في نهاية هذا الفصل.

الاسْتِمَاعُ إِلَى رَسُولِ الربِّ يَسُوعَ وهُو يُعالِجُ قَضِيَّتَنا

لكن قبل إكمالِ مُعالجةِ نصِّ (لوقا 21:10)، سيكونُ من المُجْدِي مشاهدةُ الرسولِ بولس وهو يصارعُ مع نفسِ هذه القضيَّةِ. لذلك، دعونا نستمعُ أوَّلاً إلى معالجةِ الرسولِ لها في نصِّ (1 كورنثوس 1:17-2:16)، وهو المقطعُ الوحيدُ في كلِّ الكتاب المقدَّس الذي يتعامل بشكلٍ موسَّعٍ مع

هذه المسألةِ بعينها، أي موضوع "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" في ما يرتبط بحكمةِ الله "المكتومة *hidden*".

في (1 كورنثوس 19:1) يقتبسُ الرسولُ بولس من (إشعياء 14:29) على النحو: "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: سَأُبِيدُ حِكْمَةَ **الْحُكَمَاءِ** وَأَرْفُضُ فَهْمَ **الْفُهَمَاءِ**". وفقًا للأصل اليونانيِّ، لفظتي: "الْحُكَمَاءِ، الْفُهَمَاءِ" هما بالضبط نفس المفردات في قولِ الربِّ يسوع بحسب نصِّ البشير لوقا: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ **الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ** وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ (لوقا 21:10). وبناءً عليه، يبدو من التماثل بين المفردات، أنَّنا نتعاملُ مع نفسِ القضيَّة في الفصولِ الأولى من الرسالةِ إلى أهل كورنثوس مثلما تعامَلَ معها الربُّ يسوع في (لوقا 21:10-22)، وتحديدًا التعامل مع نوعٍ معيَّنٍ من "الحِكْمَةِ"، و"الفهمِ" من شأنهما إبعاد الإنسان عن اللهِ والحقِّ المرتبط به.

قَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ بأنَّ حِكْمَةَ البَشَرِ لا تَعْرِفُه

يتحدَّث الرَّسول بولس أيضًا عن حِكْمَةِ الله بكونها مكتومةً، تمامًا كما فعل الربُّ يسوع في (لوقا 21:10). على سبيل المثال، يقولُ الرسول: لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ **فِي حِكْمَةِ اللهِ** لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ..." (1 كورنثوس 21:1). بتعبيرٍ آخر، لقد قرَّر الله بحسب **حِكْمَتِهِ** أنَّ الحكمةَ البشريَّةَ لن تكون السبيلَ إلى معرفتِهِ. لقد حَتَّمَتْ حكمةُ اللهِ بضرورةِ احتجاب الله ذاته بعيدًا عن "حكمةِ [العالم]".

مرَّةً أخرى، يقولُ الرسولُ بولس: "بَلْ نَتَكَلَّمُ (نجود بِ) بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ (1 كورنثوس 2:7-8). إنَّ حكمةَ الله لا تماثلُ حكمةَ هذا الدهرِ، ولذلك أضحى

عُظَمَاءُ هَذَا الدَّهْرِ عميانًا من جهتها. وهكذا أُخْفِيَتْ عنهم. كانتْ خطَّةُ الله، كما أعلن الربُّ يسوع، إخفاءَ حكمتِهِ (بما في ذلك هُوِيَّته الحقيقيَّة) عن معظم "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ".

على نفسِ المنوالِ، يقولُ الرسول بولس: فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءُ حَسَبَ الْجَسَدِ... بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ... (1 كورنثوس 1:26-27). اختارَ اللهُ أن يفعل هذا. وهذا ما صَرَّحَ به الربُّ يسوع أيضًا في (لوقا 21:10). لقد اختارَ أن يتجاهلَ معظمَ "الحكماءِ" عندما استهلَّ القيامَ بـ "دعوته" وعملِهِ الإعلانيِّ عن أبيهِ. وهكذا، من الواضح أنَّ الرسولَ بولس يتعامَلُ مع حكمةٍ مُعْلَنَةٍ إلهيًّا، ولكنَّها مخفيَّةٌ عن البعض، ومعلنةٌ لبعضٍ آخر، على غرارِ الطريقةِ التي تحدَّثَ بها الربُّ يسوع في (لوقا 21:10).

نَوعَان مِنْ الحِكْمَةِ ونَوعَان مِنْ الحُكَمَاءِ

في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورنثوس، فكرَةُ "الحِكْمَةِ" بالنسبةِ إلى الرسولِ بولس مشحونة بما هو سلبيٌّ، وما هو إيجابيٌّ. من الناحيةِ الإيجابيَّةِ يقولُ الرسول بولس الآتي:

- الكرازة بِالْمَسِيحِ مصلوبًا "قُوَّةَ اللهِ **وَحِكْمَةَ** اللهِ" (1 كورنثوس 1:24).
- المَسِيحِ نفسه "صَارَ لَنَا **حِكْمَةً** مِنَ اللهِ" (1 كورنثوس 1:30).
- لَكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ **بِحِكْمَةٍ** بَيْنَ الْكَامِلِينَ (1 كورنثوس 2:6).
- بَلْ نَتَكَلَّمُ **بِحِكْمَةِ** اللهِ فِي سِرٍّ: **الْحِكْمَةِ** الْمَكْتُومَةِ الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا (1 كورنثوس 2:7).

إذًا، تبعًا لطريقةِ تفكير الرسول بولس، من ناحيةٍ ما، هناك "حِكْمَةٌ" إيجابيَّة تمامًا. لكن من ناحيةٍ أخرى، هناك "حِكْمَةٌ" يعتبرُها الرسولُ سلبيَّةً للغايةِ:

- لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ - لاَ **بِحِكْمَةِ** كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ (1 كورنثوس 17:1).
- أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ ... أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ **حِكْمَةَ** هَذَا الْعَالَمِ؟ (1 كورنثوس 20:1).
- لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ **حِكْمَةً** وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا... (1 كورنثوس 22:1-23).
- لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ **أَحْكَمُ** مِنَ النَّاسِ! ... (1 كورنثوس 25:1).
- فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ **حُكَمَاءُ** حَسَبَ الْجَسَدِ... (1 كورنثوس 26:1).
- وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ... لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ **الْحِكْمَةِ** مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللهِ (1 كورنثوس 1:2).
- وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ **الْحِكْمَةِ** الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ (1 كورنثوس 4:2).
- لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ **بِحِكْمَةِ** النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ (1 كورنثوس 5:2).
- الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا **حِكْمَةٌ** إِنْسَانِيَّةٌ بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ... (1 كورنثوس 13:2).
- ... إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَلْيَصِرْ جَاهِلاً لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا! لأَنَّ **حِكْمَةَ** هَذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ. وَأَيْضًا: الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ (1 كورنثوس 18:3-20).

كلُّ هذه الاستخدامات السابقة أعلاه للفظة "الحكمة" استخدامات سلبيَّة.

حِكْمَةُ اللهِ مُقَابِل حِكْمَةِ الإِنْسانِ

ما الفرقُ بين الحكمةِ التي يرفضُها الرسولُ بولس والحكمةِ التي يرحِّبُ بها؟ يمكِن أن نرَى الإجابةَ النهائيَّةَ عن هذا السؤال في المفرداتِ التي تَصِفُ نوعَي الحكمةِ. نَوْعٌ يُوصَفُ بأنَّه "حِكْمَةُ العَالَمِ" (1 كورنثوس 20:1؛ 19:3)، "حِكْمَةُ النَّاسِ" (1 كورنثوس 5:2)، "حِكْمَةٌ حسب الجسد" أي حَسَب مقاييسِ العالَم (1 كورنثوس 26:1)، "حِكْمَةٌ بشريَّةٌ" (1 كورنثوس 13:2). أمَّا النَوْعُ الآخر من الحكمَةِ فإنَّ الرسولَ يصِفه ثلاثَ مرَّاتٍ بأنَّه "حِكْمَةُ الله" (1 كورنثوس 24:1؛ 7:2)، ومرَّةً بأنَّها حِكْمَةٌ "لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ" (1 كورنثوس 6:2). ولذلك، فإنَّ الفرقَ النهائيَّ بين هذين النوعين من الحكمةِ هو أنَّ أحدَهما إلهيَّةٌ والأخرى بشريَّةٌ.

ما الفرقُ إذًا بين حكمةِ الإنسان وحكمةِ الله؟ إحدى طرائق الإجابة عن هذا السؤال هي أن نلاحظَ من كلامِ الرسولِ بولس أنَّ الحكمةَ البشريَّةَ تبطِلُ المغزَى لصليب المسيح (1 كورنثوس 17:1، 23)، أمَّا حكمةُ الله فتؤكِّد مغزَى هذا الصليب. يقولُ الرسول: لو أنَّه جاءَ ليكرزَ "بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ"، لكان من الممكِن أن يفْقِدَ صليبُ المسيحِ قوَّتَهُ (ع. 17). ويضيفُ أنَّ "الْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً"، ولهذا يعتبرون الكرازة بالصليب "حَمَاقَةً" (1 كورنثوس 23:1). إذًا، هناك شيءٌ يرتبطُ بالحكمَةِ البشريَّةِ يبطِلُ الصليبَ معتبرًا إيَّاهُ جهالةً، بينما الصليبُ، في الحقيقةِ، هو "حِكْمَة اللهِ" (1 كورنثوس 24:1).

الصَّلِيبُ فَاصِلٌ مَرْكَزِيٌّ بين الحِكْمَةِ البَشَرِيَّةِ والحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ

يمكِنُنا القولُ إذًا بأنَّ الفرقَ الجوهريَّ بين الحكمةِ الإلهيَّةِ والحكمةِ البشريَّةِ هو أنَّ حكمةَ اللهِ تحتفي بما يمثِّلُهُ الصليبُ، أمَّا الحكمةُ البشريَّةُ

تتعثَّرُ به. ماذا يُمَثِّل الصليبُ؟ يشيرُ الصليبُ إلى مدى فُجْر الإنسان وعجزِهِ (رومية 6:5)، إلى نعمةِ الله غير المُستحَقَّةِ (رومية 24:3)، إلى عدالةِ الله الثابتةِ (رومية 25:3-26).

بتعبيرٍ آخر، ما يُعثِرُ الحكمةَ البشريَّةَ عن الصليب هو أنَّه يُعْلِنُ حقيقةَ وضاعةِ الإنسانِ، وفي المقابلِ يحتفي بنعمةِ الله غير المُستحَقَّةِ. يظْهِر الصليبُ أنَّ البشرَ اعتماديُّون عاجزون، كالأطفال الصغار، في حين يعلِنُ أنَّ اللهَ كلِّيُّ الكفايةِ والتدبير ويَنْعَمُ بحرِّيَّةٍ مُطلقةٍ في أن يَهَبَ الخلاصَ للخطاةِ.

السببُ في وَصْفِ الصليبِ بـ "حِكْمَةِ اللهِ" (1 كورنثوس 24:1) هو أنَّ جوهرَ حكمةِ الله هو التزامُه، في عمل الخلاص، بإعلاءِ وترفيع مجدِ نعمةِ الله لأجلِ نعيمِ شعبِهِ الأبديِّ. بإمكانك أن ترى كيف يجتمعُ مجدُ الله وفرحُنا معًا في (1 كورنثوس 9:2). يَصِفُ الرسول بولس محتوَى حكمَةِ الله بما أعدَّه الله لمن يحبُّونه. وما هذا؟ يجيبُ الرسولُ في رسالته إلى أَفَسُس بأنَّ الله قد خلَّصنا "لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أَفَسُس 7:2).

إذًا، جوهرُ حكمةِ الله هو وَلَعُ الله لإظهارِ مجد نعمتِهِ في المسيح من أجل الفرحِ الأبديِّ لمن يؤمنون. وبما أنَّنا جميعًا خطاةٌ لا نستحقُّ، فإنَّ الصليبَ هو مَرْكَزُ هذه الحكمةِ. دون الصليبِ ما كان لنا أن نقتنيَ هذه الحكمةَ.

حِكْمَةٌ تُبْطِلُ التَّفَاخُرَ

إنَّ طبيعةَ حكمةِ الله تحدِّد طريقةَ استعلانها ومعرفتها، وعلى وجه التحديد تضَعُ حدًّا لافتخارِنا بذواتنا، ولكن تدعمُ افتخارنا بالربِّ. يمكِن أن

نرى هذا بشكلٍ أكثر وضوحًا في قولِ الرسول بولس: اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ... لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ (1 كورنثوس 1:27-29).

ونرى ذلك أيضًا في قول الرسول: ... الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ. إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ (1 كورنثوس 3:20-21). وبما أنَّ حكمةَ الله تهدفُ إلى تعظيمِ مجد نعمتِهِ في المسيحِ المصلوبِ، فإنَّ الله يعلِنُ هذه الحكمةَ بشكلٍ يبطِلُ كبرياءَ الإنسانِ وافتخارِهِ.

لتوضيحِ الأمر بشكلٍ إيجابيٍّ، يضيفُ الرسول بولس في نفس الرسالة أنَّ المسيحَ المصلوب... صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ... كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ (1 كورنثوس 1:30-31). بتعبيرٍ آخر، لا تهدفُ حكمةُ الله إلى أن نكفَّ فقط عن الافتخارِ بذواتنا، بل إلى أن نفتخرَ بالمسيحِ. إنَّ جوهرَ حكمةِ الله هو تمجيدُ مجد نعمتِهِ المُعلَنَةِ في المسيح المصلوب.

يُقاوِمُ اللهُ أنْ يَعْرِفَهُ البَشَرُ بِحِكْمَتِهِم الذَّاتِيَّة

يمكِن أن نرى جوهرَ الحكمةِ الإلهيَّةِ في واحدٍ من أكثرِ النصوصِ اللافتة في هذا القِسْمِ، والتي تشبه إلى حدٍّ كبير نصَّ (لوقا 10:21)، الذي فيه تهلَّل الربُّ يسوع قائلاً: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ... لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ". وهو نفس مضمون ما يقوله الرسول بولس: "لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ، فِي حِكْمَةِ اللهِ، لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ [أي بحكمته] ..." (1 كورنثوس 1:21). لاحظ عبارة "**فِي حِكْمَةِ اللهِ**"، والتي تعني أنَّ حكمةَ الله قد دبَّرَت ألاَّ يعرفَ البشرُ اللهَ بحكمتِهِم.

بعد كلِّ ما رأيناه عن طبيعةِ وغرضِ حكمةِ الله، يمكن أن نرى الآن المبرِّرَ وراء ذلك. إن وَجَدَ البشرُ اللهَ وعرفوه بحكمتِهِم وذكائِهِم الفطريِّ،

ستكون لهم القدرةُ على التباهي بأنَّهم اجتازوا الفجوةَ الفاصلة بينهم وبين الله، وبأنَّهم تغلَّبُوا ليس فقط على الفجوة الفاصلة بين المحدودِ وغير المحدودِ، بل أيضًا على الفجوةِ الفاصلة بين الخطيَّةِ والقداسةِ. ولمنعِ هذا النوع من التَّفَاخُر، لم يصَمِّمْ اللهُ العالمَ بهذِهِ الطريقةِ. **فِي حِكْمَةِ اللهِ**، لَمْ يَعْرِفِ العالم اللهَ بِالْحِكْمَةِ [**أي بحكمته**] ..." (1 كورنثوس 21:1). لقد خَطَّط الله هذا النوعَ من الإخفاء.

أيضًا في حِكمة الله "... اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ" (1 كورنثوس 21:1). وما يُسمَّى "بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ" هو كلمةُ الصليب التي تُعَدُّ جهالةً في نظرِ الإنسانِ لكنَّها عينُ الحكمةِ في نظرِ الله. إذًا، معرفةُ الله عن طريق حكمةِ العالمِ تتعارضُ مع كون المَرْء مخلَّصًا بالإيمان عن طريق رسالةٍ موضوعُها المسيحُ المصلوبُ.

المغزى هنا هو أنَّه لا معرفةً حقيقيَّةً عن الله ولا نجاةً دون اتِّكالٍ على نعمةِ الله في المسيحِ المصلوب؛ اتِّكال يشبِهُ اتِّكالَ الطفل على أبيه. فإن لم نكنْ على استعدادٍ بأن ندركَ أنَّنا خطاةٌ عاجزون وفجَّارٌ، ومتَّكِلُون فقط على نعمةِ الله في المسيحِ طلبًا للرحمة، لن نعرفَ اللهَ أو نختبرَ الخلاصَ بواسطته.

الفَرْقُ النِّهَائِيُّ بينَ حِكْمَةِ اللهِ وحِكْمَةِ الإِنْسانِ

بناءً على ما سَبَقَ، ربَّما نَخْلُصُ إلى أنَّ الفرقَ النهائيَّ بينَ حِكْمَةِ اللهِ وحِكْمَةِ الإِنْسانِ يكمنُ في طريقةِ ارتباط كلٍّ منهما بمجدِ نعمةِ الله في المسيحِ المصلوب. تجعلُ حكمةُ الله من مجدِ نعمةِ الله كنزَنا الأسمى. أمَّا حكمةُ الإنسانِ فتجِدُ مسرَّةً في أن يرى الإنسانُ نفسَهُ واسِعَ الحيلةِ، مكتفيًا بذاتِهِ، يقرِّرُ مصيرَه بنفسِهِ، غيرَ متَّكلٍ نهائيًّا على نعمةِ الله المجَّانيَّة.

تبدأُ الحكمةُ الإلهيَّةُ بوعيٍ مع اللهِ. رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ (المزمور 10:111)، ويسنِدُها اللهُ بوعيٍ، أمَّا غايتُها الواعية فهي مجدُ الله. وقد بَلَغَتْ الحكمةُ الإلهيَّةُ ذروتَها في صليبِ المسيح، لأنَّ الصليبَ هو طريقُ الخلاص الذي يُظْهِرُ من ناحيةٍ مدى وضاعةِ الإنسانِ، ومن ناحيةٍ أخرى يحتفي بنعمةِ الله. عند استعلانِ الحكمةِ الإلهيَّةِ للبشرِ في موتِ المسيح، تكونُ نتيجتُها خلاصَنا واتِّضاعَنا إزاء قيامها من أجلنا بما لم نقوَ نحنُ على القيامِ به من أجلِ أنفسنا.

العَودَةُ إِلَى أَسْئِلَةِ الفَصْلِ السَّابِقِ

الآن، نحن في وضعٍ يسمحُ لنا بشكلٍ تأكيديٍّ كبيرٍ بالإجابةِ عن الأسئلةِ التي أُثيرتْ في الفصلِ السابقِ بشأنِ النصِّ الوارد في (لوقا 21:10). يخبرُنا البشير لوقا أنَّ الربَّ يسوع تَهَلَّلَ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. من هم الْحُكَمَاء وَالْفُهَمَاء؟ ومن هم هؤلاء الأَطْفَال الصغار؟ ما رأيناه في رسالة الرسول بولس لأهل كورنثوس يتماشَى مع ما رأيناه في بشارة لوقا.

الأَطْفَالُ الصِّغَارُ

"الأطفالُ الصغارُ" هم من يعرفون ويشعرون في ذواتِهم بالعجزِ، وأنَّهم غيرُ مستحقِّين لأيِّ شيءٍ صالحٍ من الله. هم من يتخلَّون عن كلِّ كبرياء أو تباهٍ. هم من يشعرون في ذواتِهم بأنَّه ليس لديهم أيَّةُ قدرةٍ أو حيلةٍ تُمَكِّنهم من معرفةِ الله أو إنقاذِ أنفسهم من الدينونةِ. هم من يُقِرُّون أنَّه من دون إعلانٍ إلهيٍّ خاصٍّ لن يدركوا الواقعَ الأكثرَ أهمِّيَّةً، أو حتَّى يعرفوا السبيلَ إلى الحياةِ وَفْقًا للحقِّ. هم من يعترفون بكلِّ اتِّضاعٍ أنَّهم إذا عرفوا

الله بما هو عليه حقًّا، فإنَّ ذلك بسبب نفس عمل النعمةِ الإلهيَّةِ الرائع الذي صَرَّحَ به الربُّ يسوع عقبَ اعتراف الرسول بطرس: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 17:16).

هؤلاء "الأطفال الصغار" على هذا الجانبِ من الصليبِ يدركون أنَّهم يتَّكلون بالتمامِ على موتِ المسيحِ ليخلِّصَ نفوسَهم، ويفتحَ لهم أبوابَ الحكمةِ. لأنَّه من دون موتِهِ الكفَّاريِّ والبديل، ينقطع أمامهم سبيل الوصول إلى الله وحكمته. يؤمن هؤلاء الأطفال بشوقٍ ورجاءٍ وثقةٍ أنَّ المسيحَ هو السبيلُ إلى الحكمة، بل هو الحكمةُ بكلِّ جملتِها (1 كورنثوس 30:1؛ كولوسِّي 3:2).

هؤلاء "الأطفال الصغار" هم "الروحانيُّون" الذين يشيرُ إليهم الرسول بولس في (1 كورنثوس 15:2)، بأنَّ روحَ الله قد علَّمَهم الاتِّضاع ومن ثَمَّ تَمَكَّنوا من رؤية موت المسيح باعتباره حكمةَ اللهِ المجيدةَ. لأمثالِ هؤلاء يعلِنُ الآبُ الابنَ، وفي المقابل يعلِنُ لهم الابنُ عن الآبِ. هؤلاء الأطفال هم الذين يقبلون كلمةَ الصليب لأنَّها ليستْ جهالةً بالنسبة إليهم. بعملِ النعمة تكون طفوليَّتُهم في المكان الصحيح: أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ (1 كورنثوس 20:14).

الْحُكَمَاءُ وَالْفُهَمَاءُ

أمَّا "الْحُكَمَاءُ وَالْفُهَمَاءُ" فإنَّهم من ناحيةٍ أخرى يستاؤون من "كلمةِ الصليب". الصليبُ حماقةٌ بالنسبة إليهم، لأنَّه يكشفُ عجزَ البشريَّةِ كلِّها وعدمَ استحقاقها. فالصليبُ يُجِلُّ نعمةَ الله، ويَحُطُّ من قدرِ أيِّ تباهٍ وافتخارٍ عدا الافتخار بالربِّ. ما يسرُّ الحكماءَ والفهماءَ هو تمجيدُ الذات وتقريرُ مصيرها بشكلٍ مستقِلٍّ. ولذلك، يقاومون أيَّ شيءٍ يتعارضُ مع

إحساسهم بالاكتفاء الذاتيِّ وسِعَة الحيلة. يرغبون في أن ينسبَ الناسُ الفضلَ لهم، وأن يقدِّموا لهم الثناءَ والمديحَ لإنجازاتهم الفكريَّةِ.

لقد أظهرتْ حكمةُ "الْحُكَمَاء وَالْفُهَمَاء" تقدُّمًا علميًّا لافتًا. لكنَّها تجاهَلَتْ الواقعَ الأكثرَ أهمِّيَّةً: الواقعُ الإلهيُّ. من ناحيةٍ، هذه الحكمةُ مذهلة بما حقَّقَتَه من إنجازاتٍ، ومن ناحيةٍ أخرى، صاعقةٌ في غبائِها الذي يُفَوِّت عليها الشيءَ الرئيسَ. إنَّ حكمةَ "الحكماءِ والفهماءِ" لا تنطلقُ من الله؛ ولا تعي بأنَّ اللهَ قادرٌ على أن يسندَها، وأخيرًا ترفضُ قصدَ الله للكونِ، وهو إظهارُ مجدِهِ بشكلٍ رئيسٍ عن طريق المسيح المصلوب من أجل الخطاة.

يبتهج "الْحُكَمَاءُ وَالْفُهَمَاءُ" "بِحِكْمَةِ العَالِمِ"، الملتزمةِ بشدَّةٍ بأن تجعلَ الإنسان (أو المخلوق) معيارًا لكلِّ شيءٍ بدلاً من الله الخالق. تقفُ هذه الحكمةُ خادمةً لكبرياءِ الإنسانِ وتدعمُها في إنجازاتها المتميِّزة. هؤلاء هم الناس الذين يُخْفِي اللهُ نفسَهُ عن ناظريهم بحسب ما ورد في (لوقا 21:10؛ 1 كورنثوس 21:1).

يَبْتَهِجُ اللهُ بالاخْتِفَاءِ عنْ الحُكَمَاءِ البَشَرِيِّين

لا يُخْفِي الله نفسَهُ فحَسْب، بل يؤكِّد نصُّ البشير لوقا أنَّه يتهلَّل بفعل هذا (لوقا 21:10). يقول البشير: ... تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ"، وحرفيًّا: تأتي اللفظة مَسَرَّة في اليونانيَّة على النحو "**εὐδοκία إفْدُوكِيا**".

يؤكِّدُ الرسولُ بولس نفسَ النقطة في رسالته إلى أهل كورنثوس بلفظة فعليَّة وثيقة الصلة بلفظة "مَسَرَّة" في (لوقا 21:10)، وذلك بقوله: لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ، فِي حِكْمَةِ اللهِ، لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ **اسْتَحْسَنَ**

[**إفدوكيسن εὐδόκησεν**] اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ (1 كورنثوس 21:1). إنَّ الله يُسَرُّ بما تمليه عليه حكمَتُهُ. يَجِدُها مُرْضِيةً له بشكلٍ تامٍّ. لذلك، عندما تقرِّرُ حكمةُ الله أنَّ الحكمةَ البشريَّةَ المتشبِّثةَ بالكبرياء لن تعرفَ اللهَ، بينما يؤدِّي الاعتمادُ الطفوليُّ على المسيح إلى معرفةِ الله، فإنَّه يُسَرُّ بهذا. هذا الأمرُ يرضيه بشكلٍ تامٍّ.

إذًا، مِنْ أَيْنَ هَذه المَسَرَّةُ الإلَهِيَّةُ؟

نحن الآن في وضعٍ يتيحُ لنا الإجابة عن السؤالِ: لماذا يفرحُ الله (الآب والابن والروح القدس[78]) بأن يخفِيَ نفسَه عن "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" ويعلِنَ نفسَه "للأَطْفَالِ الصِّغارِ"؟ لكي نرى الإجابة على أكملِ وجهٍ، علينا أن ندرِكَ أنَّ فرحَ الله يكمُنُ بشكلٍ نهائيٍّ في إظهار مجده، وخاصَّةً مجد نعمته.[79] يقول النبيُّ: "فَيُخْفَضُ تَشَامُخُ الإِنْسَانِ وَتُوضَعُ رِفْعَةُ النَّاسِ وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ" (إشعياء 17:2). إنَّ قَصْدَ الله عبر تاريخِ الفداء هو إخضاعُ الكبرياء المميتة للإنسان والاحتفاءُ بمجدِ نعمتِهِ في عبادة شعبه التي تمجِّد المسيح. لذلك يُسَرُّ الله بكلِّ ما يُسهِم في ذلك.

لذلك، يُسَرُّ الله بأن يُعْلِنَ ذاته "للأَطْفَالِ الصِّغَارِ" لأنَّ هذا يسلِّط الضوء على الكفايةِ الكلِّيَّة لله بدلاً من كفايةِ الإنسانِ. لا يَجِدُ "الأَطْفَالُ

---

[78] إنَّ مشاركةَ الروح القدس في هذه المسرَّةِ جليَّةٌ من (لوقا 21:10) بقول البشير: تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ. أَجِدُ أنَّ ذلك يعني أنَّ فرح المسيح بفعلي الآب في الإخفاء والإعلان يَحُثُّ ويُصَدِّقُ عليه الروح القدس.

[79] دافعتُ عن هذا الرأي بتفصيلٍ كبيرٍ في كتابَي: "المسرَّات الإلهيَّة"، و"لتبتهج الأمم".
The Pleasures of God: Meditations on God's Delight in Being God (Sisters, OR: Multnomah, 2000), 97–120; and *Let the Nations Be Glad: The Supremacy of God in Missions*, third edition (Grand Rapids: Baker, 2010), 39–46.

الصِّغَارُ" رجاءً في الاكتفاء الذاتيّ، بل يحوِّلون نظرَهم بعيدًا عن عجزِهم وخطيَّتهم إلى نعمةِ الله في المسيح. ولذلك فإنَّ دافعَ الله في أن يُعْلِنَ ذاتَه لمثلِ هؤلاء هو أن يعلنَ بوضوحٍ أكبر جمالَ وقَدْرَ نعمتِهِ. إنَّ قلبَ هؤلاء "الأَطْفَالِ الصِّغَارِ" يعظِّمُ من شأنِ نعمة الله، بينما قلبُ "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" يعظِّم من تقرير المَرْءِ لمصيره بشكلٍ مستقِلٍّ، واعتداده باكتفائه الذاتيّ. من أجل ذلك فرح الله باستعلان مجد نعمته هو السبب في ابتهاجه بإعلان هذا المجد "للأَطْفَالِ الصِّغَارِ".

من ناحيةٍ أخرى، فهو يخفي هذا المجد عن "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ" لأنَّهم إن عرفوا الله دون أن يصيروا "أطفالاً"، يلتبسُ عليهم مجدُ نعمةِ الله مع قوَّةِ صليب المسيح. لن تتَّضحَ لهم هذه الأمورُ إن لم يعتمدْ هؤلاء "الحكماء" كلِّيًّا على الله من أجل حكمتِهِم وخلاصِهم. عدا ذلك سوف يفتخرون كما لو أنَّه بحكمتِهِم وسِعَةِ حيلتهم وجدوا الله. لمثل هؤلاء يقول الربُّ: ... إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 3:18).

احْتِجَابُ اللهِ وسَعَادَةُ شَعْبِهِ

إنَّ حكمةَ الله في تصميم الأشياءِ بهذه الطريقة لا تجلبُ له الفرح فقط، بل تؤدِّي أيضًا إلى فرحٍ أعظم **لشعبِهِ**. لأنَّ فرحَ الشعبِ الأعظم هو الفرحُ بالله. وهذا واضِحٌ من كلماتِ المزمور: تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ (المزمور 11:16). إنَّ ملءَ الفرحِ وبالتحديد الفرح الأبديِّ لا يمكِن تحسينه أو تطويره. ما من شيءٍ أكملُ من الكامِل، أو أطولُ من الأبديَّة. هذا الفرحُ ناجِمٌ عن حضورِ الله، لا إنجازات الإنسان.

لذلك، لكي يحبَّنا بلا حدودٍ ويسعِدَنا بشكلٍ تامٍّ وإلى الأبد، فإنَّ اللهَ يضمن لنا بصليبِ المسيح، الشيء الوحيد الذي يشبعُنا بالتمامِ طوال الأبديَّة وهو بالتحديدِ التبرير واختبار القَدْر غير المحدود لمجدِهِ. هو وحدُهُ مصدرُ كلِّ مسرَّةٍ كاملةٍ وباقيةٍ. لذلك، فإنَّ التزامَهُ بترفيع واستعلان مجده ليس هَوسًا منه بجنون العظمة، بل علامة على المحبَّةِ.

فإن أعلنَ الله نفسَهُ للمتكبِّرين والمكتفين بذواتِهم، لا للمتَّضعين المتَّكلين عليه، فإنَّه يحجُبُ المجدَ ذاتهُ الذي سيكون بعينِهِ مركزَ فرحِنا بكلِّ قيمتِهِ وقَدْرِهِ. لذلك يُخْفِي الله نفسَهُ عن "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ"، لكن يُعْلِن ذاتَهُ "للأَطْفَال الصِّغَار"، لأنَّه يفرحُ بمجدِ نعمتِهِ وعظمةِ فرحِنا.

قَدْ يَكُونُونَ إِمَّا مُتَعَلِّمِين وإِمَّا غَيرَ مُتَعَلِّمِين

ما رأيناه الآن في الفصلين العاشر والحادي عشر هو أنَّ تعبيري: "الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ"، و"الأَطْفَال الصِّغَار" في نصِّ (لوقا 21:10) لا يناظران ببساطة التعبيرين: "مُتَعَلِّمِين" و"غَير مُتَعَلِّمِين". لا يقولُ الربُّ يسوع إنَّ غيرَ المتعلِّمين يَنْعَمُون بنعمةِ الإعلان، وإنَّ المتعلِّمين لا يحصلون عليها. لتوضيحِ الأمر بطريقةٍ أخرى، هناك "أطفالٌ صغارٌ" بين المتعلِّمين وهناك متفاخرون بين غير المتعلِّمين. كان جِلْدِنهايز Norval Geldenhuys مُحِقًّا عندما علَّقَ على (لوقا 21:10) بهذه الكلمات:

> التباين أو الفرق الذي أشارَ إليه المخلِّص ليس بين "المتعلِّمين" و"غير المتعلِّمين" بل بين من يتصوَّرون أنفسَهم حكماءَ وعقلاءَ، ويريدون اختبار حقائق الإنجيل بعقولِهم الخاصَّة وإصدار الأحكام وفقًا لأفكارهم الذاتيَّة، وبين من يعيشون تبعًا لبصيرتهم ومنطقهم الخاصِّ، بانطباعٍ عميقٍ في أنَّهم عاجزون تمامًا عن فهم الحقائق الإلهيَّة وقبولها. أمَّا الأشخاص "غير المتعلِّمين" في الغالب يكونون

> في أعلى درجة من الاعتداد بالرأي الذاتيّ في ما يرتبطُ بالأمور الروحيَّة، ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ بعضًا من أكثر الناس تعلُّمًا يكونون متَّضعين وطفوليّين ويقبلون حقائق الإنجيل دون تحفُّظٍ. والربُّ يسوع لا يفرّق هنا بين المتعلّمين وغير المتعلّمين، بل بين أناسٍ لديهم اتِّجاه خاطئ وشعور بالاكتفاء الذاتيّ وأناس لديهم اتِّجاه صائب يظهرون فيه كما لو أنَّهم أطفالٌ.[80]

في ضوء ما تقدَّم، فإنَّ التحذيرات التي أطلقها الربُّ يسوع والرسول بولس في (لوقا 21:10؛ 1 كورنثوس 21:1) ليستْ تحذيرات ضدَّ التفكيرِ الدقيقِ، الأمينِ الصارمِ، والمتماسكِ في السعي وراء الله. في الحقيقةِ، إنَّ الطريقةَ التي صَرَّح بها الربُّ يسوع والرسول بولس عن هذه التحذيرات ذاتها تجبرنا على الانخراط في تفكيرٍ جادٍّ حتَّى نفهمَها. وما نجده هو أنَّ الكبرياءَ ليس لديها احترام الأشخاص، ربَّما يكون المفكِّرون الجادُّون غايةً في الاتِّضاعِ، والمتصوِّفون غير المدقِّقين غايةً في العجرفةِ. إنَّ هدفَ هذا الكتاب هو تشجيعُ المَرْءِ على التفكير الجادِّ الأمين المتواضع الذي يؤدِّي إلى معرفةٍ حقيقيَّةٍ عن الله تقودُ إلى محبَّته التي تفيض بمحبَّةٍ للآخرين. ومثل هذه الطريقة في التفكيرِ موجودة، بدءًا من أبسط الرؤى الفكريَّة للإنسانِ العاديِّ وصولاً إلى أعلى قاعات التعلُّم. في الفصل التالي، سنلقي نظرةً سريعةً على ذلك في تحذير الرسول بولس المذهل من المعرفة التي تنْفُخُ.

[80] Norval Geldenhuys, *The Gospel of Luke* (Grand Rapids: Eerdmans, 1977), 306–7.

اكْتِشَافُ
طَرِيقٍ مُتَواضِعٍ
لِلمَعْرِفَةِ

1وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: فَنَعْلَمُ أَنَّ لِجَمِيعِنَا عِلْمًا. الْعِلْمُ
يَنْفُخُ، وَلكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي. 2فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا،
فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ! 3وَلكِنْ إِنْ كَانَ
أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ، فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ. 4فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ
لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ
وَاحِدًا. 5لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ
عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. 6لكِنْ لَنَا
إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ
وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ.
7وَلكِنْ لَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْجَمِيعِ. بَلْ أُنَاسٌ بِالضَّمِيرِ نَحْوَ الْوَثَنِ إِلَى
الآنَ يَأْكُلُونَ كَأَنَّهُ مِمَّا ذُبِحَ لِوَثَنٍ، فَضَمِيرُهُمْ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ
يَتَنَجَّسُ. 8وَلكِنَّ الطَّعَامَ لاَ يُقَدِّمُنَا إِلَى اللهِ، لأَنَّنَا إِنْ أَكَلْنَا لاَ نَزِيدُ
وَإِنْ لَمْ نَأْكُلْ لاَ نَنْقُصُ. 9وَلكِنِ انْظُرُوا لِئَلاَّ يَصِيرَ سُلْطَانُكُمْ هذَا
مَعْثَرَةً لِلضُّعَفَاءِ. 10لأَنَّهُ إِنْ رَآكَ أَحَدٌ يَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ، مُتَّكِئًا فِي
هَيْكَلِ وَثَنٍ، أَفَلاَ يَتَقَوَّى ضَمِيرُهُ، إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ، حَتَّى يَأْكُلَ مَا
ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ؟ 11فَيَهْلِكَ بِسَبَبِ عِلْمِكَ الأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِي
مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ.

(1 كورنثوس 8:1-11)

الفصل الثاني عشر

المَعْرِفَةُ الَّتِي تُحِبُّ

في الفصولِ الثلاثةِ السابقةِ، فَنَّدنا الأُسسَ المناوِئةَ للتفكيرِ العقليِّ، ووجدنا أنَّها هشَّةٌ للغاية حتَّى نثقَ بها. لم تصمدْ تلك الركائز أمام التحليل الكتابيِّ. لهذه الركائز مظهرٌ من الاستقرار لأنَّ الكبرياء كامنة دائمًا عند باب العقل. وهذا ينطبق على المتعلِّمين وغير المتعلِّمين على حدٍّ سواء. نحن نميلُ إلى الإحساسِ بالمباهاةِ من جهة المعرفة التي لدينا، والتي ليستْ لدى الآخرين. بالنسبة إلى المتعلِّمين، قد تأتي هذه المعرفة من العمل الكثير أو معدَّل الذكاء العالي. بالنسبة إلى غير المتعلِّمين، قد تأتي من إيحاءات خاصَّة، أو تجارب باطنيَّة صوفيَّة، أو حكمة الحياة التي لم يختبرها أساتذة مُدلَّلون. إلاَّ أنَّ الحلَّ للتفكيرِ المتعجرفِ، للمتعلِّمين وغير المتعلِّمين، ليس بعدم التفكير، لكن بالنوعِ الصحيحِ من التفكير. هذا هو الموضوع الذي يدورُ حوله هذا الفصلُ.

صَرِيحَةٌ لكن مُحَيِّرَةٌ تقريبًا

نقطة البداية لدينا هي جملةٌ صريحةٌ لكن محيِّرة للرسول بولس، جاءت تلك الجملة في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس. تُسهِمُ هذه الجملة في صياغة حلقة رابطة مع الفكرةِ الرئيسةِ للفصلِ السابق: محبَّةُ الله من كلِّ عقلِكَ.

[1]وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: فَنَعْلَمُ أَنَّ لِجَمِيعِنَا عِلْمًا. **الْعِلْمُ [أي: المعرفة *Knowledge*] يَنْفُخُ**، وَلكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي. [2]فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ! [3]وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ، فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ (1 كورنثوس 8:1-3).

تقريبًا، تتابعُ الأفكار محيِّرٌ هنا. يقولُ جوردون في Gordon Fee: "الشيءُ الأكثر إثارة للدهشةِ بشأن هذه الفقرة الافتتاحيَّة أنَّها تبدو خلاصةً أو نتيجةً غير منطقيَّةٍ بشكلٍ كبيرٍ".[81] نعم! الفعل "تبدو" هو اللفظة الصحيحة. يغوصُ بنا الرسول بولس إلى ما هو أعمق، دافعًا إيَّانا إلى التفكير.

ذكيٌّ، مُتكَبِّرٌ، لكِن بلا مَحَبَّةٍ

عند هذه النقطةِ، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، يبدأ الرسول بولس في معالجةِ القضيَّةِ المرتبطةِ بالسؤال: هل يمكِن للمسيحيِّين الأكلُ من لحومِ الذبائح المُقدَّمة للأوثان أم لا؟ بعد هذه الجُمَل التمهيديَّة في (1 كورنثوس 8:1-3)، يواصل الرسول قوله: فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: **نَعْلَمُ** أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِدًا (1 كورنثوس 8:4). لاحظ لفظة الفعل "**نَعْلَمُ، نَعْرِفُ**". هذه المعرفة، مع أنَّها حقٌّ، أصبحتْ سببًا "للانتفاخِ" بالنسبة إلى بعض المؤمنين في كنيسة كورنثوس. لكن كيف لنا أن نعرف هذا؟ لأنَّ النصوص التالية تُظْهِر لنا أنَّ بعضًا من

[81] Gordon H. Fee, *The First Epistle to the Corinthians* (Grand Rapids: Eerdmans, 1987), 364.

مؤمني هذه الكنيسة قد استخدموا هذه المعرفة للتباهي بحقِّهم في الأكلِ بحرِّيَّةٍ، دون أيَّة مبالاة بالمسيحيِّين الضعفاء (1 كورنثوس 7:8، 9، 11).

يحذِّرهم الرسولُ بولس بأنَّ المعرفةَ لا يملكُها الجميعُ (ع. 7)، وذلك بخلاف ما يردِّدونه أنَّ للجميع عِلمًا ومعرفةً. وهذا يعني أنَّ من لا يملكون هذه المعرفةَ عرضةٌ للخروج بنتائج مدمِّرةٍ بسبب حرِّيَّة الآخرين في الأكلِ. لذلك، يلتمسُ منهم الرسول أن يسلكوا بمحبَّةٍ قائلاً: انْظُرُوا لِئَلاَّ يَصِيرَ سُلْطَانُكُمْ هذَا مَعْثَرَةً لِلضُّعَفَاءِ (ع. 9). ويحذِّرُهم من التَّعامل دون مبالاةٍ بما لديهم من علمٍ أو معرفةٍ، لأنَّه من الممكن بسبب عِلمنا أن... يَهْلِكَ... الأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ (ع. 11).

إذًا، موضوعُ القضيَّةِ في كنيسةِ أهل كورنثوس هو أنَّ المعرفةَ كانت تُوَلِّدُ كبرياءَ، والكبرياء دمَّرَتْ المحبَّةَ. لذلك قالَ الرسولُ قولتَه الشهيرة: الْعِلْمُ يَنْفُخُ، وَلكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي (ع. 1). إنَّ العلم أو المعرفة عرضةٌ للكبرياءِ لأنَّه ناجِمٌ عن امتلاكٍ لا عطاءٍ. المعرفة قُنْيَةٌ. هي شيءٌ نبلُغُه ونصل إليه. ولذلك، نكون ميَّالين إلى التفاخرِ أو التباهي به.

أمَّا المَحَبَّةُ، من ناحيةٍ أخرى، فهي فعلُ عطاءٍ لا امتلاكٍ. المَحَبَّةُ ليستْ شيئًا نسعَى لبلوغه، ولا قُنْيَةً نحاولُ اكتسابها. هي فَيْضٌ يتدَفَّقُ من الدَّاخِل إلى الخارج. وجدان يشاركُ. المَحَبَّةُ غارقةٌ دائمةٌ في التفكير من أجل خير الآخرين. المَحَبَّةُ تبني إيمان الآخرين بدلاً من بناءِ الأنا لدى المُحِبِّ.

أَنْتَ لا تَعْرِفُ كَمَا يَنْبَغِي

الآن، كيف يواصلُ الرسول بولس حديثه عن هذا العلمِ الذي يدفعُ البعض إلى الانتفاخِ أو الكبرياءِ؟ يقولُ الرسول: ... إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ! (ع. 2). لا يعني هذا أنَّ الرسولَ يعتقدُ أنَّ المسيحيِّين ليس بإمكانهم معرفةُ أيِّ شيء. في

المقابلِ، يوبِّخ الرسول أهل كورنثوس في هذه الرسالة عشر مرَّات لعدم معرفتهم بأشياء مُهِمَّة عن الله والحياة، أشياء كان المفترضُ عليهم معرفتَها (1 كورنثوس 16:3؛ 6:5؛ 2:6، 3، 9، 15، 16، 19؛ 13:9، 24).[82]

عندما ينتقدُهم الرسولُ بولس لأنَّهم يعتقدون أنَّهم يعرفون شيئًا، فهو يضعُ في اعتباره ما لديهم من توجُّهات. إنَّهم "يعرفون" بمعنًى ما، لكن لا يعرفون كما ينبغي أن يعرفوا. بالتالي، وبمعنًى أعمق، هم لا يعرفون على الإطلاق. ليس لديهم النوعُ الوحيدُ من المعرفة التي تُعَدُّ في النهاية كذلك. إنَّهم **يتصوَّرون** أنَّهم يعرفون.

هذا عميقٌ. يقولُ الرسول إنَّ هذه المعرفة (والتفكير الذي نَجَمَتْ عنه تلك المعرفة) ليستْ معرفةً حقيقيَّةً لمجرَّد أنَّها تحتوي على تعليمٍ صحيحٍ بشأن أطعمة مُقدَّمة للأوثان. لقد أدركوا بعض الحقائق الصحيحة عن الله وعن حرِّيَّتهم، إلاَّ أنَّ الرسول يقول إنَّهم فقط **يتخيَّلون** أنَّهم يعرفون. بتعبيرٍ آخر، لم تكن هذه المعرفة معرفةً حقيقيَّةً. لم يعرفوا كما ينبغي أن يعرفوا، وبالتالي لم يعرفوا حقًّا. لقد تصوَّروا أنَّهم يعرفون.

المَعْرِفَةُ الحَقِيقِيَّةُ تُحِبُّ الناسَ

لذا فإنَّ السؤال الحاسم: ما الذي يمكِن أن يحوِّل هذه المعرفة التخيُّليَّة إلى معرفةٍ حقيقيَّةٍ؟ بتعبيرٍ آخر، ما معنى أن نعرفَ كما ينبغي لنا أن نعرفَ؟ أن نفكِّر كما ينبغي لنا أن نفكِّر؟ الجواب في سياق **ما قَبْلَ** النصِّ **وما بَعْدَه**.

قَبْلَ النصِّ، يقول الرسول بولس: الْمَحَبَّة تَبْنِي (ع. 1). وهذا يعني ضمنيًّا أنَّ أيَّ علمٍ أو أيَّة معرفةٍ لا تقفُ خادمةً للمحبَّةِ ليستْ معرفةً

[82] هناك مرَّتان بطريقة سلبيَّة على النحوِ: لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا (انظر 1 كورنثوس 1:10؛ 1:12)، المُترجِم.

حقيقيَّةً. علمٌ يهدفُ إلى الربح القبيحِ أو العهارةِ. وكأنَّ الله يضع في أيدينا أدواتٍ جراحيَّةً ويعلّمنا كيف نُسْعِف المرضى، لكنَّنا نحوِّلها إلى أعمالِ شعوذةٍ مخادِعةٍ يموتُ بواسطتها المرضى. إنَّ المعرفةَ والتفكير موجودان للمحبَّةِ، لبناءِ الناس في الإيمان. فالتفكير الذي تنجمُ عنه الكبرياءُ بدلاً من المحبَّةِ ليس تفكيرًا حقيقيًّا. نحن نتخيَّل فقط أنَّنا نفكّر. لكنَّ الله لا يرى أنَّ ما نقومُ به تفكيرٌ. ليس جراحة علاجيَّة؛ بل شعوذة.

المَعْرِفَةُ الحَقِيقِيَّةُ تُحِبُّ اللهَ

في السعي لفهم ما يعنيه العدد (2) بالقولِ إنَّنا "لا نعرف شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ نعْرِفَ"، نوَّهتُ إلى أنَّ الإجابة موجودة في سياق **ما قَبْلَ** النصِّ **وما بَعْدَه**. لقد رأيناها في العدد الأوَّل: الْمَحَبَّةَ تَبْنِي.

الآن، نأتي إلى **ما بَعْدَ** النصِّ، حيث يقول الرسول بولس: وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ، فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ (ع. 3). إنَّ الرسول يساوي عمليًّا المعرفةَ الحقيقيَّةَ بمحبَّةِ الله. في ما يرتبطُ بـ (ع. 1)، فإنَّه يجعلُ **محبَّةَ** النَّاس معيارًا للمعرفةِ الحقيقيَّةِ. وفي ما يرتبط بـ (ع. 3)، فإنَّه يجعل **محبَّةَ** الله معيارًا للمعرفةِ الحقيقيَّةِ.

والآن نرى حَلْقَةَ الربط بين هذا النصِّ وفكرة الفصل السادس عن محبَّة الله من كلِّ عقلِنا. لأنَّ هذا ما صُمِّمَ العقلُ من أجلِهِ. هنا يقول الرسول بولس إنَّ محبَّةَ الله هي ما تفعله عندما "تعرف كما ينبغي أن تعرفَ". من وجهة نظر الرسول، لقد جَادَ الله علينا بالتفكيرِ والمعرفةِ حتَّى نحبَّ اللهَ ونحبَّ الناسَ.

مَعْرِفَةٌ أَدْنَى مِنْ مَعْرِفَةٍ

ولكن في (ع. 3) لا يربطُ الرسول بولس ببساطةٍ محبَّةَ الله بالمعرفةِ كما ينبغي لنا أن نعرف. يقول الرسول: وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ، فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ. ما المغزى من قولِهِ: فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ؟ وهو قولٌ يتوازَى مع قولِ الرسول في موضعٍ آخر: وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ **عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ**، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضًا إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ...؟ (غلاطيَّة 9:4). إنَّ الأعمقَ من معرفةِ الله هو أن يُعْرَفُ المَرْءُ من الله. إنَّ ما يميِّزُنا كمسيحيِّين ليس أنَّنا قد عَرَفْنا اللهَ بشكلٍ عميقٍ، بل أنَّه هو من اعتنى بنا وجعلنا خاصَّتَه.

أن "تُعرَفَ من الله" هو أسلوب آخر للحديث عن الاختيار، فالله قد اختارنا لنفسِهِ بحرِّيَّةٍ، على الرُّغم من أنَّنا لا نستحقُّ ذلك. إنَّها نوعيَّةُ المعرفة المشارُ إليها بقول الربِّ: إِيَّاكُمْ فَقَطْ **عَرَفْتُ** مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ... (عاموس 2:3). لقد اختار الله إسرائيل شعبًا له، مع أنَّهم ليسوا أفضل من سائر الشعوب الأخرى.

ما يفعله الرسول بولس بقوله: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ، فَهذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ، هو تذكيرٌ للمتكبِّرين في كنيسة كورنثوس بأنَّ محبَّةَ الله، لا المعرفة الخالية من المحبَّة، هي العلامة على كونِ المَرْء من المختارين.[83] إنَّ الرسول يذكِّرهم بأنَّ كلَّ ما لديهم هو بفضل مبادرة إلهيَّة حرَّة وسياديَّة. وهو نفس ما قاله سابقًا: لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟ (1 كورنثوس 7:4). المغزى

[83] "Love . . . is therefore the true sign of election." J. Héring, *The First Epistle of St. Paul to the Corinthians* (Eng. trans., London: Epworth Press, 1962), 68

من (ع. 3) هو أنَّه: إن كان الإنسان يحبُّ الله، فهذه علامة على أنَّ الله قد اتَّخذ المبادرة.[84]

عِلاجَان لِلْكِبْرِياءِ

لقد وضَّح الرسول بولس تلك النقطةَ لأنَّ الكبرياءَ كانتْ مشكلةً. لقد أصابتْ بعضًا من الكورنثيِّين بسبب "معرفتهم". وعلاجُ الرسول الأوَّل الذي يقدِّمه لهذا المرض هو تأكيدُه أنَّ المعرفةَ الحقيقيَّةَ والتفكيرَ الصحيحَ لا تَنْجُم عنهما الكبرياءُ بل محبَّةٌ لله والناس. أمَّا علاجُ الرسول النَّاجِع لمرض الكبرياء فهو تأكيدُه أنَّ محبَّتنا هي أيضًا نتيجةٌ إلى شيءٍ سابقٍ على مبادرتنا. إنَّها بسبب هبة الله المجَّانيَّة، أي اختيار الله.[85] فإن كنَّا نحبُّ الله، وبالتالي نعرفُ كما ينبغي أن نعرفَ، فذلك لأنَّ اللهَ قد سبق أن عَرَفَنا واخْتَارَنا.

إهْمَالُ المَعْرِفَةِ لَيْسَ سَبِيلاً للمَحَبَّةِ

أَخرُجُ من كلِّ هذا بأنَّه من الخطورة إهمال المعرفة أو جعلها بنفس القَدْرِ مبرِّرًا للتباهي. إن كانتْ هناك طريقةٌ "للمعرفةِ كما ينبغي أن نعرفَ"، وإن كان هدفُ هذه المعرفة هو محبَّةُ الله والإنسان، إذًا، إهمالها يقوِّض السبيلَ أمام المحبَّةِ. كما أنَّنا لن نأمنَ من الكبرياءِ إن أهمَلْنا التفكيرَ الجادَّ وأَعْرَضْنا عن المعرفةِ. يقول الكتاب: قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ

---

[84] C. K. Barrett, *The First Epistle to the Corinthians* (New York: Harper & Row, 1968), 190.

[85] "المعرفة الكاملة فقط، سواء معرفة المحبّة أو المعرفة العمليّة، ممنوحة من الله... أن تكون معروفًا من الله فهذا يعني أنَّك ملكه... مختار من الله." مقتبس من

Pere C. Spicq, "*Agape in the New Testament*," in Anthony Thistleton, *The First Epistle to the Corinthians* (Grand Rapids: Eerdmans, 2000), 627.

(هوشع 6:4). وفي موضعٍ آخر يقول الكتاب: لِذَلِكَ سُبِيَ شَعْبِي لِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ (إشعياء 13:5).

غَيورُون للهِ، لكِن غَيرُ مُخلَّصِين

يعتقدُ البعضُ أنَّ الغَيْرَةَ من أجل الله هي كلُّ المطلوب. إلاَّ أنَّ الكتاب المقدَّس واضحٌ بشكلٍ صادمٍ في أنَّه يمكن أن تكون لدينا غَيْرَةٌ لله ولكن غير مخَلَّصين. يقول الرسول بولس: أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ (رومية 1:10). لكن لماذا لا يخلُصُون؟ يجيبُ الرسولُ في (ع. 2) بالقول: "لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ..."، لنتوقَّف هنا، ونسمح لتلك الكلمات أن تغوصَ فينا بعمقٍ: أنا أتضرَّع من أجلهم ليخلُصُوا، لأنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ...

هذا أمرٌ محيِّرٌ. هل يمكِن للمَرْءِ أن تكون لديه غَيْرَةٌ لله، ولكن غير مخلَّص؟ السبب في أنَّ الأمرَ محيِّرٌ هو أنَّ العهد الجديد يقول أيضًا إنَّه لا يمكنك أن تخلص دون غَيْرَةٍ لله، وعلى الأقلِّ دون بذورها. قال الربُّ للكنيسة في لاودكيَّة: هَكَذَا لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي (رؤيا 16:3). ويقول الرسول بولس: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا! مَارَانْ أَثَا (1 كورنثوس 22:16).

يَحْتَاجُ الغَيورُون إلى مَعْرِفَةِ طريقةِ خَلاصِ الله

لذلك ينبغي أن تكون لنا غَيْرَةٌ لله، وقد تكون لدينا الغَيْرَةُ ومع ذلك لسنا مُخلَّصين. لماذا؟ يخبرنا الرسول بولس بوضوح: أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلِبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ. لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ **وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ** (رومية 1:10-2). هنا المشكلة: هناك

غَيْرَةٌ لله **حسبَ المعرفةِ**، وأخرى **ليستْ حسب المعرفةِ**. الأولى جوهريَّةٌ. والأخرى مميتةٌ. السببُ وراء عدمِ خلاصِ أنسباء الرسول هو أنَّ لديهم غَيْرَةً لله لكنَّها ليستْ حسب المعرفةِ.

هذا يعني أنَّ هناك معرفة تحوِّلُ الغَيْرَةَ المُهْلِكةَ إلى غَيْرَةٍ مُخلِّصة. ما هي تلك المعرفةُ؟ يخبرنا الرسول بولس بما لم يعرفوه بقوله: لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ. لأَنَّهُمْ إِذْ **كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللهِ** وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ (رومية 10:2-3).

وهذا هو أصل غَيْرَتِهم المميتة من أجل الله. في كلِّ تفكيرهم عن الله وبرِّه، فاتتْ عليهم النقطةُ الرئيسةُ: البرُّ عطيَّةٌ مجَّانيَّةٌ بالإيمان. عندما يسعون إلى **إثبات برِّهم**، فإنَّهم **لا يخضعون** لبرِّ الله. في الحقيقة، محاولتهم لإثبات برِّهم هي بمثابة تمرُّدٍ وعصيانٍ على برِّ الله. ولهذا السبب لم يَنْعَمُوا بالخلاصِ.

ما الخَطَأُ فِي مُحَاوَلَةِ أَنْ تكونَ بارًّا؟

لكن يمكنُك أن تسمعَ أنسباءَ الرسول بولس الغيورين يصرخون دفاعًا عن أنفسهم قائلين: انتظرْ لحظةً! أنت تظلِمُنا تمامًا. إنَّ جَهْدَنا على وجه الدقَّة لترسيخ البرِّ في حياتنا هو بعينِهِ خضوعُنا لبرِّ الله. أيُّ شيءٍ آخر يكون عليه الخضوعُ لبرِّ الله سوى الغَيْرَة لتثبيت البرِّ في حياتنا ليتوافقَ مع برِّ الله؟ ما الذي تريدُ لنا القيامَ به، أم أنَّك غيرُ مبالٍ أن نكون أبرارًا أم لا؟

إلاَّ أنَّ الرسولَ بولس يقول إنَّه عندما تعيش بهذه الطريقةِ، عندما تَكِدُّ لتظهِرَ نفسك بارًّا حتَّى يَقْبَلَك الله، فإنَّك بذلك لا تخضعُ لبرِّ الله؛ بل تحيا متمرِّدًا على الله. لماذا؟ لأنَّ برَّ الله عطيَّةُ نعمةٍ مجَّانيَّةٍ ذات سيادةٍ، وليس إنجازًا تستحقُّه بسبب مجهوداتِك البشريَّةِ، أو بسبب عملٍ أو أداءٍ

روحيٍّ: نجاحٌ نسبيٌّ في التقوى (التقديس). وبما أنَّ البرَّ دائمًا هِبَةٌ مجَّانيَّةٌ بالتمامِ، فإنَّ الخضوعَ لبرِّ الله يعني قبول هذا البرِّ كهبةٍ.

والطريقةُ التي تأتي بها الهبةُ موصوفةٌ في (رومية 4:10) بقولِ الرسول: لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ.

إنَّ ناموسَ الله بكامِلِه كان يقودُ إلى المسيحِ للبرِّ لكلِّ من يؤمنُ. بالإيمان نقبلُ المسيحَ. وفي المسيح نَنْعَمُ ببرِّ الله. "لأَنَّهُ [الله] جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، **لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ** (2 كورنثوس 21:5). هذا ما كان يجهلُه أنسباء الرسول من اليهود بحسب الجسد، ولذلك، يقول بولس، كانتْ لديهم غَيْرَةٌ لله ومع ذلك لم يَنْعَمُوا بالخلاص.

الجَهْلُ الذي لا يَلْتَمِسُ مِنك عُذْرًا

ماذا كانتْ نوعيَّةُ هذا الجهلِ؟ هو نفس نوعيَّةُ الجهلِ الذي رأيناه قبلاً بقول الرسول بولس: فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ! (1 كورنثوس 2:8). لقد عرفوا الكثير. لقد كانوا يَعرِفُون الناموس أفضل منَّا. لكنَّهم لم يَعرِفُوا كما ينبغي أن يَعرِفُوا. ولِمَ لا؟ كان السبب الأصليُّ هو نفس السبب بالنسبة إلى بعض مؤمني الكنيسة في كورنثوس وإلى أنسباء الرسول بولس: الكبرياء. المعرفةُ التي لديهم كانتْ سببًا في انتفاخهم. لم تَقُدْهم تلك المعرفة إلى الاتِّضاع، ولا حرَّضَتْهم على أن يحوِّلوا نظرَهم بعيدًا عن ذواتِهم.

إذًا، لكلتا المجموعتين معرفةٌ. وقد استَخْدَمَتْ كلتاهما العقلَ لزيادة المعرفةِ. لكن أصابتْ الكبرياءُ كلتيهما. وما احتاجَته كلتا المجموعتين ليستْ معرفة بدرجةٍ أقلَّ. كما لم يكمن حلُّ المشكلة بالنسبة إليهما في التوقُّف عن التفكيرِ، بل الاكتشاف القلبيُّ لنعمةِ الله في الربِّ يسوع المسيح. كان الكورنثيُّون بحاجةٍ إلى أن يدركوا أنَّ كلَّ ما يعرفونه هو عطيَّةٌ مجَّانيَّةٌ للنعمة

التي تختار، وقد صَمَّمَه الله لإضرام نيران المحبَّة المتَّضِعَة لله والإنسان. بالمثل، كان أنسباء الرسول بولس بحاجةٍ إلى أن يدركوا أنَّ برَّ الله الذي يفتقرون إليه هو هبةٌ مجَّانيَّةٌ لنفس النعمةِ. برٌّ يأتي فقط بالاتِّحادِ مع المسيحِ بالإيمانِ. وعندما يأتي، فإنَّه يحملُ في طيَّاته القوَّة على المحبَّةِ (رومية 8:13؛ غلاطيَّة 6:5).

التَّفْكِيرُ: المَهَمَّةُ المُتَواضِعَةُ لوقودِ النَّارِ

إنَّ الدرسَ المُستفادَ من نصَّي (1 كورنثوس 1:8-3؛ رومية 1:10-4) هو أنَّ التفكيرَ أمرٌ خطيرٌ لا يمكن الاستغناء عنه. لكن دون عملِ النعمةِ العميقِ في القلبِ، فإنَّ المعرفةَ بصفتها ثمرةَ التفكيرِ تقودُ إلى الانتفاخِ أو الكبرياءِ. لكن بهذه النعمةِ يفتحُ التفكيرُ بابَ المعرفةِ المتَّضعةِ. وتلك المعرفةُ هي وقودُ نيران المحبَّةِ لله والإنسانِ. فإن انصرفنا بعيدًا عن التفكيرِ الجادِّ في سعينا وراءِ الله، ستنطفئُ تلك النيرانُ في النهايةِ.

13الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ
مَحَبَّتِهِ، 14الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا.
15الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. 16فَإِنَّهُ
فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى
وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ
سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.
(كولوسّي 1:13-16)

لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ
(رومية 11:36)

الفصل الثالث عشر

كُلُّ دِرَاسَةٍ
هِيَ لِمَحَبَّةِ اللهِ والإِنْسَانِ

إنَّ النتيجةَ اللافتةَ لما رأيناه في الفصلِ الثاني عشر هو أنَّ كلَّ تفكيرٍ: كلَّ تعلُّمٍ، أو تعليمٍ تربويٍّ، أو كلَّ دراسةٍ على مستوى رسميٍّ أو غير رسميٍّ، بسيط أو معقَّد، الكلُّ موجودٌ من أجل محبَّةِ الله ومحبَّةِ الإنسان، الكلُّ موجودٌ ليساعدنا على أن نعرفَ الله أكثر، لنعتزَّ به ونقدِّرَهُ أكثر فأكثر. الكلُّ موجودٌ لنحقِّقَ أكبرَ قَدْرٍ ممكنٍ من الخيرِ للآخرين، وخاصَّةً الخيرَ الأبديَّ المرتبط بالتلذُّذِ باللهِ عن طريق المسيحِ.

في هذا الفصل، سنأخذُ الحقَّ المرتبط بنصِّ الرسول بولس في (1 كورنثوس 1:8-3)، ونطبِّقه ليس على معرفةِ الله عن طريق الكتاب المقدَّس، لكن على معرفة الله عن طريق "كتابه" الآخر: عالم الطبيعة المخلوق والحياة البشريَّة.

تَمَرُّدٌ عَقْلِيٌّ

نحنُ نُحِبُّ اللهَ بشكلٍ تامٍّ عندما نرى مجدَهُ بشكلٍ أَكْمَل. وهذا المجدُ مُعلَنٌ بشكلٍ سامٍ في شخص الربِّ يسوع، وفي تاريخِ الفداء المدوَّن

في الكتاب المقدَّس. إلاَّ أنَّ مجدَ الله ظاهرٌ أيضًا في كلِّ ما صنعه (المزمور 1:19؛ رومية 1:19-21). ويشملُ ذلك الإعلانُ عن الله في الطبيعة الإعلانَ عن الربِّ يسوع، لأنَّ "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يوحنَّا 3:1). قِيلَ هذا عن ابن الله *the Son of God* الذي في ملء الزمان "صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يوحنَّا 14:1).

يعبدُ الرسول بولس المسيحَ لنفسِ السببِ عندما يُصرِّحُ: الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ (كولوسِّي 16:1). لقد خُلِقَ العالم الطبيعيُّ بكامله بواسطة الربِّ يسوع، ومن أجله. هذا بيانٌ جديرٌ بالملاحظة. على كلِّ عالِمٍ يكرِّس نفسه لملاحظةِ ودراسةِ العالَم الطبيعيِّ أن يفكِّر طويلاً وجِدِّيًّا في هذه الكلمات: الْكُلُّ قَدْ خُلِقَ **للمسيحِ**. بالتأكيدِ، أقلُّ ما يمكِن أن نقوله إنَّ ذلك يعني أنَّ كلَّ تفكيرٍ، وكلَّ دراسةٍ من أيِّ نوعٍ هي موجودة في النهايةِ لاكتشاف واستعلان مجد الله، أي مجد الربِّ يسوع المسيح، في كلمتِهِ، وفي عالمِهِ. لنسمحْ بأن تكونَ كلُّ إشارةٍ إلى الله في باقي هذا الفصل مسموعةً بوصفها إشارةً إلى كلِّ أقانيم الثالوث.

لذلك، فإنَّ مَهَمَّةَ كلِّ دراسةٍ مسيحيَّةٍ، وليس فقط الدراسات الكتابيَّة، هي دراسةُ الواقعِ باعتبارِهِ استعلانًا لمجدِ الله، للحديثِ والكتابةِ عنه بدقَّةٍ، لتذوُّقِ جمالِ الله فيه، لتسخيرِهِ من أجل خير الإنسان. يا له من امتهانٍ للدراسةِ مَتَى قام المسيحيُّون بأيِّ عملٍ أكاديميٍّ يخلو من الإشارة إلى الله! إن كانَ الكونُ بكاملِهِ بكلِّ ما فيه موجودًا بتصميمٍ من إلهٍ شخصيٍّ لانهائيٍّ، ليجعلَ مجدَهُ المتنوِّعَ مُعلنًا ومحبوبًا، إذًا التعاملُ مع أيِّ موضوعٍ دون الإشارة إلى مجدِ الله ليس دراسةً بل تمرُّدٌ.

عَدَمُ مَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ عَلَى حَقِيقَتِها

متى تشبَّعَتْ الدراسةُ المسيحيَّة بمشاعرِ محبَّةٍ روحيَّةٍ لمجد الله في كلِّ الأمورِ، فإنَّ تلك المشاعر لا تعرِّضُها للتهديد بل تخدُمُها. يدركُ أغلبُ الباحثين أنَّه دون دعمِ الأشياءِ القابلة للملاحظة للتعامل مع نصوصٍ، أو شهودٍ، أو موادَّ كيميائيَّةٍ، أو أشخاصٍ، أو سلوكٍ، إلخ، تتدهورُ المشاعر إلى عواطف لا أساس لها. لكن ليس كما يدركُ العديدُ من الباحثين العكس: أنَّه دون إيقاظٍ لمشاعر المحبَّةِ الروحيَّةِ الحقيقيَّةِ، فإنَّ رؤيةَ الحقِّ بكاملهِ في كلِّ الأشياء تكونُ مستحيلةً. دون يقظةٍ روحيَّةٍ للمقاصدِ الإلهيَّةِ وارتباطها بكلِّ شيءٍ، لن نعرفَ الأشياءَ بالفعلِ على حقيقتها.

قد يعترضُ المرء قائلاً إنَّ الموضوعَ الأساسيَّ للعلومِ: علم النفس، الاجتماع، الأنثروبولوچي، التاريخ، الفيزياء، الكيمياء، اللغة (كاللغة الإنجليزيَّة)، والكمبيوتر لا ترتبط "بالعلاقاتِ والمقاصدِ الإلهيَّة" بل ترتبطُ بكلِّ بساطةٍ بعلاقاتٍ طبيعيَّةٍ. إلاَّ أنَّ ذلك من شأنه أن يخطئَ الهدفَ: لرؤيةِ الواقعِ بملءِ الحقِّ، الذي ينبغي أن نراه في ضوءِ علاقتِهِ بالله الذي خَلَقَهُ، ويَدْعَمُ بقاءه، ويمنَحُ له كلَّ خصائصِهِ، وعلاقاتِهِ، وتصميماتِهِ. من أجل ذلك، لا يمكِن لنا القيامُ بالدراسةِ المسيحيَّةِ إن لم يكنْ لدينا إحساسٌ أو تقديرٌ روحيٌّ لله، إن لم تكن لدينا القدرةُ على استيعابِ مجدِهِ في كلِّ الأشياء التي خَلَقَها.

لِتَرَى، لا بُدَّ أَنْ تَمْلِكَ عُيونًا

أَظْهَرَ چوناثان إدواردز من الكتاب المقدَّس أنَّ هذا "الحسَّ الروحيَّ" يوهَب لنا من الله في الولادةِ الجديدةِ الفائقةِ للطبيعةِ، كما يتأثَّرُ هذا الحسُّ بكلمةِ الله: "أوَّل تأثيرٍ لقوَّة الله في قلبِ التجديدِ، هو إعطاء القلب البشريِّ

مذاقًا أو إحساسًا إلهيًّا؛ يَنْعَم بواسطته بسحرِ جمالِ وعذوبةِ السموِّ الفائق للطبيعة الإلهيَّة.[86] لذلك، في القيامِ بدراسةٍ مسيحيَّةٍ، ينبغي للمَرْءِ أن يكونَ قد وُلِدَ ثانيةً، أي اختبر الولادة الجديدة. وهذا يعني أنَّ المَرْءَ لا ينبغي له أن **يُدْرِكَ** فقط تأثيرات عمل الله في العالم، بل **يتذوَّق** أيضًا جمالَ الطبيعةِ الإلهيَّة في الإنجيل، وفي كلِّ ما خَلَقَه، وفي كلِّ ما يفعله.

إلاَّ أنَّ القيامَ بأيِّ عملٍ عقليٍّ بملاحظةٍ صارمةٍ ليس عبثًا؛ فالعملُ العقليُّ جوهريٌّ. هذا صحيح، على الرغم من أنَّ كلَّ شيءٍ يرتبط بهِبَةِ الله المجَّانيَّة للحياة والبصيرةِ الروحيَّةِ. والسبب، كما يقول إدواردز، هو أنَّه "كلَّما كانتْ لديك معرفةٌ عقليَّةٌ أكثر عن الأمورِ الإلهيَّةِ، أُتيحَتْ لك الفرصةُ أكثر، ليفيضَ الروحُ في قلبِك، لترى سموَّ هذه الأمورِ، وتختبرَ مذاقَ حلاوتِها".[87]

على الرُّغم من أنَّ إدواردز قال هذا بشكلٍ أساسيٍّ عن "المعرفة العقليَّة" **للأسفار المقدَّسة** واللاهوت، فإنَّ قولَه ينطبقُ، وإن بدرجةٍ أقلَّ، على **كلِّ معرفةٍ** مكتسبةٍ بالملاحظةِ الدقيقةِ والتفكيرِ الواعي في عالَمِ الله المخلوقِ. إنَّ اللهَ يُعلِنُ مجدَه في الواقِعِ المخلوق الذي يدرُسُه الباحثون (المزمور 19:1؛ 104:31؛ رومية 1:19-21؛ كولوسّي 1:16-17). وبناءً

---

[86] Jonathan Edwards, "*Treatise on Grace*," in Treatise on Grace and Other Posthumously Published Writings, ed. Paul Helm (Cambridge, UK: James Clarke, 1971), 49.

ولمعالجةٍ أوفى عن هذا الإدراك المرتبط بالولادة الجديدة، انظر:

John Piper, *Finally Alive: What Happens When We Are Born Again* (Fearn Ross-Shire, UK: Christian Focus, 2009).

ملاحظة: قامت "خدمة الصورة" بإصدار هذا الكتاب، ترجمة ق. عاطف المرفوض.

[87] "*Christian Knowledge*," *in The Works of Jonathan Edwards*, vol. 2 (Edinburgh: Banner of Truth, 1974), 162.

عليه، فإنَّ التخصُّصاتِ العلميَّةَ الصارمةَ لرؤية ما هو موجود في هذا الواقعِ، وتحليلَ أجزائِهِ، ودراسةِ علاقاته أساسيَّةٌ للدراسةِ المسيحيَّةِ.

إنَّ قصدَ الله في استعلان مجدِهِ عن طريق العالم المخلوق لا يتحقَّقُ إن لم يدرِكْ الباحثُ ذلك المجدَ ويتذوَّقه. بل على النقيض من ذلك، فإنَّ تعظيم مجد الله يَتَأَتَّى برؤيةٍ وتذوُّقِ عقل وقلب الباحث لهذا المجد. عندما يتردَّدُ صدى سموِّ مجد الله في وجدان إنسان الله الباحث، ويدوِّي صداه في إبداعِهِ وكلامِهِ وكتابتِهِ، يتعزَّزُ ويتقوَّى قصدُ الله في الدراسة المسيحيَّة.

عَقَبَةُ الْكِبْرِياءِ المُنْتَشِرَةُ

من الواضحِ إذًا أنَّ أحدَ العوائق الكبرى أمام الدراسةِ المسيحيَّةِ العظيمةِ هي الكبرياءُ. إنَّ اتِّضاعَ الحكمةِ هو الوعي السَّارُّ بأنَّ كلَّ الأشياءِ التي من الله، يَدْعَمُ الله بقاءها، كما أنَّها قائمةٌ من أجله. هذه الحكمةُ متأصِّلةٌ في صليب المسيح المدمِّر للكبرياءِ والمانِح للفرحِ. إنَّ مثلَ هذه الحكمة الدراسيَّة لا تتباهى بإنجازاتِها الخاصَّة، بل تفتخرُ بالربِّ. لهذا السببِ من يشبهون الأطفالَ فقط لديهم عيونٌ بإمكانها رؤية الله في كلمتِهِ وفي عالمِهِ (لوقا 21:10).[88]

إنَّ كلَّ مستوًى من مستويات الحياة العقليَّةِ، من أَعْلَى مستوياتِ التعليم التربويِّ إلى الأقلِّ، مشحونٌ بقوَّةٍ مغريةٍ للحياةِ من أجل الظَّفَرِ بمديح الناس. والحساسيَّة المميَّزة التي تعاني منها النُّخْبَةُ المفكِّرةُ هي أنَّ العالمَ يدعم هذا الكبرياء بقبولٍ وتقديرٍ غير عاديَّين، متجاوزًا أكثر أشكال التواضع بأقلِّ قدرٍ من التبجيلِ.

[88] انظر الفصلين 10–11.

يوضِّحُ باحثٌ معاصرٌ مدى انتشار هذا الأمر بين هيئاتِ تدريس العديد من الكلّيَّات المسيحيَّة في ائتلافِ تلك الكلّيَّات *Christian College Coalition*:

> يحصلُ العديدُ من أعضاءِ هيئة تدريس ائتلاف الكلّيَّات المسيحيَّة على درجة الدكتوراه في جامعات نُخْبَويَّة يقلُّ فيها النظرُ بعين الاعتبار إلى الإيمانِ، والاتِّساعِ العقليِّ، والفكرِ المسيحيِّ عن الواقعِ. ومن هنا، فإنَّ إحدى السمات المميَّزة لأعضاء كلّيَّات الائتلاف، عقب "العودة" إلى سياقِ أو بيئةِ أيَّةِ كلّيَّةٍ مسيحيَّةٍ للتدريس، ليستْ التَّطَلُّع لتعزيز التميُّز العقليِّ لمجدِ الله بسبب الخوفِ المميتِ من أن يَنْعَتَهم أحدٌ بأنَّهم "أصوليُّون".[89]

وهكذا، لدينا هنا صورةٌ معاصرةٌ للفرق بين "الحُكَماءِ والفُهَماءِ" و"الأَطْفَالِ الصِّغار" الذين سَبَقَتْ الإشارةُ إليهم في (لوقا 21:10).[90] "الأَطْفَالِ الصِّغارِ" قليلو الشأن في ما يرتبط بمديحِ الناسِ، والأوسمة البشريَّة نظيرَ أعمالهم الفكريَّة أو العقليَّة. إنَّ مجدَ نعمةِ الله يجعلُهم في غاية الاتِّضاع، كما أنَّهم في غاية الشِّبعِ ببهاءِ الجلالِ الإلهيِّ حتَّى أنَّ كلَّ طاقتهم تهدِفُ إلى اكتشافِ المزيد عن اللهِ في عالمهِ، وإلى عرض ما اكتشفوه للآخرين حتَّى يروه ويتلذَّذوا به. ومن ناحيةٍ أخرى، بينما يوجد تخوُّفٌ من التوصيفات التي تقلّل من المكانة، ومن "الألم... في المواقعِ

---

[89] J. Daryl Charles, "*The Scandal of the Evangelical Mind*" (A Forum of Responses), First Things (March 1995): 38–39.

[90] انظر الفصل 10.

الأكاديميَّةِ غير المؤمنة"،[91] نرى نجاحات "الحُكَمَاءِ والفُهَماءِ" الذين لم يعلن لهم الله عن حقِّه ومجده.

لا تَتْرُكْ الطَّرِيقَ بسببِ المَخَاطِرِ

قد رأينا مرارًا وتكرارًا أنَّ المخاطرَ الكامنةَ في طريقِ التفكيرِ الجادِّ لا تعني أنَّنا ينبغي أن نتخلَّى عن هذا الطريقِ. لأنَّه لا يوجدُ طريقٌ آخر في السعي لمعرفةِ الله ومحبَّتِهِ ليكونَ معروفًا ومحبوبًا بشكلٍ تامٍّ. على الرُّغم من كلِّ المخاطرِ، لا بُدَّ أن نقطعَ هذا الطريقَ. لا ينبغي لنا أن نتخوَّف بأيَّة درجةٍ تجعلُ مَهَمَّةَ التفكيرِ تبدو وكأنَّها شرٌّ لا بُدَّ منه. هذه ليستْ روحَ سفرِ الأمثال الذي يأمرنا بأن نسعَى لمعرفةِ الله في كلمتِهِ وفي عالمِهِ بنفس الطريقةِ التي يبحثُ بها الناس عن الفضَّةِ والذهبِ.

- إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ (الأمثال 2:3-4).

---

[91] Douglas Wilson, "*A Pauline Take on the New Perspective*," Credenda Agenda, vol. 15, no. 5, p. 17.

"إنَّ الألم الذي يَتَعَيَّنُ على بعض المحافظين أن يتعاملوا معه جدّيًّا في المواقع الأكاديميَّة غير المؤمنة هو أمرٌ مثيرٌ للشفقةِ حقًّا، ولذا أَوَدُّ أن أَغتنمَ هذه الفرصة للسخرية ممَّا نراه في المجتمعات الأكاديميَّة لهذه الجامعات في العالم برمَّته. إنَّ جامعات برِنستون Princeton، وهارڤارد Harvard، وديوك Duke، مع كلِّ المدارس اللاهوتيَّة في ألمانيا، تحتاج حقًّا إلى أن تسمع ضحكةً ساخرةً من العَالَم المسيحيّ المُحافظ لاهوتيًّا. لقد أشرتُ سابقًا إلى أنَّ الطبيعة البشريَّة المتكبِّرة تتقيَّد حقًّا بكثيرٍ من الأمور الغريبة، ونسيتُ الإشارة إلى ما نراه في الدراسات الأكاديميَّة المتَّخمة بالحواشي السفليَّة [أي: الاقتباسات]، كمثالٍ، لاختلاس فكرة من الفيلسوف كيركَجارد، يزيّن باحثون كثيرون سراويل مقالاتهم الدوريَّة بحواشٍ سفليَّةٍ، وذلك محاولةً منهم لتجنُّب سوط الأسفار المُقدَّسة المُسلَّط لضربِ ظهورهم الأنيقة الموقَّرة أكاديميًّا".

- الْحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ فَاقْتَنِ الْحِكْمَةَ وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الْفَهْمَ (الأمثال 7:4).
- خُذُوا تَأْدِيبِي لاَ الْفِضَّةَ. وَالْمَعْرِفَةَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ الْمُخْتَارِ. لأَنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ الْجَوَاهِرِ لاَ تُسَاوِيهَا (الأمثال 10:8-11).
- قِنْيَةُ الْحِكْمَةِ كَمْ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَقِنْيَةُ الْفَهْمِ تُخْتَارُ عَلَى الْفِضَّةِ! (الأمثال 16:16).

التَّفْكِيرُ مُفِيدٌ لِلْكَنِيسَةِ

ولئلاَّ يصيبنا شعورٌ بالاشمئزاز بما يساورُنا من شَكٍّ من جهة التعليم العالي، يذكّرنا مارك نُل Mark Noll بطريقةٍ متوازنةٍ أنَّ التفكيرَ الجادَّ بشكلٍ عامٍّ كان ولا يزال مفيدًا للكنيسةِ والعالمِ.

> من المؤكَّد أنَّ المجهودَ العقليَّ الشاقَّ لا يؤدِّي دائمًا إلى كنيسةٍ صحِّيَّةٍ. في الحقيقةِ، وفي بعض الأحيانِ، يصبحُ السعي وراءَ التعلُّمِ وسيلةً للهربِ من مطالبِ الإنجيلِ أو ناموسِ الله. ومع ذلك، تبدو الصورةُ بشكلٍ عامٍّ مختلفةً على المدى الطويلِ. إذ يتأصَّل الإيمانُ المسيحيُّ بأمانٍ، ويتغلغلُ بعمقٍ في المجتمع لتغيير حياة الأفراد وإعادة توجيه المؤسَّسات، ويستمرُّ لأكثر من جيلٍ كشهادةٍ حيَّةٍ لنعمةِ الله، في هذه المواقف، نجد دائمًا وبشكلٍ ثابتٍ مسيحيِّين يشجِّعون بكلِّ حماسةٍ التفكيرَ العقليَّ لمجدِ الله.[92]

[92] Mark Noll, "*The Scandal of the Evangelical Mind,*" *Christianity Today*, October 25, 1993, p. 30.

كان هذا هو الإطارُ العقليُّ للناس الذين نقفُ على أكتافِهِم اليوم. لقد أدركوا مضمونَ ما يَتَعَيَّنُ علينا القيامُ به إن أعلَنَ الله عن نفسِهِ في تاريخٍ وكتابٍ. إزاء هذا الإعلانِ، لا بُدَّ من البحثِ في التاريخ، ولا بُدَّ من قراءةِ الكتابِ. ومع أنَّ كليهما أمرٌ شاقٌّ. إلاَّ أنَّ أجدادَنا قد آمنوا بأنَّ العملَ العقليَّ جديرٌ بهذا العناءِ.

> المصلحون البروتستانت، والپيورتانز، الداعون إلى حياة الطُّهرِ والتقوى، مع قادةِ الصحوةِ الإنجيليَّةِ في القرن 18م مثل چون ويسلي وچوناثان إدواردز، وطابورٍ جديرٍ بكلِّ التقديرِ والاعتبارِ من بواسلِ القرن الماضي مثل أوسبري Francis Asbury، وهودج Charles Hodge، ونڤِن John Williamson Nevin، آمنوا جميعهم بأنَّ النشاطَ العقليَّ الصارمَ والدؤوبَ كان دائمًا وسيلةً لتمجيدِ الله. ولم يؤمنْ أيٌّ منهم بأنَّه الطريق الوحيد أو حتَّى الطريق الأسمى، ومع ذلك آمن جميعهم بالحياةِ العقليَّةِ. وقد آمنوا بذلك لأنَّهم مسيحيُّون إنجيليُّون.[93]

هذا الإطارُ العقليُّ هو المبرِّرُ في أنَّ المسيحيَّةَ والمدارسَ قد انتشرتْ في كلِّ مكان. وكلَّما طال أمدُ بقاءِ المسيحيَّة في مكانٍ ما، أصبح المشروعُ التعليميُّ أكثر جِدِّيَّةً وشمولاً. "في أثناء حركة الإصلاح، دَافَعَ البروتستانت الرُّوَّادُ، وخاصَّةً لوثر وكالڤِن، عن الضرورةِ المُطلقةِ للتعليمِ التربويِّ العالي ضدَّ الحركات الشعبويَّة المناوئةِ للتفكيرِ العقليِّ. وبحسب المعتاد، حيثما كانت الجامعات البروتستانتيَّة هي الأقوى، كان للإصلاح البروتستانتيِّ التأثيرُ الأعظم.[94]

[93] Ibid., 29.

[94] Ibid., 31.

إِهْمَالُ التَّفْكِيرِ حَمَاقَةٌ

إنَّني أشاركُ نُل حماستَه الهائلةَ لقيمةِ التعليمِ التربويِّ المسيحيِّ العالي، لأنَّ الكتاب المقدَّس يدفعُنا إلى هذا التوجُّهِ، ولأنَّ هذا العالمَ المعاصرَ يدعو المسيحيِّين إلى إظهارِ إيمانِهم بشكلٍ عمليٍّ في ما يرتبطُ بالتفكيرِ الجادِّ. بخلاف العالم منذ 250 سنة، ستنهارُ البنيةُ التحتيَّةُ لمجتمعِنا الحضاريِّ بشكلٍ كارثيٍّ لولا مئات الآلاف من الناس الذين تدرَّبوا على التفكيرِ عبر عمليَّات معقَّدة للغاية في الإبداعِ، والتمويلِ، والتصنيعِ، والإدارةِ، والتسويقِ، والنقلِ، والحفظِ، والتنظيمِ لعشرات الآلاف من الأشياء التي نعتمد عليها كلَّ يوم. كيف اخْتُرِعَتْ الكهرباء ووَصَلَتْ إلى منازِلنا؟ كيف خرجتْ إلى الوجودِ كلُّ تلك الأشياءِ التي تعتمدُ على الكهرباءِ: الفرن، مصابيح الإنارة، الثلاَّجات؟ في عالمٍ تتضافرُ فيه كلُّ خيوطِ التفكيرِ الصارمِ معًا في نسيج الحياة، تُمْسِي فكرةُ عدمِ التفكيرِ بِجِدِّيَّةٍ في الله وكلمتِهِ حماقةً.

حَمَاسَةٌ مُؤَهَّلَةٌ لِتَعْلِيمٍ عالٍ

ومع ذلك، فإنَّ حماستي للدراسةِ المسيحيَّةِ قد فَتَرَتْ بعد إدراكي أنَّ مؤسَّسات التعليم العالي انحرافها بلا هوادة عن الولاء للمسيحِ وكلمتِهِ. إنَّها قصَّةٌ حزينةٌ.[95] ولذلك من الجيِّد أن يعترف مارك نُل Mark Noll بتعقُّلٍ: "لا أعتقد أنَّ هناك أيَّ مستقبلٍ للتفكيرِ المسيحيِّ من أناسٍ ليس لديهم ثقةٌ

[95] See especially James Tunstead Burtchaell, *The Dying of the Light: The Disengagement of Colleges and Universities from Their Christian Churches* (Grand Rapids: Eerdmans, 1998).

أصيلةٌ وكاملةٌ في صدقِ الكتاب المقدَّس".[96] وينادي بأنَّ استراتيچيَّةَ المذهب الإنجيليِّ التي يمكِن أن يكونَ لها التأثيرُ الأعظمُ لمجدِ الله في العالمِ المعاصر هي "أن نقبلَ بكلِّ إخلاصٍ عقيدةً واعيةً عن العصمةِ المرتبطة بـ [الكتاب المقدَّس]".[97] حتَّى وإن كانتْ مجرَّد نقطة بداية، إلاَّ أنَّها في غاية الأهمِّيَّة. إنَّها تعزِّزُ الثقةَ بأنَّنا نجدُ في الكتاب المقدَّس كلماتِ الله وحياتَه الإلهيَّةَ بواسطة الإنجيل. يؤكِّد نُل أنَّه "ما من شيءٍ يهدِّدُ دراسةَ الكتاب المقدَّس الإنجيليَّة أكثر من إنكارِ تلك الحياة".[98]

عندما تُسْمَعُ كلُّ التحذيرات، خاصَّةً المرتبطة بالكبرياءِ، تبقى الحقيقةُ في أنَّ الله قد أعلَنَ نفسَه في كلمتِهِ وفي عالمِهِ. قَصَدَ الله أن يُعْرَفَ بإعلانِ كلٍّ منهما، لأنَّه قَصَدَ أن يكونَ محبوبًا بالكاملِ. والأكثرُ من ذلك، عندما يتأمَّل كاتبُ المزمور في المكانةِ التي جَادَ بها اللهُ على الإنسانِ في العالمِ المخلوق، يندهشُ قائلاً: تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ (المزمور 6:8). لماذا قَامَ اللهُ بذلك؟ لم يَقُمْ بذلك بقصدِ إغرائنا على الوثنيَّة افتتانًا بجمالِ ما صَنَعَه. الأمرُ الذي ظَهَرَ بعد الخطيَّة (رومية 23:1). لقد قَامَ الله بذلك حتَّى يُعْلِنَ أكثرَ عن مجدِهِ، وحتَّى نعتزَّ به أكثرَ عندما نرى أطيافَ كمالاتِه المتنوِّعة عبر منشور الخليقةِ التي صَنَعَها.[99]

---

[96] Mark Noll, et al., "*Scandal? A Forum on the Evangelical Mind," Christianity Today*, August 14, 1995, p. 23.

[97] Mark Noll, *Between Faith and Criticism* (New York: Harper & Row, 1986), 196.

[98] Ibid., 197.

[99] حاولتُ عمليًّا إظهار بعض النتائج التطبيقيَّة المترتِّبة على هذا الأمرِ للمسيحيّ العاديّ في: "كيف تستخدِمُ الكلمةَ ببراعةٍ في المحاربةِ من أجل الفرح: استخدام الحواسِّ الخمس لرؤيةِ مجد الله"، في كتابٍ بعنوان: لماذا لا أشتهي الله: كيف أحارب من أجل الفرح.

John Piper, *When I Don't Desire God: How to Fight for Joy* (Wheaton, IL: Crossway, 2004), 175–208.

كُلُّ مَعْرِفَةٍ هِيَ لِمَحَبَّةِ اللهِ، وأَنْفُسِنا، والآخَرِين

جميعُ فروعِ التعلُّم موجودةٌ في نهايةِ المطافِ لأغراضِ معرفةِ الله، ومحبَّته، ومحبَّة الإنسان عن طريق الربِّ يسوع. وبما أنَّ محبَّةَ الإنسان تعني في النهاية مساعدَتَه على رؤية وتذوُّق الله في المسيحِ إلى الأبد، فمن الصحيح تمامًا بأن نقولَ إنَّ كلَّ تفكيرٍ، وتعلُّمٍ، وتعليمٍ، وبحثٍ هو من أجل معرفة الله، ومحبَّتِهِ، والإعلانِ عنه. لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ (رومية 36:11).

تَشْجِيعُ
المُفَكِّرِين وغَيرِ المُفَكِّرِين

اِفْهَمْ [فكِّرْ فِي] مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.
(2 تيموثاوس 7:2)

3إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ. 4إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ
وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ. 5فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ
اللَّهِ. 6لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ.
(الأمثال 2:3-6)

خَاتِمَةٌ

الْتِمَاسٌ نِهَائِيٌّ

بمعنًى ما، هذا الكتابُ بكامِلِهِ التماسٌ. كما سَبَقْتُ ونَوَّهْتُ في المقدِّمةِ هو التماسٌ للترحيبِ بالتفكيرِ الجادِّ كوسيلةٍ لمعرفةِ ومحبَّةِ الله والناس. هو التماسٌ لرفضِ أسلوب التفكير بـ **"إمَّا-وإمَّا"** وذلك عندما يرتبطُ الأمرُ بالعقلِ والقلبِ؛ المشاعرِ والمنطقِ؛ اللاهوتِ والعبادةِ؛ العملِ العقليِّ وخدمةِ المحبَّةِ. لكن لديَّ بالفعلِ بعض المناشدات الختاميَّة والمحدَّدة لمجموعتين من الناس؛ مَن يحبُّون التفكيرَ ومن لا يحبُّونه. وأَتَعَهَّدُ بألاَّ أدلِّل الفئةَ الأولى ولا أُعَنِّف الثانية.

الْتِمَاسٌ لِمَنْ لا يُحِبُّون التَّفْكِيرَ

المجموعةُ الأولى هم بعضٌ منكم ليس لديهم أَيَّة ميولٍ للتفكيرِ في التفكيرِ. ربَّما ليسَ من طبيعتِك أن تقرأَ هذا، أو حتَّى أنَّك أمسكتَ هذا الكتابَ. لكن الأمورُ الغريبة تحدُثُ دائمًا. ربَّما وَصَلَتْ هذه الكلمات إلى يَدِكَ بطريقةٍ ما. إنَّ غايةَ التماسي ليس أن تصبحَ شخصيَّةً مختلفةً. ليس من الضروريِّ أن يتحمَّس الكلُّ لمواجهةِ تحدِّي التفكيرِ. بالنسبةِ إليك، وأنت جزءٌ طبيعيٌّ جدًّا من الغالبيَّةِ العظمى من البشرِ، سأقدِّمُ التماسًا من خمسِ نقاطٍ:

كُنْ شاكرًا من أَجْلِ المُفَكِّرِين

أوَّلاً، كُنْ شاكرًا بتواضعٍ من أجل فوائدَ لا تُعَدُّ ولا تُحصَى أنت تَنْعَمُ بها الآن روحيًّا وطبيعيًّا بسبب من كرَّسوا حياتهم لاستخدام العقلِ بشدَّةٍ. دون آلاف الأفراد الذين استخدموا عقولَهم بقوَّةٍ، ما كنتَ ترتدي الآن ما ترتديه، أو تقودُ السيَّارةَ التي تقودها، أو تأكلُ الطعام الذي تأكله، أو تحملُ الكتابَ الذي في يدِكَ بهذا الشكل.

ما كان لك أن تحصل على نسخةٍ من الكتاب المقدَّس لولا التاريخ الطويل من العلماءِ الباحثين الذين أتقنوا اليونانيَّةَ والعبريَّةَ، وحفظُوا المخطوطات، وكدُّوا بكلِّ جَهْدِهِم لجعل الصياغات الأصليَّة متاحةً، وبذلوا أنفسهم لمَهَامَّ فكريَّةٍ مضنيةٍ لترجمةِ الكتابِ المقدَّس إلى لغةٍ يمكنُك قراءتها. إن كنتَ تجِدُ فرحًا وعونًا لحياتك بقراءة الكتاب المقدَّس أو بسماع شخصٍ آخر يقرأهُ ويعلّمه، فأنتَ تقفُ على أكتافِ أربعة آلاف سنةٍ من المُفَكِّرِين. أشجِّعُك أن تكونَ شاكرًا بكلِّ اتِّضاعٍ لهم.

اِحْتَرِمْ مَنْ يَخْدُمُونَك بِفِكْرٍ

ثانيًا، اِحْتَرِمْ من بميولِهم ودعوتِهم كرَّسُوا الوقتَ والجَهْدَ للتفكيرِ لفهمِ الكتاب المقدَّس والعالم الذي نعيشُ فيه. لقد أعطى المسيحُ للبعض أن يكونوا رعاةً ومعلّمين للكنيسة (أَفَسُس 11:4). وظيفتُهم أنَّهم يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ، مفصِّلين كلمة الحقِّ بالاستقامةِ (2 تيموثاوس 15:2)، وقادرين على الوعظِ بالتعليمِ الصحيحِ، وتوبيخ المناقضين (تيطس 9:1). وليس هذا فقط كلَّ ما يفعلونه. إلاَّ أنَّ هذا الجزءَ من حياتِهم صعبٌ ومُهِمٌّ وثمينٌ. فاحترمهم من أجل عملِهم. كما يقولُ الرسول بولس: ... نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا

الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ... وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ... (1 تسالونيكي 5:12-13).

صَلُّوا مِنْ أَجْلِ ذوي الفِكْرِ المُنْحَرِفِ

ثالثًا: صَلُّوا بحرارةٍ من أجل المعلّمين والوعَّاظِ والباحثين في كلِّ الكنائس والمعاهد اللاهوتيَّة والكلّيَّاتِ. أشاركُ هنا بفزعي من كمِّ المرَّاتِ التي يبتعدُ فيها بعضُ القادةِ المفكّرين عن الكتاب المقدَّس، ليقودوا الناس إلى الضلالِ. أَلَيْسَ من النادر أنَّنا نصلّي من أجلهم؟ أُصَلّي بانتظامٍ من أجل بعضِ الباحثين المؤثّرين راجيًا أن يختبروا لقاءً مع الله في كلمتِهِ، حتَّى يتخلَّوا عمَّا علَّموه لعقودٍ [من أفكارٍ غير كتابيَّةٍ]، أُصَلّي أن يقبلُوا بما يعلّمُهُ الكتابَ المقدَّس حقًّا. وأنا أَدعُوكم للانضمام إليَّ.[100]

تَجَنَّبْ التَّفْكِيرَ الخَاطِئَ

رابعًا، مع أنَّك قد لا تفكّر كثيرًا بشأن الطريقةِ التي تفكّر بها، حاول تجنُّب أسوأ الأخطاءِ العقليَّةِ في التعاملِ مع الكتابِ المقدَّس، ومن يقومون بتعليمها. على سبيلِ المثال، إن كنتَ تستمعُ إلى واعظٍ يقول شيئًا من هذا القبيل: "لا يمكِن لله أن يكونَ صاحبَ سيادةٍ مُطلقةٍ، إذ يبقى البشرُ مسؤولين عن اختياراتهم"، فلا تقفِز مرحِّبًا بهذا التيَّارِ الفكريِّ المُضلَّل. بدلاً

---

[100] بالنسبة إلى اقتراحي عن الصلاة من أجل المعاهد اللاهوتيَّة والكلّيَّات، انظر:

John Piper, "*Brothers, Pray for the Seminaries*," in Brothers, *We Are Not Professionals* (Nashville: Broadman, 2002), 261–66, or see the online version: http://www.desiringgod.org/ResourceLibrary/Articles/ByDate/1995/1565

من ذلك قُلْ له: "بكلِّ يقينٍ، الله قادرٌ على ذلك؛ كلاهما موجودٌ في الكتاب المقدَّس". وبعدها واصلْ عملَكَ.

اقْرَأْ كِتَابَكَ المُقَدَّسَ بِفَرَحٍ

خامسًا، على الرغم من أنَّك لا تعي ذاتيًّا عمليَّاتِكَ الفكريَّةَ وترى في نفسك مجرَّد القارئ العاديِّ للكتاب المقدَّس، فلا تَدَعْ أيَّ شيءٍ -وأكرِّر هذا- يمنَعُك من القيامِ أكثر فأكثر بذلك. إنَّ الحقَّ الذي تدرِكُه في الكتاب المقدَّس بنعمةِ الله هو حياتُك. ليس من الضروريِّ أن تكونَ باحثًا، أو حتَّى واعيًا بأنَّك تفكِّر عندما تقرأُ. لأنَّك تفكِّر تلقائيًّا عندما تقرأُ. لكن ليس من الضروريِّ أن تقلقَ بشأن هذا الأمرِ.

من المفيدِ، من وقتٍ إلى آخر، أن تتأكَّد من أنَّ تفكيرَك اللاواعي لا يقودُك إلى الضلالِ. هذا هو الغرض من وجود قساوسة ومعلِّمين وكُتُبٍ. لكن، بشكلٍ عامٍّ، اِسْتَمْرِرْ في قراءةِ الكتاب المقدَّس. احفظْ نصوصَه عن ظهرِ قلبٍ. تلذَّذْ به. تأمَّلْ المسيحَ عبر صفحاتِهِ.[101] اِعْتَزِزْ به أكثر فأكثر. طبِّقْهُ على حياتِك؛ كلِّ حياتك.

الْتِمَاسٌ لِمَنْ لا يُحِبُّون التَّفْكِيرَ

الفئةُ الثانيةُ من الناسِ الذين ينشغلُ بهم ذهني هم أنتم يا من تحبُّون التفكيرَ. استجلاؤكم للأمورِ مَحَطُّ سعادتِكِم. بكلِّ يقينٍ، يميلُ بعضٌ منكم إلى التحليلِ بشكلٍ أكبر. العشقُ عِنْدَكُم تفكيكُ الأمورِ لرؤيةِ آليَّة عملها. والبعضُ الآخر منكم مُتَيَّمٌ بتجميعها معًا في هياكلَ بنائيَّةٍ متماسكةٍ.

[101] من باب محاولاتي لإظهار كيفيَّة ارتباط الكتاب المقدَّس بالمسيح انظر http://www.desiringgod.org/ ResourceLibrary/Sermons/ByDate/2009/4261.

والكثيرُ منكم يحبُّ القيامَ بالأمرين معًا. لقد كتبتُ هذا الكتاب ليكونَ بركةً لكم. أريدُ أن أشجِّعَكُم بأنَّ ما تَنْكَبُّون عليه مطلوبٌ وأنَّ لكم مكانةً مُهِمَّةً في الكنيسةِ والعالمِ. أريدُ إلهامَكم بمواصلةِ إعمالِ عقولِكم لمعرفةِ اللهِ ومحبَّةِ الناسِ. وبالنسبة إليكم، أقدِّمُ التماسًا من أربعِ نقاطٍ.

فَكِّرُوا بِوَعْيٍ لِمَجْدِ المسيحِ

أوَّلاً، اجعلُوا كلَّ تفكيركم متناغمًا مع قصدِ الله النهائيِّ لتعظيمِ القَدْرِ السامي لمجدِهِ: مجد المسيح. هذا هو الموضوعُ والقصدُ النهائيُّ للكتابِ المقدَّس. لهذا السببِ توجدُ كلُّ الدراساتِ البحثيَّة. لقد صَمَّمَ الله السماواتِ لتحدِّثَ بمجدِهِ (المزمور 1:19؛ رومية 19:1-21؛ كولوسّي 16:1). فرعونُ وكلُّ الملوك موجودون لمجدِ الله (خروج 16:9؛ أعمال الرسل 32:12)؛ كلُّ تاريخِ الفداءِ موجودٌ لمدحِ مجدِهِ (أفسس 6:1)؛ كلُّ ما تفعلونه، من الأكلِ أو الموتِ لمجدِهِ (1 كورنثوس 31:10؛ يوحنَّا 19:21)؛ سينتهي التاريخُ بانذهالِ الكلِّ بمجدِ الله (2 تسالونيكي 10:1). اجْعلُوا القَدْرَ العظيمَ لله وجمالَه السامي القوَّةَ الدافعة لكلِّ ما تفكِّرون فيه. اجعلوا منهما المركزَ لكلِّ ما تقومون به من إبداعٍ.

كُونُوا كَالأَطْفَالِ

ثانيًا، تواضعُوا تحت يَدِ الله القويَّةِ. يقول الربُّ يسوع: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ (مَتَّى 3:18). بكلِّ يقينٍ، كما رأينا، لم يقصدْ الربُّ أن نفكِّرَ على مستوى طلاَّب الصفِّ الثالث الابتدائيِّ، بل أن نكونَ أناسًا متَّضعين مُتَّكلين على الآبِ السماويِّ. يقول الرسول بولس: أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي

الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ (1 كورنثوس 20:14). التواضعُ مطلبٌ أساسيٌّ مُسَبَّقٌ لفهمِ الحقِّ الإلهيِّ، وهذا يعني أنَّه حقٌّ يفوقُ في الأهمِّيَّةِ أيَّ شيءٍ آخر.

اعترفْ وسَلِّم باعتمادِك المُطلَقِ على المسيحِ وروحِهِ. قال الربُّ يسوع: لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا (يوحنَّا 5:15). بدون المسيحِ وموتِهِ نيابةً عنكم، لَكُنْتُمْ باقين إلى الآن تحت غضبِ الله (يوحنَّا 36:3؛ رومية 3:8؛ غلاطِيَّة 13:3). لكن بسبب المسيحِ، صار اللهُ معنا. وإن كان الله معنا، فمَنْ علينا؟ ... كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ وَالْمَسِيحُ لِلَّهِ (1 كورنثوس 22:3-23).

ينبغي أن يجعلَكم هذا الأمرُ متواضعين لا مغرورين. أَدْرَكَ مفكّرو كورنثوس هذا الأمر على نحوٍ خاطئٍ، فكان على الرسول بولس أن يذكّرهم قائلاً: ... وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟ (1 كورنثوس 7:4). اطلبُوا الفهمَ كالفضَّة. ليس لأنَّ الأمرَ في النهايةِ يعتمدُ عليك، لكن لأنَّ الله سَخِيٌّ في العطاءِ. تشبَّثوا بكلِّ كنزٍ كما اكتنزكم المسيح (فيلبِّي 12:3).

احذَرُوا التباهي، لا أزال مُلْتَمِسًا اتِّضاعكم. المفكّرون غالبًا أناسٌ مَهَرَةٌ. لذلك، أناشدُكم أن تضعوا في اعتباركم الكلمةَ الفارقةَ التي قالها دِنِي James Denney: "ما من أحدٍ يمكنُه أن يقدِّم انطباعًا بأنَّه ماهرٌ في حدِّ ذاته وأنَّ المسيحَ قادرٌ على خلاصِهِ". في يومِنا هذا، الإغراءُ كبيرٌ بين الواعظين الموهوبين، وأصحاب التوجُّه الترفيهيِّ، ممَّن يصنعون علامةً تجاريَّةً بخطابٍ ذكيٍّ. هؤلاء لديهم، من وقتٍ لآخر، مكانٌ للردِّ النافذ والنَّاجِع، لكن كنظامٍ غذائيٍّ روحيٍّ، فإنَّه لا يمجِّد المسيحَ ولا يشبِعُ النفسَ.

تَلَذَّذْ بِكَلِمَةِ الله كذَهَبٍ وَعَسَلٍ

ثالثًا، لذِّذْ نفسَكَ بكلمةِ الله ليلاً ونهارًا. نَعَم! التفكيرُ في الغالب عملٌ شاقٌّ. ولهذا يقول الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلّهِ مُزَكًّى، عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْتِقَامَةِ (2 تيموثاوس 15:2). "العامل" هي اللفظة الصحيحة. لكنَّها ليستْ اللفظة الوحيدة. أناشدُكم التلذُّذَ بكلمةِ اللهِ كونوا كرجل المزمور الأوَّل: ... فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً (المزمور 2:1). لأنَّ: وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ... أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ (المزمور 8:19، 10). اسمَعُوا ما يقول النبيُّ إرميا عن كلمةِ الله: وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلاَمُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي (إرميا 16:15).

ألتمسُ منكم في كلِّ تفكيرِكم السعي لرؤيةِ الكَنْز وتذوُّقه. إن كان الشائعُ عن التفكيرِ أنَّه منطقٌ محضٌ خالٍ من أَيَّةِ مشاعر، سيكون عملُهُ عَبَثًا. لم يَهَبْ لنا الله العقولَ كغاياتٍ في حدِّ ذاتها. فالعقولُ تزوِّدنا بما يُضْرِم نيرانَ القلوبِ. فاللاهوتُ خادمٌ للعبادةِ. والفِكْرُ خادمٌ للوجدان. والتَّأمُّلُ العميقُ خادمٌ للتهليلِ. الكلُّ معًا، وإلَى أقصى حدٍّ يُمَجِّدُ المسيح.

فَكِّرُوا مِنْ أَجْلِ المَحَبَّةِ

رابعًا، اجعلُوا كلَّ تفكيركم فِعلَ محبَّةٍ للناسِ. يقول الرسول بولس: لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ (١ كورنثوس 14:16)، وهذا يشملُ التفكيرَ. وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ... (1 تيموثاوس 5:1). ويضمُّ هذا القولُ وصيَّتَهُ: اِفْهَمْ [فَكِّرْ فِي] مَا أَقُولُ (2 تيموثاوس 7:2). وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ... وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئًا (1 كورنثوس 2:13).

إنَّ التفكيرَ الذي لا يسعى إلى استعلانِ المسيحِ وبناءِ شعبِهِ لَيْسَ جديرًا بالقُبولِ الإلهيِّ. ربَّما يُنْتِجُ التفكيرُ الإنسانيُّ عجائبَ: المضادَّات الحيويَّة، المباني، الجسور، الكتب، أجهزة التلفزيون ذات الشاشاتِ الكبيرة، لكنَّ الخاتمَ النهائيَّ على صندوقِ هذا التفكيرِ هو: غيرُ مقبولٍ. لأنَّ كلَّ ما ليس مِنَ الإيمَان فهو خَطِيَّة... وبِدُون إيمَان لا يُمْكِن إرْضاؤه (رومية 23:14؛ العبرانيِّين 6:11).

هِبَةُ نِعْمَةٍ، وسَبِيلٌ نَحْوَ المَزِيدِ

أُنْهِي التماسي بتذكيرٍ أخيرٍ بنصِّي الكتاب المقدَّس المرتبطين بالنقطة الرئيسة لهذا الكتاب. كلماتُ الرسولِ بولس إلى تلميذِهِ تيموثاوس: اِفْهَمْ [فَكِّرْ فِي] مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ (2 تيموثاوس 7:2). ونداءُ حكيمِ سفر الأمثال: إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ. إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ. فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللهِ. لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ (الأمثال 3:2-6).

نحن نُفَكِّرُ، والربُّ **يَهَبُ** الفهمَ. نَطْلُبُ المعرفةَ كالفِضَّةِ؛ والربُّ **يَهَبُها** لنا. لا نتبنَّى طريقةَ **"إمَّا-وإمَّا"**، بل **الاثنين معًا**. تفكيرُنا لا يحلُّ محلَّ نعمةِ الله. إنَّه هِبَةُ نعمةٍ والسبيلُ الوحيدُ إلى المَزيدِ والمَزِيدِ.

مُلْحَقٌ 1

"لِلرَّبِّ الأَرْضُ"

سُمُوُّ المسيحِ في التَّعْلِيمِ المَسِيحِيِّ

الأُسُسُ الْكِتَابِيَّةُ لِكُلِّيَّةِ وَمَعْهَدِ لاَهُوتِ بَيت لَحْم

هذه رسالة قُمْتُ بإلقائها بتاريخ 5 نوفمبر 2008م، في كنيسة بيت لحم المعمدانيَّة بمناسبةِ إنشاء كلّيَّة بيت لحم ومعهد لاهوته. وأقومُ بإدراجها هنا كمثالٍ يوضِّحُ كيف يمكِن لهدف هذا الكتاب أن يَجِدَ تعبيرًا في الرؤيةِ لمدرسةٍ جديدةٍ.

أوَّلاً، بعضُ التعليقاتِ بشأن الرُّوح التي نَبَعَتْ منها رؤيةُ كلّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم. ليس هناك أيُّ إحساسٍ بالغلبةِ هنا. ولا شعورٌ بأنَّنا نمتلكُ الكلمةَ الأخيرة في التعليمِ التربويِّ، أو الإجاباتِ السهلةَ لتحدِّيات عصرنا الحاضر، أو بأنَّ لدينا الفلسفةَ المثاليَّةَ للتدريبِ في كلٍّ من كلّيَّة بيت لحم ومعهد اللاهوت الخاصِّ به.

بالأحرى، هناك شعورٌ بالارتعاد بأنَّ الكبرياءَ والفقرَ (وأشياء أخرى كثيرة!) قد تجعل هذا الأمرَ مشروعًا خطيرًا. كلمةٌ عن لفظتي: الكبرياء والفقر.

خَطَرُ الْكِبْرِياءِ

من أكثرِ الحقولِ خصوبةً للكبرياءِ هو التعليمُ الأكاديميُّ العالي. لقد أمضيتُ 16 سنة من حياتي فيه، وشعرتُ بمخاطِرِهِ. وفي صبيحة هذا اليوم، كنتُ أقرأُ في سفر حزقيال، كيف أخذَ اللهُ أمَّةَ إسرائيل من بؤسها وجعلها جميلةً وشهيرةً، ثمَّ ارتعَبْتُ من القول: فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ وَزَنَيْتِ عَلَى اسْمِكِ (حزقيال 15:16) .

أعتقدُ أنَّ الله باركَ كنيسةَ بيت لحم، وهيئة دِزَايَرِنْج جَدْ Desiring God[أي: اشتهاء الله]، كما باركني شخصيًّا. إلاَّ أنَّ الخطرَ الأكبرَ في كلِّ هذه الأمور الآن هو أن نَثِقَ بوضعِنا المباركِ وشهرتِنا. الكبرياءُ كامنة وراء كلِّ بابٍ. لذلك، نرتعدُ ونتساءلُ: هل هذا هو دافعُنا، أن نتباهى بالقوَّةِ، أن نحصلَ على الثناء، أن نصنعَ لأنفسنا اسمًا؟ إن كان الأمرُ كذلك، لنفشلْ يا إلهي، لنفشلْ سريعًا دون أن نضرَّ بالآخرين .

لكن للكبرياءِ أشكالٌ أخرى، أحدُها الجُبْنُ، أي الخوف من التعرُّض للانتقاد. وهناك الكثير منه، لأنَّ هذه الكلِّيَّة تشدِّدُ على الحقائق الكتابيَّة التي لا تحْظَى بقبولٍ شعبيٍّ، حتَّى بين مسيحيِّين كثيرين اليوم، مع أنَّها جميلةٌ كما نعتقدُ (وسأذكر عشر حقائق تُمَيِّزها لاحقًا). هذه هي المخاطرةُ التي نؤمنُ أنَّنا مدعوُّون إلى تحمُّلِها. وليفعلْ الربُّ كلَّ ما يستلزم بقاؤنا متواضعين، كلَّ ما يجعلنا خدَّامًا، لا أسيادًا، ونحن نمضي قُدمًا في كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم.

خَطَرُ الْفَقْرِ

الحقيقةُ الأخرى التي تجعلُ من الكلِّيَّة ومعهد اللاهوت مشروعين خطيرين هي أنَّنا عندما نقرأُ كُتُبَنا ونستمعُ إلى محاضراتنا ونكتُبُ أبحاثنا

ونجري مناقشاتنا، فإنَّنا ندرِكُ أنَّ مراكزنا الحضاريَّة محطَّمة، وأنَّ الأجيالَ تعاني من عدم قدرتها على الهربِ من فخاخِ الإدمانِ والبطالة والفقرِ والجريمةِ. ووراء هذه الشواطئ يعيشُ الملايين من الناس دون مياهٍ نظيفةٍ، أو طعامٍ كافٍ، أو رعايةٍ طبِّيَّةٍ، وكلُّ ما يمكِن أن يحلُمُوا به هو تعليمٌ كهذا. هذا الفارقُ الشاسعُ يمنحُنا شعورًا بعدمِ الارتياح في قاعاتِ التعلُّم الغنيَّة .

ولكن بعد ذلك نتساءلُ: هل الحلُّ لمآسي العالم هو جيلٌ من الشباب لا يدري آليَّةَ الملاحظةِ بدقَّةٍ، أو التفكيرَ بعنايةٍ، أو معرفةً بالتاريخِ، أو الإحاطةَ بثقافة المجتمع، جيلٌ لا يَعِي الكتابَ المقدَّسَ، ولا يخطِّط بشكلٍ استراتيجيٍّ؟ لذلك، نخاطرُ مرَّةً أخرى مصلّين ألاَّ تكونَ كلِّيَّةُ ومعهد لاهوت بيت لحم جزءًا من مشكلةِ الفقرِ، بل تكون جزءًا من الحلِّ. نطلبُ إلى الله أنَّ ما يتبنَّاه الطلاَّبُ عبر دراساتهم من عاداتٍ فكريَّةٍ واتِّجاهاتٍ قلبيَّةٍ يدفَعُهم إلى سدِّ الاحتياجات لا إلى الاكتفاء بالراحة.

أُسُسٌ كِتَابِيَّةٌ

ننتقلُ الآن إلى الأسسِ الكتابيَّةِ لكلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم. في رسالته إلى أهل كورنثوس، يقولُ الرسول بولس: كُلُّ مَا يُبَاعُ فِي الْمَلْحَمَةِ كُلُوهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ. لأَنَّ لِلرَّبِّ الأَرْضَ وَمِلأَهَا (1 كورنثوس 10:25-26). وهذا يعني أنَّ الربَّ يسوع يملِكُ العالم بكلِّ ما فيه. كما يعني أيضًا أنَّنا، بوصفنا رعايا الملكِ الأوفياءَ، في قدرتنا أن نستفيد من العالم بحرِّيَّةٍ لمجده. وهكذا، يدور التعليمُ التربويُّ حول كيفيَّة القيام بذلك.

كايپر Abraham Kuyper الذي أَسَّسَ سنة 1880م جامعةَ أمستردام الحرَّة Free University of Amsterdam، قال في واحدةٍ من

أشهرِ عباراته: "لا ينبغي لأيِّ جزءٍ من عالمنا العقليِّ أن يكونَ منفصِلاً بشكلٍ منغلقٍ عن الباقي، فلا توجدُ بوصةٌ مربَّعةٌ في نطاق وجودنا البشريِّ إلاَّ ويعلِنُ المسيحُ بصوته المُدَوِّي: مِلْكي! فهو صاحبُ السيادةِ المُطلقة على الكلِّ". كان هذا أساسَ حُلْمِهِ المرتبط بالتعليمِ التربويِّ بالجامعة الحرَّة.

هذا الحقُّ كتابيٌّ تمامًا، وصحيحٌ وأساسيٌّ لكلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم، ولكنَّه ليس الحقَّ النهائيَّ أو الأكثر تحديدًا. فالمسيحُ لم يصنعْ العالمَ ليملِكُه فقط، ولا يحملُ كلَّ شيءٍ معًا بكلمةِ قُدرتِهِ فقط، بل خَلَقَهُ ويدعَمُ بقاءَه لإظهار جمالِه وقَدْرَ منزلتِهِ وعظمتِهِ حتَّى يعرفَه البشرُ المخلوقون على صورتِهِ، ويعتزُّون به أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، وبهذا الاعتزازِ، يظهرون قَدْرَ عظمتِهِ السَّامي في الكون كلِّه. هذا هو الحقُّ الذي يَصِفُ بشكلٍ نهائيٍّ كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم، كما نقرأ في النصِّ الكتابيِّ الحاسم :

15اَلَّذِي [المسيح] هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.
16فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. 17اَلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ (كولوسِّي 1:15-17) .

وهكذا، ندركُ أنَّ المسيح قد خَلَقَ كلَّ الأشياءِ وأنَّه يحملُ كلَّ الأشياءِ معًا "لذاته". وأنَّ "كلَّ الأشياء به وله قد خُلِقَتْ". ولا يعني تعبير "له" أنَّ المسيح كانت لديه نقائص فَخَلَقَ العالم لسدِّها. لكن يعني هذا أنَّ اكتفاءَه الكاملَ بذاتِهِ قد فاضَ في خَلْقِ العالم لِيُظْهِرَ هذا العالمُ المخلوقُ عَظَمَةَ المسيحِ .

هذا هو حجرُ الأساسِ العميقِ لكلّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم. كلُّ الأشياء ليستْ ملكًا للمسيحِ فقط، بل كائنة لتعلِنَ عن المسيحِ. البشرُ موجودون ليبجِّلوا قَدْرَه في العالم. إنَّ قيمتَنا تكمُن في قدرتِنا على أن نغتني بأكبر قدرٍ ممكنٍ من قَدْرِه. إنَّ هدفَ كلّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم لا يمكِن التعبير عنه بأنَّ الإنسان هو الغاية. لا! المسيحُ هو الغايةُ. لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ (رومية 36:11). لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا لَكِنْ لِاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا... (المزمور 1:115).

ما من فقرةٍ خارج الكتاب المقدَّس أكثرُ أهمِّيَّةً كأساسٍ لهذه الكلّيَّة إلاَّ الفقرة المأخوذة من مذكِّراتِ چوناثان إدواردز، والتي لا تلخِّصُ فقط قَصْدَ الله النهائيَّ في أن يمجِّدَ ذاته في الخليقةِ، لكنَّها توضِّح أيضًا كيف يحقِّقُ الله هذا التمجيدَ الذاتيَّ بطريقة تجعله إلهَ المحبَّة، لا الإلهَ المصاب بجنون العظمة. وإليك الطريقة التي يعبِّر بها إدواردز عن ذلك، وبها يفتحُ الباب لكلّيَّةِ ومعهدِ لاهوت بيت لحم لتَنْعَمَ بفرحةٍ لا تفْتُرُ، ولكي تمجِّدَ الله في نفس الوقت بشكلٍ أصيلٍ:

> يمجِّدُ الله ذاتَه تجاه الخلائق أيضًا بطريقتين: 1) بالإعلان عن ذاته للبشر... بما يناسب أفهامهم. 2) بالوصول بذاته لقلوبِهِم، في ابتهاجِهِم، ومسرَّتِهِم، في تمتُّعِهم بالتجلّيات التي يتجلَّى بها كاشفًا عن ذاته... ولا يتمجَّدُ الله عندما يُرَى مجدُه فقط، بل عندما يتمُّ التلذُّذُ بهذا المجدِ. لأنَّه مَتَى سُرَّ بالمجدِ من يعاينونه، يتمجَّدُ الله على نحوٍ أكبر في مسرَّتِهم بذلك المجد لا برؤيتهم له فقط. وقتئذٍ تَقْبَلُ النفسُ بكامِلِها ذلك المجد، بالفهمِ وبالقلبِ... فمن يشهدُ بفكرِهِ عن مجدِ الله لا يمجِّدُ اللهَ بنفسِ قَدْرِ من يشهدُ أيضًا عن قبولِهِ لهذا المجدِ ومسرَّتِهِ به.

من الأمورِ الجوهريَّةِ لأساسِ كلّيّة ومعهد لاهوت بيت لحم الحقُّ المرتبطُ بمجدِ اللهِ فينا، فالله يتمجَّدُ فينا بأعظمِ قَدْرٍ ممكنٍ عندما نشْبَعُ منه بأكبرِ قَدْرٍ ممكنٍ. لا يتعارضُ مجدُ الله الذاتيُّ وفرحُنا الأبديُّ. سوف يتزامنان معًا. يتعظَّم قَدْرُهُ عندما نعتَزُّ به أكثرَ من أيِّ شيءٍ آخر. فرحُنا به سيعْكِسُ مجدَهُ. إنَّ المسعَى العظيمَ لكلّيّة ومعهد لاهوت بيت لحم هو من أجل العقولِ والقلوبِ التي تدركُ وتتذوَّقُ مجدَ المسيح في كلِّ شيءٍ وتنشرُ هذه الخبرةَ الرُّوحيةَ للعالمِ.

أينما سرتُ عبر تاريخِ الفداءِ، من البدايةِ إلى النهايةِ، فإنَّ خطَّةَ الله لا تتغيَّرُ: أن ترى الخلائقُ مجدَهُ، أن تختبرَه، أن تُعْلِنَ عنه، وعلى وجه التحديد تحدَّثَ بمجدِ نعمتِهِ المستعلَن بشكلٍ فائقٍ في شخص المسيح وعمله. من الواضح أنَّ ابتهاجَ الله غامِرٌ في أن يجعلَ لنفسِهِ ولابنِهِ المكانةَ الأسمَى في أفكارِ ووجدان شعبِهِ، وأن يُعْلِنَ عن نفسِهِ ربًّا في العالمِ.

هذا هو الأساسُ النهائيُّ في أنَّ المسيحَ سامٍ في التعليمِ المسيحيِّ وفي كلّيّة ومعهد لاهوت بيت لحم. نحن ببساطةٍ نشتركُ مع اللهِ نفسه في التزامِهِ الهائل في تبجيلِ عظمتِهِ ومجدِ ابنه.

مَاذَا نَدْرُسُ؟

السؤالُ الذي يَطرَحُ نفسَه: أين نرى مجدَهُ؟ ما هو مركزُ تعليمِنا؟ ماذا ندْرُسُ؟ إن كان هدفُ الله في خَلْقِ العالمِ والسيادةِ عليه هو إظهار مجدِهِ حتَّى نراه ونتلذَّذَ به ونعلِنَه، فأين نركّز انتباهَنا؟ أين سنراه؟ كيف يحدُثُ هذا؟

الجوابُ: إنَّ لله كتابَين، هما الكلمةُ المقدَّسةُ والعالمُ الطبيعيُّ المخلوق. الكتابُ المقدَّس من ناحيةٍ، والتركيبُ العضويُّ المعقَّدُ للطبيعةِ،

والتاريخ، والمجتمعات البشريَّة من ناحيةٍ أخرى. الكتابُ المقدَّس كتابٌ موحًى به من الله، وذو سلطانٍ. أمَّا العالم الطبيعيُّ المخلوق فليس كذلك. إلاَّ أنَّ هذا لا يعني أنَّ كلَّ ما نركِّز عليه هو الكتاب فقط. يقدِّم لنا الكتابُ المعنى الحاسم لكلِّ الأمورِ. إلاَّ أنَّ الكتابَ المقدَّس ذاته يرسِلُنا مرارًا وتكرارًا إلى العالمِ الطبيعيِّ لنتعلَّم. يأمرُنا الربُّ أن نتأمَّلَ زنابقَ الحقلِ، وننظُرَ إلى طيورِ السماءِ (متَّى 26:6، 28). كما ينصحُ حكيمُ الأمثالِ الكسولَ: اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا (الأمثال 6:6). ويؤكِّد داود النبيُّ والملك بأنَّ: اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ (المزمور 1:19). ويدعونا الربُّ بفم النبيِّ إشعياء: ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ (إشعياء 26:40).

في الحقيقةِ، نحتاجُ أن نفكِّر في الطريقة التي استخدم بها الأنبياءُ والرُّسلُ والربُّ يسوع نفسه المفرداتِ اللغويَّةَ المرتبطةَ بالعالمِ الطبيعيِّ. فقد استخدموا من عالمنا كلَّ ما يلزم للقياسِ والصور الجماليَّة أو الكلاميَّة كالاستعارات والتشبيهات، كما استخدموا البياناتِ التوضيحيَّةَ والأمثالَ. لقد افترضوا على الدوام أنَّنا بالفعلِ نتأمَّل هذا العالمَ الطبيعيَّ، وأنَّ لدينا معرفةً: بكرومِ العنبِ وعصيرِها، وحفلاتِ الزفافِ، والأسودِ، والدببةِ، والخيولِ، والكلابِ، والخنازيرِ، وأطوارِ الجرادِ كالجنادب، والأبراجِ، والأعمالِ التجاريَّةِ، والأجورِ، ومحالِّ الصيارفة، وينابيعِ وجداولِ المياهِ الحيَّةِ، والأنهارِ، وأشجارِ التين، والزيتون، والتوتِ، والأشواكِ، والرياحِ، والعواصفِ الرعديَّة، وعجينِ الدقيق، وأرغفةِ الخبز، والجيوشِ، والسيوفِ، والدروعِ، والأغنامِ، والرعاةِ، والماشيةِ، والإبلِ، والنارِ، والخشبِ الطريِّ، والحطبِ، والقشِّ، والتبنِ، والمجوهراتِ، والذهبِ، والفضَّةِ، وساحاتِ القضاءِ، والمدافعين، والقضاةِ.

بمعنًى آخر، يوصينا الكتابُ المقدَّس بل يفترض أنَّنا لا نعرفُ الكلمةَ المقدَّسةَ فقط بل العالمَ الطبيعيَّ من حولنا أيضًا. في الكلّيَّةِ، ندرُسُ كتابَ اللهِ العامَّ المعروف بالطبيعةِ والتاريخِ والمجتمعاتِ الحضاريَّةِ. وأيضًا ندرُسُ كتابَ الله الخاصَّ المعروف بالكتاب المقدّس. والسببُ هو أنَّ الله قد أَعْلَنَ مجدَه في هذين الكتابين، الأمرُ الذي يحتِّمُ علينا رؤية مجده في الكتابين.

إلاَّ أنَّ كِتَابَيِ الله ليسا على نفسِ المستوى. للكتابِ المقدَّس سلطةٌ أسمى، لأنَّ الله مَنَحَ لنا الكتاب بمثابة مِفْتاحٍ يكشفُ لنا المغزَى من وراء كلِّ الأمور. من دون حقِّ الكتابِ المقدَّس، قد يتعلَّمُ أكثرُ العلماء ذكاءً أشياءَ مذهلةً عن الطبيعةِ. وربَّما نقرأُ كُتُبَهم ونتعلَّمُ منهم. إلاَّ أنَّهم يغفلون النقطةَ الرئيسةَ دون إعلانِ الله الخاصِّ، ألا وهي أنَّ كلَّ شيءٍ موجودٌ في العالم حولنا هو لتمجيدِ المسيحِ، وأنَّ الخطيَّةَ قد جَعَلَتْهم عميانًا، وأنَّهم بحاجةٍ إلى مخلِّصٍ، وأنَّ المسيحَ قد جاءَ إلى العالم ليخلِّصَ الخطاةَ، وأنَّ الكونَ كلَّه ليس له أيُّ مغزًى أو معنًى نهائيٍّ إلاَّ في ارتباطِهِ بالمسيح. عندما يَفُوتُ عليهم هذا الشيءُ الرئيسُ، ينحرفُ كلُّ شيءٍ عن مسارِهِ الصحيحِ.

وهكذا، فإنَّ منهجَ كلّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم بكاملِهِ مُشَبَّعٌ بدراسةِ الكتابِ المقدَّس، لأنَّه يزوِّدنا بالمفتاح الذي يفتَحُ أمامنا المعنى العميقَ لكلِّ شيءٍ آخر .

مَا الذي نَفْعَلُهُ بِكِتَابَيِ اللهِ؟

إذًا، إن كانتْ كلّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم ستركِّز على هذين الكتابين لأنَّ الله يعلِنُ مجدَهُ في الكلمةِ المقدَّسة التي أوحى بها الله وفي

العالمِ الطبيعيِّ الذي خلقه الله، فما الذي ينبغي أن نَفْعَلَهُ بهذين الكتابين؟ ما الذي يحاولُ هذا التعليم التربويُّ أن يقدِّمَه للطلاَّبِ؟

هدفُنا ليس أن نقدِّمَ للدارسين درجاتٍ علميَّةً: إنَّ درجة البكالوريوس في علوم اللاهوت (BA)، وماجستير اللاهوت الرعويِّ (MDiv) مجرَّدُ أهدافٍ ثانويَّةٍ تمامًا بالنسبة إلى أهداف التعليم الأساسيَّة.

إنَّ هدَفَنا ليس في المقام الأوَّل أن نقدِّمَ الحقائقَ لأنَّ الحقائقَ يمكِن نسيانها سريعًا، في حين أنَّ ما يجب أن يبقَى هو أهدافُ التعليم.

هدفُنا ليس في المقامِ الأوَّل أن نقدِّم المهاراتِ اللازمةَ للمتاجرةِ أو الحصولِ على وظيفةٍ، لأنَّها تتغيَّرُ بتغيُّر المعاملات التجاريَّة والأساليب التكنولوچيَّة.

هدفُنا هو بناءُ عاداتٍ عقليَّةٍ وقلبيَّةٍ داخل الطلاَّب لا تتركهم أبدًا بل تناسبهم عبر حياةِ النموِّ المستمرِّ. إنَّ الشخصَ المتعلِّم جيِّدًا وعلى نحوٍ تربويٍّ هو الشخصُ الذي لديه عاداتٌ عقليَّةٌ وقلبيَّةٌ لمواصلة التَّعَلُّم لما يحتاجُ أن يتعلَّمَه ليحيا بطريقةٍ تمجِّدُ المسيحَ في كلِّ بقيَّةِ حياتِهِ، وهذا ينطبقُ على أيِّ مجالٍ من مجالاتِ الحياة يسعى وراءه.

هذه العاداتُ العقليَّةُ تنطبقُ على كلِّ الأهداف في العالم، ولكنَّ الأكثر أهمِّيَّة أنَّها تنطبقُ على الكتاب المقدَّس. ويمكننا تلخيصها على النحو التالي:

> نحن نهدِفُ إلى تمكين الطالب وتحفيزه على أن يلاحظَ موضوعَ ما يدرسه بعنايةٍ ودقَّةٍ، أن يفْهَمَ بوضوحٍ ما قد لاحَظَهُ، وأن يُقَيِّمَ بإنصافٍ ما فَهِمَهُ بتحديد ما هو حقيقيٌّ وقَيِّمٌ، وأن يستشعرَ بقوَّةٍ قيمة ما قام بتقييمه. وأن يطبِّقَ في الحياة العمليَّة، بحكمةٍ وبطريقةٍ مجديةٍ ما فَهِمَه وشعر به، [وأخيرًا] يُعَبِّرُ قولاً وكتابةً

وفِعلاً عمَّا رآهُ، وفَهِمَه وشَعَر به وطَبَّقَه بطريقةٍ من شأنها أن تتيحَ للآخرين التعرُّف عليه، والتمتُّع به بسبب دقَّتِهِ ووضوحِهِ وصدقِهِ وقيمتِهِ ونفعِهِ.

وهكذا تكونُ العاداتُ العقليَّةُ والقلبيَّةُ :

- الملاحظةُ
- الفهمُ
- التقييمُ
- الشعورُ
- التطبيقُ
- التعبيرُ

سواء كنتَ تتأمَّلُ فقرةً في الكتابِ المقدَّس، أو في دستورِ الولايات المتَّحدة، أو نموذجًا محيِّرًا لعبارةٍ على سيَّارتك، فإنَّ العاداتِ العقليَّةَ والقلبيَّةَ المرجوةَ لا تتغيَّرُ .

1. المُلاحَظَةُ

نحن نهدِفُ إلى تمكين وتحفيز الدارس على أن يلاحظَ موضوعَه بعنايةٍ ودقَّةٍ. لا بُدَّ أن نرى ما هو موجودٌ هناك بالفعلِ. تدريسُنا مُصَمَّمٌ لإجبارِ الدارسين على الرؤيةِ بأنفسهم. لا مَفَرَّ من أن يواصلوا النظرَ حتَّى يروا أشياءَ لم يلاحظونها في البداية، سواء في الكلمةِ المقدَّسةِ أو في العالمِ .

لا مناصَ من أن نتعلَّمَ القراءةَ ببطءٍ مع الملاحظةِ بعنايةٍ وشموليَّةٍ بالنظر إلى كلِّ التفاصيل. لا بدَّ أن تكونَ الملاحظةُ دقيقةً شاملةً. وإلاَّ سيكون فَهْمُنا وتقييمُنا مَعيبًا. قراءةُ العديدِ من الكتبِ بسرعةٍ تَنْجُم عنها غالبًا عاداتٌ ذهنيَّةٌ سيِّئةٌ. نحن لا نشجِّع الدارسين على القراءةِ من أَجلِ الكَمِّ، بل القراءةِ بملاحظةٍ صارمةٍ وتأمُّلٍ دقيقٍ.

2. الفَهْمُ

نحن نهدف إلى تمكين وتحفيز الطالب على أن يَفْهَمَ بوضوحٍ ما يلاحظه بعنايةٍ ودقَّةٍ. ينطوي الفهمُ على انضباطٍ صارمٍ في التفكيرِ. يصارعُ العقلُ مع سمات وملامح ما يلاحظه. إنَّ الهدفَ عند قراءة الكتاب المقدَّس هو أن نميِّزَ فكر الله بما قَصَدَ أن نَفْهَمَه كَتَبَةُ أسفارِ الكتاب المقدَّس. ويتحقَّقُ هذا الفَهْمُ بدراسة الاصطلاحات اللغويَّة الموجودة على صفحة الجزء المقروء. نلاحظُها ونفكِّر فيها حتَّى نَتَمَكَّنَ من القول: لقد أَدْرَكْتُ ما الذي يَقْصُدُه الكاتبُ. نحن ننشُدُ مقصد الكاتب، لا مقصدنا. نحن نهدِفُ إلى التفكيرِ في أفكار المؤلِّف، وإلاَّ يُمْسى التعليمُ بكلِّ بساطةٍ انعكاسًا لجهلِنا.

3. التَّقييمُ

نحن نهدِفُ إلى تمكين وتحفيز الطالب على أن يُقَيِّمَ بإنصافٍ، ومن دون تردُّدٍ الأحكام الواجب الإقرار بها بشأن حقٍّ معيَّنٍ أو مبدأٍ ما على أساسِ الملاحظةِ الواعيةِ، والفهمِ الدقيقِ. هنا في هذه النقطة فإنَّ منظورَنا عن الواقعِ بشقَّيهِ سيحدِث فرقًا. نحن نؤمِن بأنَّه يوجَدُ شيءٌ اسمه الحقُّ،

وبتوجيه البوصلة الكتابيَّة، وفي ظلِّ معونة الرُّوح القدس، يمكن لنا أن نعرِفَهُ.

4. الشُّعُورُ

نحن نهدف إلى تمكين وتحفيز الطالب على أن يَشْعُرَ وبشكلٍ ملائمٍ باستجابةٍ ما إزاء ما قام بملاحظتِهِ، وفهمِهِ، وتقييمِهِ. وينبغي أن تكون مشاعرُه متناغمةً مع الحقِّ والقَدْرِ لما لاحظَه وفَهمَه. فإن لاحظَ وأدركَ الواقعَ الرهيبَ المرتبط بالجحيم، ينبغي أن تكون مشاعرُه هي الخوف والرعب والرأفة. أمَّا إن لاحظَ وأدركَ الواقعَ الرائعَ المرتبط بالسماءِ، ينبغي أن تكونَ مشاعره هي الفرح والرجاء والاشتياق .

إنَّ اتِّهام ألبرت أينشتاين Albert Einstein للوعَّاظِ يوضِّح ما أحاولُ قولَه. كما أنَّ تشارلز ميزنرCharles Misner ، المتخصِّص العلميَّ في النظريَّةِ النسبيَّة العامَّةgeneral relativity theory ، قد نُقِلَ كلامٌ مُقْتَبَسٌ عنه بهذه الطريقة:

أنا أرى بالفعل أنَّ تصميمَ الكونِ مسألةٌ دينيَّةٌ في الأساس. أي يَتَعَيَّنُ على المَرْءِ أن يكونَ لديه نوعٌ من الاحترامِ والرهبةِ للعملِ بأكملِهِ... إنَّه أمرٌ رائعٌ للغايةِ ولا ينبغي أن يؤخذ إلاَّ على محمل الجدِّ. في الحقيقة، أعتقدُ أنَّه لهذا السبب لم يشِر أينشتاين إلى أيَّة ديانةٍ نظاميَّةٍ، مع أنَّه يذهلني كرجلٍ أساسًا متديِّنٍ جدًّا. لا بُدَّ أنَّه فكَّر في ما قاله الوعَّاظ عن الله، وشَعَرَ بأنَّهم يجدِّفون. لقد رأى جلالاً أكثر بكثيرٍ ممَّا يمكِن لهم أن يتخيَّلُوه، ومع ذلك لم يتحدَّثوا عنه بوصفِهِ الشيءَ الحقيقيَّ. تخميني أنَّه شَعَرَ بكلِّ بساطةٍ أنَّ الأديانَ التي صادفها لم يكنْ لديها الاحترامُ المناسِبُ... لمبدِعِ الكونِ .

هذا مدمِّرٌ، إذ ليس بإمكاني أن أتخيَّلَ بعد مرور ستِّين عامًا، أن يبدو الوعَّاظ بالنسبة إلى أينشتاين أكثر تأثُّرًا بالعظمة ممَّا كانوا عليه في تلك الفرصة المواتية .

ما هو الخطأُ؟ هناك انفصالٌ بين عظمةِ اللهِ وردِّ فعل الوعَّاظ الوجدانيِّ. بدا الأمر بالنسبة إلى أينشتاين كما لو أنَّهم "لا يتحدَّثون عن الشيءِ الحقيقيِّ". الانطباع الذي أَحَسَّ به من جهتهم غير متناسبٍ مع حجم ما اكتشفَهُ حتَّى بدا الأمر له كما لو أنَّهم يجدِّفون. بتعبيرٍ آخر، كما لو أنَّ هناك إلهًا من النوعِ الذي ينادي المسيحيُّون بأنَّهم يؤمنون به، ولديهم تعاملاتٌ معه، لكنَّهم لا يتأثَّرون به على هذا النحو وجدانيًّا.

يعرِفُ العلماءُ أنَّ الضوءَ ينتقلُ بسرعة 5.87 تريليون ميلٍ تقريبًا في السنة. ويعلمون أيضًا أنَّ مجموعتنا الشمسيَّة جزءٌ من مجرَّة يبلغ قطرها نحو 100 ألف سنةٍ ضوئيَّةٍ، أي نحو 587 ألف تريليون ميلٍ. وأنَّها واحدة من نحو مليون مجرَّةٍ أخرى تقع في المدى البصريِّ لأكثر التليسكوبات قدرةً لدينا. ويوجد في مجرَّتنا نحو مئة مليار نجمٍ. والشمس واحدة من هذه النجوم، إلاَّ أنَّها نجمٌ متوسِّطُ الحجمِ، وهي عبارة عن كتلةٍ مشتعلةٍ تبلُغُ درجةُ حرارةِ سطحها نحو 6000 درجةٍ مئويَّةٍ، وتتحرَّكُ في مدارٍ بسرعة 155 ميلاً في الثانية، ممَّا يعني أنَّها تحتاج نحو مئتي مليون سنةٍ لإكمال دورةٍ واحدةٍ حول مركزِ المجرَّةِ .

يعرفُ العلماءُ هذه الأشياء. أَحَسَّ أينشتاين بالرهبة إزاءَ هذه الأمورِ. لقد شَعَرَ بشيءٍ من هذا القبيل: "إن كان هناك إلهٌ شخصيٌّ، كما يقول المسيحيُّون، قد أتى بهذا الكونِ إلى الوجودِ بكلمةٍ، إذًا لا بُدَّ وأن يكونَ هناك نوعٌ من الاحترامِ، والتوقيرِ، والإعجابِ، والرهبةِ عندما نتحدَّث عنه. ويقينًا، سوف نتحدَّث عنه طوال الوقت لأنَّه الواقع الحقيقيُّ الأكثر

أهمِّيَّةً". يمكنك أن تشعرَ بقوَّة هذا الأمر عندما تسمع الله يقول بفم النبيِّ إشعياء:

فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ (إشعياء 40:25-26) .

كلُّ واحدٍ من مليارات النجوم في الكونِ موجودٌ هناك بمشيئةِ اللهِ المحدَّدةِ. والله يعرف عدد هذه النجوم بالتحديد. والأمر المذهل في ذلك كلِّه أنَّه يعرفهم بالاسم. وبالاسمِ! ينفِّذون أوامرَهُ كما لو أنَّهم وكلاؤه الشخصيُّون .

لقد شَعَرَ أينشتاين بشيءٍ ما في هذا، فكان ردُّ فعلِهِ: إنَّ الوعَّاظ المسيحيِّين لا يتحدَّثون عن الشيءِ الحقيقيِّ. كانت تكمن المشكلةُ في أنَّ سيادةَ الله لم تكن اختبارًا قلبيًّا في معظم الوعظ المسيحيِّ .

بما أنَّ الله يتعظَّم في استجابتِنا الوجدانيَّة لمجدِهِ وليس فقط برؤيتِنا أو إدراكِنا أو تقديرِنا لمجدِهِ، فلا يمكن أن نكونَ غيرَ مبالين بالحياةِ الوجدانيَّة للدارسين. وهذا يعني أنَّ أمورًا مثل الصلاةِ، والاتِّكالِ على الرُّوح القدس، وتعزيزِ الشعورِ بالدَّهشة والإعجابِ بخليقةِ اللهِ تصبحُ جوهريَّةً في حياةٍ كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم .

5. التَّطبِيقُ

نحن نهدفُ إلى تمكين وتحفيز الطالب على أن يطبِّق بحكمةٍ وبطريقةٍ مفيدةٍ ما يلاحظُهُ ويفهَمُهُ ويقيِّمُهُ ويشعُرُ به. ويتطلَّبُ الأمرُ

حكمةً، لا معرفةً بالحقائق، ليميِّزَ المَرْءُ بتعقُّلٍ وبطريقةٍ لها جدواها كيفيَّة تطبيق ما يفهمه ويشعر به.

إن قامَ الدارسون بالملاحظةِ والفهمِ وشعرُوا بأنَّ عليهم افتداء الوقت (أَفَسُس 16:5)، يكون التطبيقُ الحكيمُ سليمًا ثريًّا، ومن ثمَّ يكون الوقتُ متاحًا لعبادةٍ من دون إرهاقٍ، أو قد يحصل المَرْءُ على وظيفةٍ كمتدرِّبٍ في مركز خدمة الطوارئ الداخليِّ للمدينة. ينمو المَرْءُ الذي يَنْعَمُ بتعليمٍ جيِّدٍ في حياتِهِ بالتطبيقِ الحكيمِ لكلِّ ما يتعلَّمُهُ .

6. التَّعبِيرُ

نهدف إلى تمكين وتحفيز الطالبِ على أن يُعَبِّرَ بالقولِ والكتابةِ والأفعالِ عمَّا رآهُ، وفَهِمَهُ، وقَيَّمَهُ، وَشَعَرَ به، وطبَّقَهُ. والهدفُ هو أن يقومَ الدارس بذلك بطريقةٍ تتيحُ للآخرين ليس فقط معرفة ما وَصَلَ إليه بل التَّمَتُّع به أيضًا بسبب دقَّتِهِ ووضوحِهِ وصدقِهِ وقيمتِهِ وجَدْواهِ. نرغَبُ في أن يَنْعَمَ الدارسون بقدرةٍ متناميةٍ على التواصلِ وشرحِ ما رأوه، وفهمُوه، وقيَّمُوه، وشعرُوا به، وطبَّقوه بشكلٍ مقنعٍ للآخرين.

نحن نعيشُ في عصرٍ يفتقر روحًا وطبعًا إلى الدقَّةِ والانضباطِ في الأحاديث العامَّة. بالنسبة إلى كثيرين تبدو اللغة وسيلةً لخلقِ تأثيراتٍ مرغوبة أكثر من كونِها أداةً لتوصيل الحقِّ بوضوحٍ. هناك مفرداتٌ إنجليزيَّةٌ كثيرةٌ [وبالمثل مفردات عربيَّة] لها معانٍ اليوم لم تكن مرتبطة بها قبل خمسين عامًا. إنَّ الطريقةَ التي تُستخدَم بها اللغةُ اليوم تتعارضُ في الغالبِ مع المعايير التي وَضَعَها الرسولُ بولس لنفسِهِ:

- لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لَكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 17:2) .

- بَلْ قَدْ رَفَضْنَا خَفَايَا الْخِزْيِ، غَيْرَ سَالِكِينَ فِي مَكْرٍ، وَلاَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، بَلْ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ مَادِحِينَ أَنْفُسَنَا لَدَى ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ قُدَّامَ الله (2 كورنثوس 2:4).

هذا ما حدثَ مع بِل كلينتونBill Clinton ، وهو في طريقه إلى الترشيحِ بواسطة حزبه لمنصب الرئيس، عندما قال في خطابٍ له: "يقول الكتاب، ما لم ترَ عيونُنا، وما لم تسمع به آذانُنا، وما لم يخطر على بالِنا ما يمكِن أن نبنيه". كان كلامه إيماءةً إلى ما جاء على لسانِ الرسول بولس: مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ (1 كورنثوس 2:9-10). عندما سمعتُ اقتباس كلينتون، انتابني إحساسٌ بالفزعِ من إمكانيَّةِ التلاعب بكلمةِ الله إلى هذا الحدِّ.

وللتأكيد من أنَّك تعرف أنَّ هذا ليس نقدًا حزبيًّا، لم يكنْ الأمرُ أفضل حالاً أيضًا في تجمُّعٍ لهيئاتِ بثٍّ إذاعيٍّ دينيَّة وطنيَّة سنة 1992م، عندما قال الرئيس جورج بوش الأبGeorge H. W. Bush ، دفاعًا عن حرب الخليج: "أريد أن أشكركم على مساعدة أمريكا، كما رتَّبَ المسيح، لتكونَ نورَ العالم". وهذا تلميحٌ إلى ما قاله الرَّبُّ: أنتم نورُ العالم (متَّى 14:5)، والذي لم يكن بكلِّ تأكيدٍ قولاً عن أمريكا بل عن تلاميذِ المسيحِ.

هذا نوعٌ من المتاجرةِ بكلمةِ الله، وهو أمرٌ رَفَضَه الرسول بولس. المفرداتُ الموجودة في الكتاب المقدَّس لها معانٍ محدَّدةٌ بحسب قصدِ الله، وقد تمَّ التعبير عنها بواسطة الكُتَّاب البشريِّين. ولا يمكنُ أن نجعلها تعني ما نختاره نحن تلاعبًا بكلمة الله. لكنَّ الجوَّ العامَّ لعصرِنا اليوم لا يبدي أهمِّيَّة كبيرة لهذا الحقِّ في أنَّ لغة الكتاب المقدَّس والوثائق المسيحيَّة التاريخيَّة أَضْحَتْ كما لو أنَّها أنفٌ شمعيَّةٌ يمكِنُ تشكيلها وَفْقًا لرغباتِ المتحدِّث.

هذا الأمرُ ليس جديدًا. في مجمع نيقية سنة 325م، كان الآريوسيُّون يقاتلون للدفاع عن وجهةِ نظرِهِم بأنَّ يسوعَ المسيح لم يكنْ إلهًا على قدمِ المساواةِ مع الآبِ، وذلك بأنَّ له بداية. وعندما استُخْدِمَ الكتاب المقدَّس من المدافعين عن ألوهيَّتِهِ، كان من الغريب أن يرحِّبَ الآريوسيُّون بذلك. لكن ما أن اتَّضَحَتْ معاني المفردات التي أزالت الغموض، تَمَكَّن المجمع من أن يدرك حقًّا ما الذي كان يؤكِّدونه. إليك الطريقة التي يصفُ بها غريغوريوس النزينزيُّ Gregory of Nazianzus الأمرَ:

> واجه لاهوتيُّو الإسكندريَّة... الآريوسيِّين بعباراتٍ كتابيَّةٍ تقليديَّةٍ بَدَتْ أنَّها لا تدع مجالاً للشكِّ في ألوهيَّة الابن الأزليَّة. ولدهشتِهِم أنَّها قُوبِلَتْ بمعرفتِهِم التامَّةِ. فقط بعد عرض كلِّ التحليلات اللفظيَّة، لوحظَ أنَّ الطرف الآريوسيَّ يَهْمِسُ ويلمِّح لبعضِهِ البعض، في إشارةٍ واضحةٍ إلى أنَّه يمكن القبول بلفظة محدَّدة بأمانٍ، بما أنَّ تحليلها يسمح بالمراوغة... تحيَّر الآباء، لكنَّ تحليل التعبير "هُومُوؤُسيون homoousion" وهو تعبيرٌ يونانيٌّ يعني أنَّ جوهر الابن من ذات جوهر الآب، فُرِضَ على الأغلبيَّة وسط مراوغات الآريوسيِّين.

عدمُ الدقَّةِ والغموضُ أمران يستخدِمهما الناسُ منذ آلاف السنين لرغبتِهِم في التخلِّي عن المعاني والتَّمسُّك بالمفردات. جرسام ميشن، أحد مؤسِّسي معهد وستمنستر اللاهوتيِّ، أدركَ الأمرَ في أوائل القرن العشرين، كما وَصَفَهُ على هذا النحو في ما يرتبط بالانشقاقات العقائديَّة للكنيسة المشيخيَّة:

> هذا المِزاجُ العقليُّ معادٍ للتعريفاتِ الدقيقة. في الحقيقة، ما من شيءٍ يجعل المَرْءَ غيرَ مقبولٍ في خلافات اليوم الحاضر سوى

الإصرار على تعريف المصطلحات... اليوم، يتحدَّث الناس ببلاغةٍ شديدةٍ بشأن موضوعات ترتبط بالله، والدين، والمسيحيَّة، والكفَّارة، والفداء، والإيمان؛ لكنَّهم يشعرون باستياء شديد متى طُلِبَ منهم أن يقولوا بلغةٍ بسيطةٍ ما الذي يقصدُونه بهذه المصطلحات.

هدفنا في كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم أن ننمِّي لدى الدارسين عاداتٍ عقليَّةً وقلبيَّةً تُعِينُهم في التعبيرِ عن الحقِّ الذي اكتشفوه حتَّى تتجلَّى دِقَّتُهُ، وَوُضُوحُهُ، وصدقُهُ، وقيمتُه، ونفعُهُ. نرفض مع الرسولِ بولس الاحتيال اللغويَّ. نبتعد عن التلاعبِ بكلمةِ الله. نرحِّبُ باستقامة "البيان الصريح عن الحقِّ". نتكلَّمُ بالحقِّ أمام الله لمجدِ إلهِ الحقِّ.

يعودُ بنا هذا إلى السببِ الأصليِّ لوجودِنا. لقد خَلَقَ اللهُ العالَمَ الطبيعيَّ وأَوْحَى بالكلمةِ المقدَّسة ليظهِرَ مجدَهُ. يدركُ المَرْءُ المُتَعَلِّم مجدَ الله في كلمةِ الله الموحى بها، وفي عالم الله المخلوق، ويعي هذا المجدَ ويُقَيِّمُهُ ويشعرُ به ويطبِّقُه ويعَبِّر عنه للآخرين حتَّى يتسنَّى لهم رؤيته والتلذُّذ به.

أَيْنَ نَقِفُ؟

نحن لا نفترضُ أنَّ عمليَّةَ تحديد ما هو حقيقيٌّ وقيِّمٌ تبدأُ من جديد مع كلِّ جيلٍ من الدراسين. لم تبدأ بنا. لذلك، نحن مؤسَّسة اعترافيَّة. يحدِّد إقرار إيمان شيوخ كنيسة بيت لحم ما نؤمِنُ به ونعلِّمُه في كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم.

نحن لا نهدفُ إلى إجبار الدارسين على هذا القالبِ. وإلاَّ لن يكونَ هذا تعليمًا تربويًّا، ولا إكرامًا للمسيحِ. نحن نهدفُ إلى الوقوفِ بجانبهم في أثناء عمليَّاتِ الملاحظة، والفهم، والتقييم، والشعور، والتطبيق، والتعبير، وأن نوضِّحَ لهم سببَ وصولِنا إلى ما وَصَلْنا إليه. تدافعُ هيئةُ التدريس عمَّا وصلَتْ إليه وتسعَى إلى الإقناعِ به. دون أن نمارسَ أيَّ إكراهٍ أو خداعٍ أو إخفاءٍ لأيَّة مشكلاتٍ صعبةٍ. بهذه الطريقة، نؤمن بأنَّ الحقَّ يتعظَّم، واستقامةَ التفكيرِ الواعي تتعزَّزُ.

إنَّ هذا الأسلوبَ في التعليمِ التربويِّ -الذي يضع في الاعتبار رؤيةَ مجدِ المسيحِ وتذوُّقِهِ والإعلانِ عنه، مع إعطاءِ السلطة العليا لكلمتِهِ في كلِّ تفكيرٍ عن عالمِهِ، جنبًا إلى جنب مع تنميةِ هذه العاداتِ العقليَّةِ والقلبيَّةِ الصارمةِ- نؤمِنُ أنَّه أسلوبٌ يقودُ الدارسين إلى قناعاتٍ جريئةٍ ومتواضعةٍ في عالمٍ ساقطٍ يحنُّنا فيه المسيح على أن نعيشَ بسلامٍ بقدرِ طاقتنا (رومية 18:12)، دون أن نتراجعَ عن إعلانِ الحقِّ الذي يكونُ في الغالبِ مثيرًا للجدلِ (متَّى 10:27-28؛ أعمال الرسل 20:20، 27).

لذلك، أطلبُ إلى الله أن تتميَّزَ كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم بانفتاحٍ وشجاعةٍ لا تخزى في المواقف التي نتبنَّاها. أن تشعرَ بقوَّةِ هذا الاقتباس، الذي يُنسَبُ غالبًا إلى مارتن لوثر، حيث إنَّه يرتبط بخلافات زمننا المعاصر هذا:

إن اعترفتُ بأعلى صوتٍ وأوضح بيانٍ بكلِّ جزءٍ من الحقِّ الإلهيِّ، لكن على وجه الدقَّةِ لم أعترفْ بتلك النقطةِ الصغيرةِ التي يهاجمها في تلك اللحظة العالمُ والشيطانُ، فأنا لا أومن بالمسيحِ، مع أنَّني بكلِّ جرأةٍ أجاهرُ شفاهةً بالمسيحِ. حين تثورُ المعركةُ يتبرهنُ حينئذٍ ولاءُ الجنديِّ، فإن أَحْجَمَ عن التَّقَدُّمِ في تلك المرحلة، فإنَّ ثباتَه في كلِّ ساحاتِ القتال ليس إلا هربًا وخزيًا.

سيكون من المجدي إيقافُ كلِّيَّة ومعهد لاهوت بيت لحم بسببِ بعض المواقف في مثل هذه المعارك. في ما يلي عددٌ قليل منها، تتجلَّى فيها ساحة المعركة بالخطِّ العريض bold ثمَّ يليها الموقف الذي نتبنَّاه:

1) **النَّقْدُ التَّارِيخِيُّ:** يُعَلِّمُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ فَقَط مَا هُو صَحِيحٌ. هُوَ كِتَابٌ متماسِكٌ وغَيْرُ مُتَناقِضٌ فِي مَا يَرْتَبِطُ بِتَدَرُّجِ الإعلانِ.

الكتاب المقدَّس موحًى به من الله ومعصومٌ من الخطأ من حيث الطبيعةِ. ومن ثمَّ، فإنَّ ما يعلِّمُه صحيحًا، ويقفُ الكتاب حاكمًا على كلِّ التقاليد الكَنَسِيَّة، والمعارف، والثقافات المجتمعيَّة، والآراء البشريَّة. هو أغلى من الذهبِ، وأحلى من العسلِ. الكتابُ المقدَّس كتابٌ جديرٌ بحياةِ التفكيرِ الدؤوبِ، والتأمُّل القلبيِّ، والطاعةِ المليئةِ بالفرحِ.

2) **الكَاثُولِيكِيَّةُ الرُّومَانِيَّةُ:** يَنْطَوِي التَّبْرِيرُ عَلَى احْتِسَابِ برِّ المسيحِ بالإِيمَانِ وَحْدَهُ.

التبريرُ بالنعمة وَحْدَها، بالإيمان وَحْدَهُ، على أساسِ عمل وشخص المسيح وَحْدَهُ، لمجدِ الله وَحْدَهُ. هو جوهرُ الإنجيلِ الكتابيِّ. ينطوي هذا التبريرُ على احتساب، لا على مَنْحِ، برِّ المسيح لنا، على أساس طاعةِ المسيحِ الكاملةِ لكلِّ ما أوصاهُ الآبُ أن يفعلَهُ.

3) **النِّسْبِيَّةُ والتَّعَدُّدِيَّةُ:** يَسُوعُ هُو الطَّرِيقُ الوَحِيدُ إِلَى اللهِ.

من أجلِ نوالِ الخلاص من الهلاكِ الأبديِّ، ينبغي لكلِّ الشعوبِ اليهوديَّةِ والمسلمةِ والهندوسيَّةِ والبوذيَّةِ والإرواحيَّةِ والعلمانيَّةِ أن تَعْرِفَ وتؤمنَ بيسوعَ المسيحِ بوصفه الرَّبَّ والمخلِّصَ الذي ماتَ من أجلهم وقَامَ أيضًا. ولهذا تُعَدُّ الخدماتُ الكرازيَّةُ العالميَّةُ أولويَّةً لمن يحبُّون الناسَ، ويعرفون المسيحَ، ويدركون حاجةَ شعوبِ العالم الذين لم يتمَّ الوصولُ إليهم بعد برسالةِ الإنجيل.

4) **الشُّمُولِيَّةُ والفَنَاءُ:** الجَحيمُ حَقِيقِيٌّ ورَهِيبٌ.

الجحيمُ، كما علَّم الرَّبُّ يسوعُ أكثرَ من أيِّ أحدٍ آخر، أمرٌ حقيقيٌّ. هو اختبارٌ أبديٌّ واعٍ بالعذابِ، ومصوَّرٌ بشكلٍ جزئيٍّ على أنَّه بكاءٌ، صريرُ أسنانٍ، ظلمةٌ خارجيَّةٌ، نارٌ لا تُطْفَأُ، عقابٌ أبديٌّ، انتقامٌ إلهيٌّ، بحيرةُ نارٍ. بناءً على هذه الصور، ينبغي تحذير الناس بدموعٍ وإلحاحٍ.

5) **الإِجْهَاضُ:** إِبَاحَةُ الإِجْهَاضِ غَيرِ المُقَيَّدِ أَمْرٌ بغيضٌ.

الإجهاضُ أمرٌ وحشيٌّ أخلاقيًّا. إنَّ الحياةَ البشريَّةَ التي لم تُولَد بعد ينبغي حمايتُها لنفسِ الأسباب التي لأجلها يتمُّ حمايةُ الحياةِ البشريَّةِ بأكملها.

6) **الحركة النَّسَويَّة والمساواة:** إنَّ الفوارقَ بين الرجولة والأنوثة المكمِّلَة لبعضها البعض جميلةٌ وعمليَّةٌ ومُهِمَّةٌ.

في ما يرتبطُ بالرجولةِ والأنوثةِ كتابيًّا، نؤمنُ أنَّ قصدَ اللهِ الرحيمَ لما يحقِّق الأفضلَ لنا هو أن يتحمَّل الرجالُ المتواضعون، المتمثِّلون بالمسيحِ،

وأصحابُ القلوبِ الخادمة عبءَ القيادةِ كشيوخٍ وقساوسةٍ في الكنيسةِ، وأنَّ أمثالَ هؤلاء الرجال يعملون كقادةٍ يباشرون أيضًا أعمالَ الرعايةِ، والتدبيرِ، والحمايةِ لبيوتهم؛ وأن تأتي النساءُ جنبًا إلى جنبٍ مع هؤلاء الرجالِ بما لَهُنَّ من مواهب متنوِّعة، لمَدِّ يَدِ المعونةِ إليهم في مباشرةِ الخدمة في الكنيسة والبيت.

7) **الطلاقُ والشُّذُوذُ الجِنْسِيُّ:** الزَّواجُ عهدٌ مدَى الحياةِ بين رجلٍ وامرأةٍ.

الزواجُ ليس عَلاقةً من أيِّ نوعٍ بين رَجُلَين، أو امْرَأَتَين. وبصرف النظر عمَّا يفعله أو يقوله أيُّ رَجُلَين لبعضهما البعض، أو تفعله أو تقوله أيَّة امْرَأَتَين لبعضهما البعض، فهذا لم يكن أبدًا، ولا يكونُ الآن، ولن يكونَ مطلقًا زواجًا في نظر الله. الزواجُ هو علاقةُ عهدٍ مدَى الحياةِ بينَ رجلٍ وامرأةٍ بوصفهما زوجًا وزوجةً، على قياسِ المسيحِ والكنيسةِ.

8) **العُنْصُرِيَّة والتَّعَصُّب العِرْقِيُّ:** التلذُّذُ والرَّغْبَةُ في التنوُّعِ العُنْصُرِيِّ والعِرْقِيِّ أمرٌ بالغُ الأَهَمِّيَّةِ.

إنَّ اللامبالاةَ في المحبَّةِ الفعَّالةِ بين الانتماءاتِ العرقيَّةِ معاداةٌ للقصدِ من صليب المسيح الذي افتدى الناس من كلِّ قبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ وأُمَّةٍ. التنوُّعُ العِرْقِيُّ المُوَحَّدُ والمَغْبوطُ في المسيح هو مصيرُنا في الدَّهرِ الآتي، وينبغي أن نحبَّهُ ونتوقَ إليه، بل نسعَى إليه هنا والآن.

9) **النَّزْعَةُ الاِسْتِهْلاَكِيَّةُ والمَادِّيَّةُ:** الرَّغْبَةُ في الثَّرَاءِ مميتةٌ، أمَّا البَساطَةُ في زَمَنٍ صَعْبٍ فَهِي جَيِّدَةٌ.

الرغبةُ في أن تكونَ غنيًّا رغبةٌ انتحاريَّةٌ، وبالتالي فإنَّ الثناءَ على هذه الرغبةِ كما لو أنَّها جزءٌ من الحياةِ المسيحيَّةِ أمرٌ أسوأ من القتلِ، بهذه الرغبةِ تكونُ الحياةُ الحاليَّةُ، والتاليةُ على المحكِّ. ينبغي أن يشعرَ أتباعُ الربِّ يسوعَ بجاذبيَّةٍ مغناطيسيَّةٍ تنجذبُ بها حياتُهم نحو البَسَاطةِ وسط الأزمنةِ الصعبةِ فيكونون أسخياء في العطاءِ فاعلين في تخفيف المعاناة بأكبرِ قَدْرٍ ممكنٍ، وبصفَةٍ خاصَّةٍ المعاناة الأبديَّة.

10) **الأَرْمِينِيَّةُ واللاهوتُ الحرُّ [المُنفَتِح]:** الله هو السيِّدُ المُطْلَقُ.

اللهُ له السيادةُ المُطلقةُ على كلِّ شيءٍ، بما في ذلك الكوارث الطبيعيَّة، وخطيَّة الإنسان. وعلى حدِّ تعبيرِ إقرار إيمان شيوخ كنيسة بيت لحم المعمدانيَّة:

> إنَّ الله، منذ الأزل، لكي يُعْلِنَ المدَى الكاملَ لمجدِهِ، ليتَمَتَّعَ به كلُّ من يحبُّونه بشكلٍ أبديٍّ متزايدٍ، وَوَفقًا لمشورةِ إرادتِهِ الأكثر حكمةً وقداسةً، رتَّبَ وعَلِمَ مسبَقًا بالفعلِ، وبكلِّ حرِّيَّةٍ، ودون تغييرٍ كلَّ ما هو عتيدٌ أن يحدُثَ. الله يحمِلُ ويضْبُطُ كلَّ الأشياءِ: المجرَّات الضخمة، والجسيمات الأدنى من الذَّرَّة، قوَى الطبيعةِ، وحركات الأممِ، وخطط السياسيِّين العامَّة والأعمال السرِّيَّة لكلِّ شخصٍ على حدة، الكلُّ يحدثُ وَفْقًا لكلِّ مقاصدِهِ الأزليَّةِ الحكيمةِ لتمجيدِ ذاته، ولكن بطريقةٍ لا يخطئُ فيها أبدًا، ولا يدينُ أبدًا أيَّ شخصٍ ظُلْمًا؛ إلاَّ أنَّ ترتيبَه وضبطَه لكلِّ الأشياء متناغمٌ مع المساءلةِ الأخلاقيَّة لكلِّ الناسِ المخلوقين على صورتِهِ.

لِفَرَحِنَا، لِمَجْدِهِ

بالنسبة إلى من كانوا بالقربِ من كنيسة بيت لحم المعمدانيَّة لبعضِ الوقتِ، تعلمون أنَّ روحَ العبادةِ والخدمةِ والأنشطةِ الكرازيَّةِ الغامرةِ لدينا كلُّها أمورٌ استباقيَّةٌ وإيجابيَّةٌ بقوَّةٍ. نحن لا نعرِّفُ أنفسنا بشكلٍ رئيسٍ بما نتجاوبُ أو نختلفُ معه. لكنَّنا لا نتراجَعُ أيضًا من باب الخوف من أن يصفَنا الآخرون بهذه الطريقة.

روحُ الكنيسةِ وروحُ الكلِّيَّة هي روحُ المذهب المسيحيِّ للتَّلَذُّذِ باللهِ، في يسوع المسيح، المصلوب والقائم من بين الأمواتِ، فالله معنا بصورةٍ مطلقةٍ لا ضدَّنا. يقول الكتاب: فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ... (1 بطرس 18:3). ما أنْ أَتَى بنا إلى الله، أَوصَلَنا إلى كنزِنا الأعظمِ وفرحِنا الأسمَى. وشغفُنا هو أن نعرِفَه ونتلذَّذَ به ونُعْلِنَه بكلِّ طريقةٍ ممكنةٍ عن طريق كلمتِهِ وعالَمِهِ، لأنَّنا نعلم أنَّ الله يتمجَّد فينا بشكلٍ أكبر عندما نشبَعُ به بقدْرٍ أكبر. عندما نرتاحُ فيه باعتباره كنزَنا الأسمَى، وبصفَةٍ خاصَّةٍ في أوقاتِ الألمِ، عندما نواصلُ محبَّتَنا للآخرين من أجله، فإنَّنا نُعْلِنُ مجد المسيح.

ليمنحْ الله هذه الرؤيا ازدهارًا من أجلِ فرحِ جميعِ الشعوبِ، لمجدِ ابنِهِ.

مُلْحَقٌ 2

الطَّالِبُ، وَالسَّمَكَةُ، وأَجَاسِز

المرَّةُ الأولى التي قرأتُ فيها هذه القصَّةَ عن أَجَاسِز Agassiz والسمكةِ كانت في خريف سنة 1968م في أثناء سنتي الأولى في معهد اللاهوت. وقد حدَّدها دانيآل فولر Daniel Fuller جزءًا من واجبات مادَّة التفسير. انْبهرتُ بها. لقد جاءتني في وقتٍ كانتْ بعض الأمور الكتابيَّة تتفجَّر أمامي بالدلالات والمعاني. بدأتُ أعاين أنماطًا وعلاقاتٍ متبادلةً وخطوطًا فكريَّةً لم أكن ألاحظها من قَبْل. ولم يحدثْ كلُّ هذا لأنَّ أحدَهم أخبرني برؤيتها، لكن لأنَّ أحدَهم كان يقول لي: انْظُرْ، انْظُرْ، انْظُرْ .

لقد أخذتُ هذه النسخة: "الطَّالِبُ، والسَّمَكَةُ، وأَجَاسِز" من الموقع الإليكترونيِّ لديفيد هوارد David Howard وأَدْرَجتُ كلماتِهِ الافتتاحيَّة بإذنه. لقد أَضَفْتُ هذا الملحقَ لمدى أهمِّيَّة تعامل التفكير مع ما هو موجود فيه بالفعل. ربَّما نكونُ أكثرَ الناسِ عقلانيَّةً على الكوكب، لكن إن كانت قدراتنا على الملاحظة معيبةً، فإنَّ الأُطُرَ الفكريَّة التي نُشَيِّدُها قد تكون مؤسَّسةً على رمالٍ. إليك مُقدِّمة دكتور هوارد.

ما يلي وصفٌ كلاسيكيٌّ لأهمِّيَّةِ الملاحظةِ المباشرةِ، والدراسةِ الواعيةِ، المكثَّفةِ، والمركَّزةِ. وَصْفٌ يقدِّم دروسًا تنطبقُ تقريبًا على دراسة أيِّ عِلْمٍ من العلوم. في الحقيقةِ، هو وصفٌ يُسْتَخْدَمُ على نطاقٍ واسعٍ في الكلِّيَّات والجامعات عبر الولايات المتَّحدة بوصفه وسيلةً تعليميَّةً سواء في العلوم الإنسانيَّة أو الطبيعيَّة .

بكلِّ يقينٍ، تنطبقُ دروسُ الملاحظةِ على دراسةِ الكتاب المقدَّس. لأنَّ دارسي الكتاب المقدَّس يعتمدون في الغالبِ على معارف ثانويَّة مشتقَّة، أو مكتسبة من رعاةٍ، أو معلّمين، أو آباءٍ، أو كتبٍ عن الكتابِ المقدَّس، أو من مصادر ثانويَّة أخرى. وفي حين أنَّ كلَّ هذه الأمور لها مكانتُها، لا بديلَ، في النهاية، عن الدراسةِ المباشرةِ للكتابِ المقدَّس، واختبارِهِ عن قربٍ، ومتعةِ اكتشاف ما يُعْلِنُه.

الطَّالِبُ، والسَّمَكَةُ، وأَجَاسِز ساموِيل هـ. سكَدر

لقد مَرَّ أكثر من خمس عشرة سنةً عندما دخلتُ معمل الأستاذ أَجَاسِز Agassiz وأخبرتُه أنَّني قد سجَّلتُ اسمي للالتحاقِ بكلّيَّة العلوم كطالبٍ في التاريخ الطبيعيِّ للأحياءِ .

سألني بعضَ الأسئلةِ بشأن هدفي المستقبليِّ، وأهدافي السابقة بشكلٍ عامٍّ، والأسلوب المقترح من أجل توظيف المعرفة التي أكتسبُها، وأخيرًا، إن كنتُ أرغبُ في دراسة فرعٍ خاصٍّ بعينِهِ .

أَجَبْتُه عن السؤالِ الأخير أنَّه بينما أرغب في أن أكونَ على درايةٍ جيِّدةٍ بجميع أقسامِ علم الحيوان، عزمتُ أن أكرّس نفسي بشكلٍ خاصٍّ لدراسةِ الحشرات .

وعندما سَأَلَني: متى تريدُ أن تبدأَ؟ أَجَبْتُ: الآن!

سَرَّتْه إجابتي على ما يبدو، فقال بكلِّ حماسةٍ: جيِّد جدًّا، ثمَّ مَدَّ يَدَهُ إلى أحدِ الرفوف ليحضِرَ جَرَّةً زجاجيَّةً ضخمةً بها عيِّناتٌ مغمورة في الكحول الأصفر. ثمَّ واصلَ: خذ هذه السمكة، انظر إليها؛ نحن نسمِّيها هيمِيلون. قريبًا، أسألُكَ عمَّا رأيته .

بهذا القول تركني، ثمَّ عاد بعد لحظةٍ بتوجيهٍ واضحٍ مرتبطٍ بالعنايةِ بحال العيِّنة التي سَلَّمَها لي، قائلاً: ما من إنسانٍ يصلحُ أن يكونَ عالمًا في التاريخ الطبيعيِّ للأحياء، ولا يعرف كيف يعتني بالعيِّناتِ .

كان عليَّ أن أحتفظَ بالسمكةِ أمامي في طبقٍ قصديريٍّ مُفلطَحٍ، وأرطِّبَ سطحه بكحول الجرَّةِ من وقتٍ لآخر، مع الحرصِ الدائم على إعادة سَدِّ الجرَّة بإحكامٍ. تلك الأيَّام لم تكنْ أيَّام السداداتِ الزجاجيَّةِ المصقولةِ، والجرارِ الزجاجيَّةِ الأنيقةِ الشكلِ لعرض العيِّنات؛ ربَّما يَذْكُر جميعُ الطلاَّب القدامى الزجاجاتِ الضخمةَ التي لا عنق لها وغير مُحْكَمَةِ الغلق بسبب سداداتِ الفلّين الملطَّخة بالشمع، والتي تأكلُ الحشراتُ نصفها كما أنَّها ملوَّثة بغبارِ القبو. وعلمُ الحشرات أنظفُ من علمِ الأسماك. ومع أنَّ طريقة الأستاذ في إدخالِ يَدِهِ دون تردُّدٍ لقاع الجرَّة لإخراج السمكة كانتْ مقزِّزَةً؛ كما كانتْ للكحول "رائحةٌ قديمةٌ جدًّا، تشبه رائحة السمك"، لم أجرؤْ حقًّا على إظهار أيَّة أماراتٍ على النفور داخلَ هذه المناطقِ المقدَّسةِ، وتعامَلتُ مع الكحول كما لو أنَّه ماءٌ نقيٌّ. ومع ذلك، انتابَني شعورٌ عابرٌ بخيبة الأمل، لأنَّ التحديقَ في سمكةٍ لا يثيرُ عالِمَ حشراتٍ متحمِّسًا بأيِّ شيءٍ. انزعجَ أصدقائي في البيت عندما اكتشفوا أيضًا أنَّ ماءَ الكولونيا بأيَّة كمِّيَّة ليس في قدرته إزالة الرائحة التي رافقتني كالظلِّ .

في غضونِ عشر دقائق رأيت كلَّ ما يمكِن رؤيتُه في تلك السمكةِ. وبدأتُ في البحثِ عن الأستاذ، الذي غادرَ المُتْحَف؛ وعندما عُدْتُ، بعد أن أَطَلتُ النظرَ في بعض الحيوانات الغريبة المخزَّنةِ في الطابق العلويِّ، أَمْسَتْ عَيِّنَتي جافَّةً تمامًا. سَكَبَتُ عليها الكحول كما لو أنِّي أريد إنعاشَها من نوبةِ إغماء، ونظرت بقلقٍ راجيًا عودتها إلى مظهرِها الليِّن الطبيعيِّ، انتهى قلقي البسيط. لكن لم يكن هناك شيءٌ لأفعلَه إلاَّ العودة إلى التحديق بثباتٍ في رفيقتِي البكماء. مَرَّتْ نصفُ ساعةٍ، ثمَّ ساعةٌ، وبعدها ساعةٌ أخرى؛ إلى

أن بَدَتْ السمكةُ بغيضةً. لقد قَلَبْتُها، وأَدَرْتُها. نظرتُ إليها في وجهها الشنيعِ؛ نظرت إليها من الخلف، من أسفل، من أعلى، من الجانبين، بطريقةٍ مائلةٍ؛ إنَّها مروِّعة تمامًا. أصابني اليأسُ. لكنِّي اقتنَعْتُ بأنَّ الغداء في تلك الساعة المبكِّرة أمرٌ ضروريٌّ؛ بارتياحٍ تامٍّ، قمتُ بإعادةِ السمكة بعنايةٍ إلى الجرَّة، وهكذا، صرْتُ حُرًّا لمدَّة ساعة.

عند عودتي، علمتُ أنَّ الأستاذَ أَجَاسِز قد جاء للمُتحفِ، ثمَّ خرجَ، ولن يعودَ إلاَّ بعد عدَّة ساعات. كان زملائي الطلاَّب في غايةِ الانشغالِ، ومن ثمَّ، لا يمكِن لي إزعاجهم بأيَّة أحاديث جانبيَّة طويلة.

أخرجتُ تلك السمكةَ البشعةَ ببطءٍ، وبكلِّ ما شعرتُ به من يأسٍ، نظرتُ إليها مرَّةً أخرى. لم يكنْ مسموحٌ لي بأن أستخدِمَ عدسةً مكبِّرةً؛ ممنوع استخدام الأدوات بكلِّ أنواعها من أجل الفحصِ والملاحظةِ. عليَّ فقط أن أستخدمَ يَدَيَّ وعَيْنَيَّ والسمكةَ؛ بدا المجالُ محدَّدًا للغاية .

دَفَعْتُ بأصابعي إلى داخلِ حَلْقِها لأرى مدى حدَّة أسنانها. قمتُ بإحصاء عدد القشورِ في كلِّ صَفٍّ على حدةٍ حتَّى أنَّني اقتنعتُ بأنَّ ما أقومُ به عبثٌ. لكن بعدها خطرتْ على بالي فكرةٌ سارَّة: أن أقومَ برسمها؛ كانتْ المفاجأةُ في أثناء قيامي بذلك أنَّني بدأتُ أكتشفُ سماتٍ وملامحَ جديدةً في هذا المخلوق. وقتَئذٍ، عاد الأستاذ.

فقال مُعلِّقًا: صحيحٌ! القلمُ الرصاص من أفضلِ العيونِ. يسُرُّني أيضًا أنَّك تحفظُ عيِّنَتَك مبلَّلةً وجرَّتَك مسدودةً بالفلّين. بهذه الكلمات المشجِّعة أضافَ: حسنًا، كيف تبدو؟

اسْتَمَعَ بانتباهٍ إلى ملاحظاتي المبدئيَّةِ الموجزةِ بشأن تركيب الأجزاء التي لا تزال أسماؤها مجهولةً بالنسبة لي: خياشيم مهدَّبة مقوَّسة بغطاءِ

رأسٍ قابلٍ للحركةِ؛ ثُقْبَا الرأس، شفاهٌ لحميَّةٌ، عيونٌ بلا جفون؛ خطٌّ جانبيٌّ، زعانفُ شوكيَّةٌ، زعنفةٌ ذيليَّةٌ أشواكُها متشعِّبةٌ؛ الجسمُ المضغوط المقوَّس.

وعندما انتهيتُ، انتظر متوقِّعًا المزيد، وبعدها، أَرْدَفَ على نحوٍ محبط: لم تلاحظ بعنايةٍ شديدةٍ؛ ثمَّ تابَعَ بحماسةٍ كبيرة: لماذا؟ لأنَّك لم ترَ أحدَ السماتِ الأكثرَ جلاءً في هذا الحيوان، والواضحة وضوح السمكة أمام عينيك. انْظُرْ مرَّةً أخرى؛ اِسْتَمْرِرْ في الملاحظة!" ثمَّ تركني لتعاستي.

ضِقْتُ بها ذَرْعًا. شعرتُ بالمذلَّةِ. هل حقًّا لا يزال هناك المزيدُ عن تلك السمكةِ البائسة؟ لكن الآن هيَّأْتُ نفسي بكلِّ عزمٍ لتلك المَهَمَّةِ، وهكذا لاحظتُ أمورًا جديدةً، الواحد تلو الآخر، حتَّى تبيَّنْتُ مدى صحَّة تقييم الأستاذ.

مَرَّتْ فترةُ ما بَعْد الظهيرةِ سريعًا، وعندما قَارَبَ اليومُ على الانتهاءِ تساءَل الأستاذ: هل لاحظتَ الشيءَ الجَلِيَّ بَعْدُ؟ فأجبتُ: لا! وأنا على يقينٍ من ذلك، لكن أُذركُ الآن مدى ضآلة ملاحظاتي السابقة.

فقال بحرارةٍ: هذا الإدراك هو أفضل شيء بعد القَلَمِ. على كلٍّ، لن أستمعَ إلى ما لاحظتَهُ الآن؛ أَعْدِ السمكة إلى مكانها، اذْهَبْ إلى بيتك؛ ربَّما تكون جاهزًا بإجابةٍ أفضل في الصباحِ. سأختبرك قبل أن تواصلَ النَّظَرَ في السمكة.

كان هذا مُقلقًا. لم يَتَعَيَّنْ عليَّ التفكيرُ في سمكتِي طوال الليل، بل دراستُها دون وجودِها أمامي. تساءَلتُ: ما عسى أن تكونَ تلك السِّمةُ المجهولةُ والأكثر جلاءً فيها؟ أيضًا، من دون مراجعة اكتشافاتي الجديدة، لا بُدَّ أن أقدِّمَ وَصْفًا دقيقًا عنها غدًا. وأنا أعلمُ أنَّ ذاكرتِي سيِّئةٌ. عُدْتُ إلى بيتي ماشيًا بجوار نهر تشارلز Charles Riverمشتَّتًا متحيِّرًا من هذه الأمور.

كانتْ تحيَّةُ الأستاذ الودِّيَّة صباح اليوم التالي مطمئنةً؛ ثمَّ واصل: هنا رجلٌ يبدو قلقًا إلى حدٍّ ما مثلي تمامًا إذ ينبغي أن أعرفَ بنفسي ما الذي لاحَظَهُ بالأمسِ.

قَاطَعْتَه متسائلاً: هل تقصِدُ أنَّ للسمكةِ جانبين متماثلين بأعضاء مزدوجة متناظرة؟ كان سعيدًا تمامًا، وأجابَ: نعم! بكلِّ تأكيدٍ! عوَّضَني ردُّ فعلِهِ عن ساعات اليقظةِ طيلة الليل السابق.

وبعد أن ناقَشَ أهمِّيَّة هذه النقطة بأكثر سعادةٍ وحماسةٍ، كما يفعل دائمًا، تجرَّأتُ على التساؤل: ما الذي ينبغي أن أفعلَه بعد ذلك؟!

كان رَدُّهُ الحاسم: انْظُرْ إلى سمكَتِكَ، [اِسْتَمْرِرْ في الملاحظة]! ثمَّ تركني مرَّةً أخرى مع أدواتي الخاصَّة. وفي أقلِّ من ساعةٍ عادَ واستمعَ إلى قائمةٍ أخرى خاصَّة بملاحظاتٍ جديدةٍ.

"هذا جيِّدٌ، هذا رائِعٌ! ثمَّ نَبَسَ: لكن هذا ليس كلَّ شيءٍ؛ واصِل ملاحظاتِك. وهكذا، لمدَّة ثلاثة أيَّام طويلة، لم يفعلْ شيئًا سوى أنَّه وَضَعَ تلك السمكةَ أمام عينيَّ، مانعًا إيَّاي من النَّظرِ إلى أيِّ شيءٍ آخر، أو استخدام أيَّة وسائل صناعيَّة مُساعِدة. ناصحًا إيَّاي بشكلٍ متكرِّرٍ: انْظُرْ، تَأَمَّلْ، لاحِظْ.

كان هذا أفضلَ درسٍ على الإطلاق تلقَّيْتُه في بدء دراستي لعلم الحشرات، درس امتدَّ تأثيرُهُ إلى تفاصيل كلِّ دراسةٍ تاليةٍ قمتُ بها لاحقًا؛ إنَّ الإرثَ الذي تركَه لي الأستاذ، كما تركَه لكثيرين غيري، قيمتُه لا تُقَدَّرُ بثمنٍ، قيمةٌ لا يمكِنُ شراؤها، وفي نفس الوقت لا يمكِن لنا أن نتخلَّى عنها.

بعد مرورِ سنةٍ، كنَّا نُسلِّي أنفسنا برسمٍ طباشيريٍّ لحيواناتٍ غريبةٍ على سبُّورةٍ سوداء. لقد رَسَمنا أسماكًا نجميَّةً وهي تقفزُ؛ ضفادع في قتالٍ مميتٍ، ديدانًا ذات رؤوسٍ مائيَّةٍ، أسماكَ قشريَّاتٍ فخمة [جراد البحر]،

وهي واقفةٌ على ذيولها، وحاملةٌ مظلاَّت عالية؛ وأسماكًا ذات وجوهٍ بشعةٍ بأفواهٍ مفتوحةٍ وعيونٍ محدِّقةٍ. جاء البروفيسور بعد فترةٍ وجيزةٍ، وقد كان مستمتعًا كأيِّ شخصٍ آخر بتجاربنا.

وفيما ينظر إلى الأسماك، قال: هيميلون، فردَّدوا كلُّهم، إنَّها رسم السيِّد: .....، وبالفعل؛ حتَّى يومنا هذا، إن حاولتُ رَسْمَ أيَّة سمكةٍ، فلن أتمَكَّنَ من رَسْمِ أيِّ شيءٍ سوى سَمَكَة الهيمِيلون.

في اليوم الرابع، وُضِعَتْ سمكةٌ ثانيةٌ من نفس المجموعة بجانب الأولى، وطُلِبَ منِّي أن أحدِّدَ أوجه التشابه والاختلاف بين الاثنتين؛ وبعدها وُضِعَتْ سمكةٌ ثالثة ثمَّ أخرى، حتَّى صارتْ العائلةُ بأكملها أمامي، وهكذا، تغَطَّتْ الطاولة وامتَلأَتْ الأرفُف المحيطة بها بمجموعةٍ كاملةٍ من عيِّنات الجرار الزجاجيَّة؛ تحوَّلَتْ الرائحةُ في أنفي إلى عطرٍ طَيِّبٍ. حتَّى الآن، فإنَّ مشهدَ سدادة الفلّين القديمة بطول الستِّ بوصات والمتآكلة بسبب الدود يجلِبُ إليَّ ذكرياتٍ عَطِرَةً!

وهكذا، فقد تَمَّتْ إعادةُ النَّظرِ في كلِّ مجموعةِ أسماك الهيميلون؛ وسواء كان الأمرُ يتعلَّق بتشريح الأعضاء الداخليَّة، أو إعداد وفحص الهيكل العظميِّ، أو وَصْف الأجزاء المختلفة، فإنَّ تدريبَ أَجَاسِز القائم على منهجِ ملاحظة الحقائق وَفْقًا لترتيبها المنظَّم، كان مصحوبًا دائمًا بالحَثِّ المُلِحِّ، وبِعَدَمِ الرِّضا عمَّا تمَّ الوصول إليه من ملاحظات. كان يقول: تبقى الحقائقُ أمورًا غبيَّةً، حتَّى ترتبطَ مع بعضها البعض بقانونٍ عامٍّ.

بعد نهاية ثمانيةِ أشهرٍ، تقريبًا، تركتُ على مضضٍ هؤلاء الأصدقاء، وانتقَلْتُ إلى قِسْمِ الحشرات؛ لكن ما اكْتَسَبْتُه بهذه الخبرةِ الخارجيَّة كان ذا قيمةٍ أكبر من سنوات البحث اللاحق في مجموعاتي المفضَّلة.

شُكرٌ وتقديرٌ

أَوَّلُ فصلين من هذا الكتابِ هما نوعٌ من التقديرِ والاعترافِ بالجميلِ لبعض الناس المؤثِّرين، ومن أجل العنايةِ الإلهيَّة التي كانتْ السببَ الرئيسَ لبدءِ العملِ عَلَى هذا الكتابِ، قبلها بعدَّة سنوات لم تكنْ هناك أيَّةُ رؤيةٍ لكتابةِ مثل هذا العمل على الإطلاق. الأمر الذي يعني، دائمًا، أنَّ الإلهَ العالِمَ بكلِّ شيءٍ والمدبِّرَ لكلِّ الأمور كان فاعلاً وعاملاً، ولذلك هو أوَّل من يَتَعَيَّنُ عليَّ شُكْرُهُ والاعتراف بجميلِهِ أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر. إنَّ خَلْقَ الله لكلِّ الأشياء وعنايتَه بكلِّ الأشياءِ أمران في غاية الأهمِّيَّة، وعدا ذلك من أمورٍ أخرى أو أشخاصٍ آخرين ليسوا إلاَّ عوامل ثانويَّة .

شكرًا، نويلNoël ، وطاليثا Talitha لدعمِكم لحياتي الكتابيَّة ككاتبٍ. أقرُّ بذلك وبدرجةٍ أكثر من ذي قبل... لقد قُمْتُما بأكثرِ ممَّا يمكن القيام به دون شكوى أو تذمُّرٍ. أنا أحِبُّكما بالفعلِ .

شكرًا، كنيسة بيت لحم المعمدانيَّة Bethlehem Baptist Church، وبالتحديد، مجلس الشيوخ، لدعمِكم لي بإجازةِ كتابةٍ سنويَّةٍ ممَّا أتاح لعمل هذا الكتاب أن يكون ممكنًا .

شكرًا، ديفيد ماتِسDavid Mathis ، ونيثان مِلَر Nathan Millerمن أجل الشراكة معي كمساعِدَين. احْتَمَلْتُما الكثير من أعبائي، وقدَّمتُما الكثيرَ من المساندةِ. دون عونِكما، لما تمكَّنْتُ من رؤيةِ هذا الكتاب يخرجُ إلى الوجودِ .

شكرًا، كارول ستاينبَخCarol Steinbach ، وديفيد ماتِس David Mathis، مع كلِّ الفريقِ الذي جَعَلَ الكتابَ أكثر نفعًا بإضافةِ الملاحقِ .

وشكرًا، لين دِنِسLane Dennis ، مع كلِّ فريقِ دار نشر كروسواي، الذين شجَّعُوني كثيرًا وزوَّدُوني بهذه النُّخْبَةِ من العاملين الرائعين مع الدعم والتحرير.

لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَن تَقُولَ لِلْيَدِ: لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ! (1 كورنثوس 21:12). لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ (رومية 7:14). سعيدٌ أنِّي مديونٌ لنعمة الله ولمئاتٍ من أعمالِ المحبَّةِ البشريَّةِ.

desiringGod

إن كنتَ ترغبُ في أن تعرفَ بشكلٍ أوسعَ رؤيةَ الله والحياةَ المُقدَّمة في هذا الكتاب، فنحن في هيئة دِزَيرِنْج جَدْ Desiring God نَوَدُّ أن نَخْدُمَك. لدينا المئات من الموارد التي تساعِدُك على أن تنمو في وَلَعِك بيسوعَ المسيحِ، وتعِينُك على أن تنشرَ هذا الوَلَعَ للآخرين. في موقعنا على الإنترنت بعنوان desiringGod.org، سَتَجِدُ تقريبًا كلَّ ما كَتَبَه وَوَعَظَ به چون پايپر، بما يشملُ أكثرَ من 30 كتابًا. وما يزيدُ عن 25 سنةً من عظاتِهِ، فقد جَعَلنَاها كلَّها متاحةً لكَ مجَّانًا عبر الإنترنت لتقرأَها وتسْتَمِعَ إليها، وتقومَ بتحميلها، أو حتَّى تشاهدها في بعض الأحيان.

بالإضافة إلى ذلك، يُمكِنُك الوصول إلى مئاتِ المقالاتِ، وأن تعرفَ المكان الذي يتحدَّثُ فيه چون پايپر، وأن تتعرَّفَ على مؤتمراتنا، وتكْتَشِفَ مناهجَ الأطفالِ التي تقدِّمُ دروسًا تهتمُّ بمركزيَّةِ الله، كما يُمكِنُك أن تتصفَّحَ المكتبةَ الخاصَّةَ بنا للمبيعات عبر الإنترنت. لا يَتَلَقَّى چون پايپر أيَّ مقابلٍ مادِّيٍّ من الكتبِ التي يكتُبُها ولا أيَّة تعويضاتٍ من هيئة دِزَيرِنْج جَدْ Desiring God. كلُّ أموالِ الدَّعم يُعادُ استثمارُها في جهودِنا لنشرِ رسالة الإنجيل. أيضًا، لهيئة دِزَيرِنْج جَدْ Desiring God سياسةٌ شعارُها "كلُّ ما يُمكِنُك دفعه"، وهي مُصَمَّمةٌ للأفرادِ أصحاب الموارد الماليَّة المحدودة. إن كانَتْ لديك الرغبةُ في معرفة المزيد من المعلومات بخصوص هذه السياسة، يُرْجَى الاتِّصالُ بنا على العنوانِ أو رقمِ الهاتفِ أدناه. نحن موجودون لنساعِدَكَ على الاعتزازِ بالربِّ يسوعَ المسيحِ وإنجيلِهِ بصفَتِهِ الكنزَ الأسمَى من أيِّ شيءٍ آخر، لأنَّه سوف يتمجَّدُ فيك بأقصى قَدْرٍ ممكنٍ عندما تكونُ أنت أكثر شِبعًا به بأقصى قَدْرٍ ممكنٍ. دعنا نَعْرِف دائمًا كيف يُمكِنُ لنا أن نخدُمَكَ!

Desiring God

Post Office Box 2901

Minneapolis, Minnesota 55402

888.346.4700 mail@desiringGod.org

ائتلاف الإنجيل

ائتلاف الإنجيل هو النسخة العربيّة من " The Gospel Coalition" وهو ائتلاف أو شراكة بين العديد من الكنائس والخدمات الإنجيليّة الكتابيّة حول العالم. يسعى ائتلاف الإنجيل نحو تجديد إيماننا بإنجيل المسيح، وإصلاح ممارساتنا في الخدمة كي تتوافق تمامًا مع الكتاب المقدس. فنحن قلقون بشأن بعض الحركات التي برزت داخل الأوساط الإنجيليّة الكلاسيكية، والتي تبدو أنّها تُقلل من شأن حياة الكنيسة، وتدفعنا بعيدًا عن معتقداتنا وممارساتنا الهامة.

فمن جهة، نشعر بالقلق إزاء وثنيّة الاستهلاكيّة الشخصيّة، وإضفاء الطابع السياسي على الإيمان؛ ومن جهة أخرى، ننزعج بسبب قبول النسبيّة اللاهوتيّة والأخلاقيّة بدون اعتراض عليها. وقد قادت هذه الحركات إلى التخلي بسهولة عن كلٍ من الحق الكتابي والحياة المتجددة اللذين يلزمنا بهما إيماننا القويم. ولا نسمع عن هذه التأثيرات فحسب، لكننا نشهد أيضًا نتائجها. وقد كرّسنا أنفسنا لمهمّة إنعاش وتنشيط الكنائس برجاءٍ جديدٍ وفرحٍ لا يُقاوَم مُؤسّس على الوعود التي نلناها بالنعمة وحدها، من خلال الإيمان وحده بالمسيح وحده.

ونعتقد أنه يوجد في كثيرٍ من الكنائس الإنجيليّة (بالمعنى الأشمل للكلمة من كنائس مشيخيّة، ومعمدانيّة، وأنجليكانية) إجماع واسع النطاق على حقائق الإنجيل. ومع ذلك فكثيرًا ما نرى الاحتفال باتحادنا مع المسيح يُستبدَل بجاذبيّة السلطة، أو بالانسحاب

الرهباني إلى الطقوس، والليتورجيّات، والفرائض. لكن ما يحل محل الإنجيل لن يعزّز قط إيمانًا مُثقّلاً بالإرساليّات، راسخًا في حق ثابت يتبرهن في تلمذة تعمل دون خجل، مُتلهّفة للصمود أمام امتحانات دعوة الملكوت وتضحياته. نحن نبغي أن نتقدم في طريق الملك، هادفين دائمًا إلى تقديم تأييد، وتشديد، وتدريب، بالإنجيل حتى يتأهل الجيل الحالي والقادم من قادة الكنيسة على نحو أفضل لدعم خدماتهم بمبادئ وممارسات تمجّد المخلّص وتصنع حسنًا لمن قد سفك دمه لأجلهم.

نحن نبغي أن نُولّد جهدًا موحَّدًا بين جميع الشعوب — جهدًا غيورًا على إكرام المسيح ومضاعفة تلاميذه، بالانضمام معًا إلى ائتلاف حقيقي لأجل يسوع. مثل هذه المُهمة المُوحَّدة والموضوعة على أساس كتابي هي المستقبل الوحيد الثابت للكنيسة. تدفعنا هذه الحقيقة إلى الوقوف مع الآخرين الذين تحركهم القناعة بأن رحمة الله في يسوع المسيح هي رجاؤنا الوحيد في الخلاص الأبدي. ونرغب في أن نناصر هذا الإنجيل بوضوح، ورأفة، وشجاعة، وفرح — رابطين قلوبنا بسرور بقلوب إخوتنا المؤمنين عبر الطوائف، والأعراق، والطبقات.

نحن نظنُّ غالبًا أنَّ التفكير والمشاعر نقيضان،
خاصَّةً عندما يرتبطُ الأمرُ بالاختبارِ
الروحيِّ المسيحيِّ.
ومع ذلك، فإنَّ تمجيدَ اللهِ بعقولِنا وقلوبِنا ليس
"إما هذا أو ذاك"، لكن بالاثنين معًا. إنَّ التركيزَ على
الحياةِ العقليَّةِ سيُعِينُك على أن تعرفَ اللة بشكلٍ
أفضل، تحبَّه أكثرَ، وتعْتَنِيَ بخليقتِهِ.
هذا الكتابُ سيُعِينُك على التفكيرِ بشأن التفكيرِ،
بشأن الكيفيَّةِ التي بها يُمَجِّدُ العقلُ والقلبُ
معًا اللة.

التفكير هو الأساس الراسخ لعواطفنا التي يمكن تضليلها بسهولة. فإذا كنت ترغب في امتلاك مشاعر عميقة، عليك تعلُّم التفكير بعناية، وقراءة هذا الكتاب!"

سي جي ماهاني، خدمات النعمة السيادية، ولاية ميريلاند

"عمل كتابيّ عميق ومتزن بشكل فريد.... هذه الدراسة التس تتسم بالبساطة والغنى الفكريّ تدعو القارئ إلى تجديد الحب لله والآخرين."

جي بي مورلاند، أستاذ الفلسفة المتميز، كلية تالبوت للاهوت

جون بايبر هو مؤسس هيئة desiringGod.org وعميد كلية لاهوت بيت لحم. وقد خدم لمدة ٣٣ عامًا كالراعي الرئيسي لكنيسة بيت لحم المعمدانية في مدينة مينيابوليس، بولاية مينيسوتا، وهو مؤلف لأكثر من ٥٠ كتابًا، بما في ذلك "الاشتياق إلى الله"، "لا تضيع حياتك"، "هذا الزواج السريع".

CROSSWAY
www.crossway.org

ائتلاف الإنجيل
TGC